الباب الثانى

عوامل تأثر اليهودية بالأديان الوثنية

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: فترات السبى والاضطهاد والاختلاط فى حياة اليهود.

الفصل الثانى: فقدان وتحريف اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام، وانتفاء قدسية أسفار العهد القديم.

الفصل الثالث: الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل.

الفصل الأول

فترات السبى والاضطهاد والاختلاط فى حياة اليهود

ويتضمن دراسة هذه المباحث:

المبحث الأول: الاضطهاد فى مصر.

المبحث الثانى: التيه فى البرية.

المبحث الثالث: الذل فى عصر القضاة.

المبحث الرابع: تسلط الأشوريين على اليهود والسبى الأشورى.

المبحث الخامس: سقوط مملكة يهوذا والسبى البابلى.

المبحث السادس: الاضطهاد اليونانى والشتات الهلينى.

المبحث السابع: الاضطهاد الرومانى والشتات الأخير.

المبحث الثامن: اختلاط اليهود بالشعوب الوثنية وزواجهم بالوثنيات.

المبحث الأول
الاضطهاد فى مصر

يذكر سفر التكوين – وكما تبين لنا فى الفصل السابق – أن بنى إسرائيل دخلوا مصر واستوطنوا بها ونعموا فيها بالراحة والأمان فى عهد يوسف عليه السلام[1]، وفى عصر الأسرة الحاكمة التى استوزر فيها، وقد ترجح لدينا أنه عصر الهكسوس[2].

لذلك فإن بعض العلماء يذهبون إلى أن تلك الراحة وذلك الأمان كانا مرتبطين بعهد يوسف وبعصر الهكسوس، ويرون أن فترة الاضطهاد والإذلال والاستعباد لبنى إسرائيل فى مصر قد بدأت عقب طرد الهكسوس من مصر، واعتلاء الفراعنة عرش بلادهم[3].

---

(١) وإن كان المصريون قد استقبلوا أخوة يوسف بشيء من النفور ونوع من الاستعلاء كما اعترف بذلك سفر التكوين حين يروى أن يوسف طلب أن يقدم لهم الطعام "فقدموا له وحده، ولهم وحدهم وللمصريين الآكلين عنده وحدهم لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين" تكوين ٤٣ : ٤٢.

(٢) راجع الفصل الثالث من الباب الأول "اتصال اليهود بمصر".

(٣) راجع كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ ٢٩، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٦٣، شاهين ماكريوس: تاريخ الإسرائيليين صـ ٩، د/ أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة صـ ٧٤، ويذكر هؤلاء أن المصريين قد استشعروا مدى التحالف القائم بين الهكسوس وبين بنى إسرائيل واعتبروه نوعاً من الخيانة لهم، وقد قيل إن بنى إسرائيل ساهموا فعلاً فى استمرار احتلال الهكسوس لمصر ولذلك نظر إليهم المصريون على أنهم عملاء للمستعمر وينبغى الحذر منهم فهم من أحذق خلق الله على التقلب والتلون وإثارة القلاقل واستغلال الأزمات.

ويذهب آخرون إلى أن هذه الفترة قد بدأت متأخرة عن هذا التاريخ وأن بنى إسرائيل ظلوا يعيشون فى سلام وأن حكام مصر قد ترفقوا، واتخذوا منهم جنوداً لجيوشهم فى حملاتهم حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة[1].

وكان من ملوك هذه الأسرة الفرعونية رمسيس الثانى الذى يرجح أنه هو الذى بدأ بإذلال الإسرائيليين واستعبادهم واستخدامهم فى أعمال السخرة اعتماداً على رواية التوراة.

ورد فى سفر الخروج "ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جدا وامتلأت الأرض منهم، ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا[2] هلم نحتال عليهم لئلا ينموا فيكون إذا وقعت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويخرجون من الأرض، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس[3].

وقد رأى جمهور العلماء والمؤرخين أن هاتين المدينتين أنشئتا

---

(١) راجع الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ ١٣٣، كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ ٢٩، زكى شنودة: اليهود صـ ٢٢، د/ أحمد شلبى: اليهودية صـ ٦٢.
وإن كان هؤلاء لم يمانعوا فى أن الفراعنة عقب طرد الهكسوس بدأو يتوجسون خيفة من الإسرائيليين ويتعاملون معهم بحذر.

(٢) لا شك أن كاتب هذا الجزء من التوراة إنما أوغل فى المبالغة وأغرق فى التعصب حين أطلق على لسان فرعون أن بنى إسرائيل شعب أكثر وأعظم من المصريين فلو كان ذلك كذلك لما استطاعت قلة المصريين أن تسخر كثرتهم المزعومة، ولعل التوراة قد بالغت عموماً فى ذكر الأرقام والأعداد حتى وصلت إلى حد التناقض فى كثير من النقاط واستدل النقاد والباحثون من ذلك على بطلان نسبتها إلى موسى عليه السلام وأنها غير التوراة المنزلة عليه، (راجع الفصل لابن حزم جـ ١ صـ ١٢٤ – ١٢٧ عصام الدين حفنى ناصف: محنة التوراة على أيدى اليهود صـ ٣٥ د/ أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة صـ ٧١ – ٧٣..

(٣) خروج ١ : ٦ – ١١.

فى عهد رمسيس الثانى وأنه هو فرعون التسخير والاضطهاد[1].

واعتمادا على ذلك تكون المدة التى قضاها بنو إسرائيل فى الاضطهاد والإذلال مدة قليلة وإن كان سفر التكوين يذكر على لسان الرب قوله لإبراهيم :"أعلم يقيناً وأن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربعمائة سنة"[2].

ومهما يكن من أمر فإن المصريين باعتراف التوراة قد اضطهدوا الإسرائيليين وأذلوهم حين توجسوا خيفة منهم وفقدوا الثقة فيهم "فيكون إذا وقعت حرب إنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا".

"فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف، ودمروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وسائر أعمال الأرض وجميع خدمتهم التى استخدموهم فيها كانت بقسوة"[3].

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٤٠ موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٦١ – ٢٦٣ تيودور روبنسون: إرائيل فى ضوء التاريخ صـ ١٠٧، د/ مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ ٧ صـ ٢٧٢ – ٢٧٣ د/ أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة صـ ٨٤ – ٨٥ وقد عثر علماء الآثار منذ القرن الماضى على أطلال هاتين المدينتين وكشفوا عن آثارهما وحققوا اسم كل منهما فى التوراة فردوا الأولى إلى تصحيف فى اسمها الأصيل برتوم بمعنى دار توم اله الشمس الأكبر الذى عبد فى عين شمس فى صورة الشمس المكتملة أو التامة وردوا الثانية كما هو ظاهر إلى اسم رمسيس وعثروا على آثار له تحمل اسمه هناك وكان قد اتخذها بنوه من بعهده عاصمة لهم باسم رعمسيس بمعنى دار رمسيس، وكانت المدينتان تقعان فى منطقة تانيس قنطير فى الجزء الشرقى من دلتا النيل (د/ أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة صـ ٨٥ – ٨٦)، موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٦٢.

(٢) تكوين ١٥ : ١٣.

ولعل كاتب هذا السفر يذكر هذا من منطلق الفلسطينيين مجرد وجود الإسرائيليين تحت الحكم المصرى هو نوع من العبودية والاستذلال لهم.

(٣) خروج ١ :، ١٣ : ١٤.

يذكر الدكتور حسن ظاظا أن الفرعون قد اختار للوقاية من شرور الإسرائيليين أسلوباً عنيفاً قاسياً ولكنه وبنص كتابهم المقدس لم يكن اعتداء مجانيا وإنما كان سببه من أقوى الأسباب التى تخيف منهم أمة متحضرة كمصر وملكا مهيباً كفرعون وهو انعدام ولائهم لهذه البلاد واستعدادهم للانضمام إلى أعدائها وشن الحرب عليها. =

ولكن يبدوا أن هذا الأسلوب وحده لم يكن كافيا فى القضاء على مخاوف الفرعون منهم والحد من تزايدهم وتكاثرهم كما تذكر التوراة "غير أنهم كانوا كلما أذلوهم ينمون ويمتدون حتى تخوفوا من قبل بنى إسرائيل"[1] فلجأ فرعون إلى حيلة أخرى بأن كلم قابلتي[2] العبرانيات "إذ استولدتما العبرانيات فانظروا عند الكراسى فإن كان ذكر فاقتلاه وإن كانت أنثى فاستبقياها ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر، بل استحيتا الأولاد"[3] ونما الشعب وكثر جدا ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً: كل ذكر يولد لهم فاطرحوه فى النهر وكل أنثى فاستبقوها"[4].

وقد أشار القرآن الكريم إلى طغيان فرعون على الإسرائيليين وتنكيله بهم واستضعافه لهم بقتله لذكورهم واستحيائه لنسائهم فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[5].

= ويذكر زكى شنودة أن الإسرائيليين كانوا قد كونوا شعباً داخل شعب ودولة داخل دولة وكانوا قوما مجبولين على الخيانة والغدر كثيرى العصيان والتمرد بل إن سليمان مظهر يذكر أن شعب مصر قد اكتشف بالفعل أن بنى إسرائيل كانوا يتآمرون عليه (زكى شنودة – اليهود صـ ٢٣ سليمان مظهر: قصة الديانات صـ ٣٢٦) والحقيقة أنه مهما كانت الدوافع التى حدث بفرعون إلى اضطهاد الإسرائيليين وتعذيبهم فإنه قد أفرط فى طغيانه وتجبره عليهم.

(١) خروج ١ : ١٢.

(٢) اسم احداهما شفرة والأخرى فوعة خروج ١ : ١٥.

(٣) يذكر السفر أن القابلتين بررتا ذلك بأن النساء العبرانيات لسن كالمصريات فانهن قويات يلدن قبل أن تأتيهم القابلة فأحسن الرب إليهما.

(٤) راجع خروج ١ : ١٥ – ٢٢، ويرى الفخر الرازى أن الإبقاء على النساء دون الذكر أن يوجب صيرورتهن مستفرشات الأعداء وذلك نهاية الذل والهوان (التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب جـ ٣ صـ ٦٨)، ويرى بعض الباحثين أن فرعون لجأ إلى تقتيل ذكورهم واستبقاء إناثهم حتى لا يزداد نسلهم أكثر من ذلك وعندئذ تضطر بناتهم من الزواج من المصريين ويكفل هذا التزاوج انصهار الشعب الغريب فى الشعب الأصيل (راجع سليمان مظهر: قصة الديانات صـ ٣٢٧)، د/ حسين فوزى: أرض الميعاد صـ ١٣٥.

وقيل إن المنجمين قد أنبأوا فرعون وهم يفسرون له حلماً أفزعه بأن ولدا سيخرج من بنى إسرائيل ويكون على يديه زوال ملكه فعمد إلى قتل ذكورهم (راجع الفخرى الرازى الجزء الثالث من المجلد الثانى صـ ٦٩، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن مجلد ١ جـ ١ صـ ٣٨٦

(٥) سورة القصص: ٤.

وتكررت الإشارة إلى ذلك فى بعض الآيات وبنفس الألفاظ والكلمات[1] بل إن القرآن الكريم وجه الخطاب إلى اليهود الذين عاصروا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأن ذكرهم بنعمته عليهم فقال لهم:

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾[2].

وقد استمر اضطهاد المصريين للإسرائيليين وتعذيبهم فى عصر موسى عليه السلام، جاء فى سفر الخروج "وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر فى أثقالهم"[3].

وتذكر التوراة أنه بموت هذا الملك (الذى يرجح أنه رمسيس الثانى: فرعون الاضطهاد) تنهد بنو إسرائيل من العبودية، وكان موسى وقتئذ فى مدين"[4].

ولكنها تعود إلى القول بأن الرب قال لموسى "وأنا أيضاً قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدى لذلك قل لبنى إسرائيل أنا الرب وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم"[5].

وتذكر أيضاً أن فرعون زاد فى تعذيب الإسرائيليين وبالغ فى ضرب السخرة عليهم حتى ينصرفوا عن دعوة موسي"[6].

ويشير القرآن الكريم إلى استمرار الاضطهاد والتعذيب فى عصر موسى عليه

---

(١) يقول الله تعالى فى سورة الأعراف ﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾ الأعراف: ١٤١.

(٢) البقرة: ٤٧ – ٤٩.

(٣) خروج ٢ : ١١.

(٤) خروج ٢ : ٢٣ – ٢٤.

(٥) خروج ٦ : ٥ – ٦.

(٦) راجع خروج ٥ : ٥ – ١٩.

السلام بعد أن أرسله الله إلى فرعون ويذكر أن موسى وهارون عليهما السلام قالا لفرعون ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾[1].

وبعد أن آمن به السحرة توعدهم فرعون بقوله: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2].

وحينما قال موسى لقومه: ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾[3] قالوا: ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾[4].

وعلى أى حال فقد كانت فترة استعباد الإسرائيليين فى مصر من الفترات التى لا تنسى فى تاريخهم والتى لا تفتأ أسفارهم تذكرها وتتحدث عنها[5] حتى نقشت فى أذهانهم وكان لها أثر كبير فى حياتهم.

"فمن العرف الشائع بينهم أنهم يتشاءمون تشاؤماً تقليدياً بالأيام التى قضوها فى مصر ويحسبونها بلية البلايا، ومحنة المحن فى تاريخهم كله من عهد الخليل إلى عهد النازية الهتلرية فى القرن العشرين.

وقد مرت بهم محنة السبى إلى وادى النهرين ولكنهم لا يتشاءمون بها كما تشاءموا بالمقام فى مصر، ولا يجعلون الخروج من بابل عيداً باقياً متجدداً كعيد الخروج من أرض وادى النيل[6].

بل إن اضطهادهم فى مصر وما قاسوه فيها من ذل وكبت وعبودية قد أورثهم

---

(١) سورة طه: ٤٧.

(٢) الأعراف: ١٢٤.

(٣) الأعراف: ١٢٨.

(٤) الأعراف: ١٢٩.

(٥) راجع أسفار: الخروج، العدد، المزامير وغيرها.

(٦) عباس محمود العقاد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين صـ ٥٨.
فقد ظلت الأجيال اللاحقة تذكر هذا الاختبار المأثور فى تاريخهم حتى خلعوا عليه معنى دينياً وقومياً، وارتبط عيد الفصح بذكرى خروجهم من مصر (راجع التاريخ فى الكتاب صـ ٢٩، راجع أيضاً: الكتاب المقدس: كتب الشريعة الخمسة صـ ١٤٩ – ١٥١ دار المشرق بيروت – ١٩٨٦ جميعا الكتاب المقدس فى المشرق.

عقدة نفسية ظلت تلازمهم طوال تاريخهم القديم وكانت الناظمة لسيرتهم وصلاتهم مع مختلف الشعوب التى احتكوا بها أو عاشوا معها وكانت بدورها سبباً لانحرافاتهم المستمرة الخلقية والدينية[١].

فإنهم لم يسمعوا لقول موسى كما ذكر سفر الخروج من صغر النفس ومن العبودية القاسية[٢].

ويعتقد سبينوزا أن الإسرائيليين لم يعرفوا الله معرفة صحيحة ويرجع ذلك إلى أنهم أناس أجلاف أنهكهم شقاء العبودية فى مصر[٣].

وقد استمرأ بنوا إسرائيل هذا الذل واستعذبوا ذلك العذاب واستكانوا إلى الضعف والاستعباد حتى أنهم ليقولون لموسى بعد خروجهم من مصر "ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر، أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فى مصر قائلين: كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية[٤].

وكان استعباد بنى إسرائيل فى مصر واضطهادهم بها من العوامل التى ساعدت على تقبلهم للأفكار وتأثرهم بالديانات الوثنية القديمة.

إذ أنهم شربوا من كؤوس الذل حتى استمرأوا مذاقه، فمردوا عليه واستكانوا دهراً طويلاً، والذل يفسد الفطرة البشرية حتى تأسن وتتعفن، ويذهب ما فيها من الخير والجمال والتطلع ومن الاشمئزاز من العفن والنتن والرجس والدنس.

وأيضاً فإن الاستعباد الطويل فى ظل الفرعونية الوثنية كان قد أفسد طبيعة القوم وأضعف استعدادهم لاحتمال التكاليف والصبر عليها، والوفاء بالعهد والثبات

---

(١) راجع محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ ٧ - ٨.

(٢) خروج ٦ : ٩.

(٣) باروخ اسبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ١٦٤ ترجمة وتقديم: د/ حسن حنفى مراجعة د/ فؤاد زكريا: دار وهدان للطباعة والنشر طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بدون تاريخ.

(٤) خروج ١٤ : ١١ - ١٢.

عليه، وترك فى كيانهم النفسى خلخلة واستعداداً للانقياد والتقليد المريح، فليس أفسد للنفس البشرية من الذل والخضوع للطغيان طويلاً، ومن الحياة فى ظل الإرهاب والخوف والتخفى والالتواء لتفادى الأخطار والعذاب، والحركة فى الظلام مع الذعر الدائم والتوقع الدائم للبلاء[1].

(١) راجع سيد قطب: فى ظلال القرآن المجلد الثالث صـ ١٣٦٤ – ١٣٦٥، المجلد الرابع صـ ٣٢٤٦ المجلد الخامس صـ ٢٦٩٠ الطبعة الشرعية العاشرة لدار الشروق ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.

المبحث الثاني
التيه فى البرية

وكان من آثار الاضطهاد الذى تعرض له بنو إسرائيل فى مصر، والعبودية التى ذاقوا مرارتها أن نفوسهم قد جبلت على الخوف، وأن قلوبهم مردت على الجبن، فتقاعسوا عن أمر موسى لهم بدخول الأرض المقدسة (أرض كنعان) واستكانوا إلى الخنوع والاستسلام.

فمنذ أن خرجوا من مصر فى طريقهم إلى أرض كنعان وهم فى سلسلة متعددة من التذمرات وأشكال متنوعة من الاحتجاجات، وقد تمادوا فى تمردهم وعصيانهم على موسى وهارون حتى صرخ موسى إلى الرب فيما يروى سفر العدد: "فقال موسى للرب لماذا أسأت إلى عبدك ولماذا لم أجد فى عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا العشب على، ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلى ولدته حتى تقول لى أحمله فى حضنك كما يحمل المربى الرضيع إلى الأرض التى حلفت لآبائه، من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب لأنهم يبكون على قائلين أعطنا لحماً نأكله[1]، لا

---

(١) يذكر سفر العدد: أن الأخلاط الذين بين بنى إسرائيل واللفيف الذى فى وسطهم قد اشتهوا شهوة فتابعهم بنو إسرائيل وبكواهم أيضاً وقالوا من يطعمنا لحما، فقد ذكرنا السم؛ الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم والآن قد يبست أنفسنا لا شيء أمام عيوننا غير المن وقد كانوا يجدون المن أو العسل الذى يشتارونه فى غير مشقة ولا جهد ويجدون السلوى أو السمانى وفيراً يسيراً صيده، وكانت سيناء ومازالت قبلة للأفواج الكثيرة من طيور الهجرة تقبل فى الخريف متعبة مرهقة بعد عبور البحر، فما أن تجد الأرض حتى تحط فلا تكاد تريم فإذا لاحت تباشير الربيع عادت إلى اجتياز سيناء فى طريقها إلى البحر تعبره حيث تقيم.

ومع ذلك فلم يرض اليهود بما نزل عليهم من زرق الله إذ كان الذى احتملوه فى مصر أحب إليهم من الحرية فى الصحراء، فالحياة الذليلة والعبودية المهينة تهون عليهم مادامت قدور اللحم والسمك.=

أقدر أنا وحدى أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل على فإن كنت تفعل بى هكذا فاقتلنى قتلا إن وجدت نعمة فى عينك فلا أرى بليتي"[1].

ووصل الأمر ببنى إسرائيل فى تذمرهم وتمردهم على موسى أن نادوا بخلعه وعزله وتولية آخر مكانة قائداً عليهم[2] حينما عاد الاثنا عشر رجلاً الذين أرسلهم موسى إلى ارض كنعان ليستطلعوا أخبارها وأخذ عشرة منهم يشيعون الخوف فى نفوس الشعب وينشرون الذعر فى قلوب أفراده ويثبطون هممهم عن دخولها[3].

فكان أن قال الرب لموسى فيما يروى سفر العدد "حتى متى يهيننى هذا الشعب ويستخف بى وحتى متى لا يؤمنون بى مع جميع الآيات التى صنعتها فيما بينهم[4].

وأنذر ليضربنهم بالوباء ويصير موسى وحده شعباً أكثر منهم، فراجعه موسى منبها إياه إلى ما قد يناله من كلام الشعوب الذين يسمعون بذلك الأمر والذين سيقولون إنه لم يقدر أن يدخل الشعب الذى حلف لهم فقتلهم فى القفر وسأله الصفح والمغفرة لهم فصفح الرب[5] ولكنه قال "أن جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى التى صنعتها فى مصر وفى البرية وجربونى الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولى لن يروا الأرض التى خلقت لآبائهم وجميع الذين أهانونى لا يرونها"[6].

ثم قال له أيضاً "حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على قد سمعت تذمر بنى إسرائيل الذى يتذمرونه على قل لهم ..... فى هذا القفر تسقط جثثكم

= وإلى ذلك يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (سورة البقرة: ٦١).

راجع سفر العدد ١١ : ٤ – ٩، د/ أحمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة صـ ١٢٨ – ١٢٩.

(١) عدد ١١: ١١ – ١٥ .

(٢) عدد ١٤: ١ – ٤ .

(٣) المصدر السابق ١٣: ١٧ – ٣٣.

(٤) المصدر السابق ٢٤: ١٠ – ١١.

(٥) المصدر السابق ١٤: ١٢ – ٢٠.

(٦) عدد ١٤: ٢٢ – ٢٣.

جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذمروا على لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفنه ويشوع بن نون[1]، وأما أطفالكم فإنى سأدخلهم فيعرفون الأرض التى احتقرتموها فجثثكم أنتم تسقط فى هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثتكم فى هذا القفر كعدد الأيام التى تجسستم فيها أربعين يوماً للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادى، أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون[2].

هذا وقد ذكر القرآن الكريم قصة تقاعسهم عن دخول الأرض المقدسة فى قوله تعالى "حكاية عن موسي" ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[3].

وقد ذكر بعض المفسرين أنه ينبغي الوقوف عند قوله تعالى ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ ثم نبدأ القراءة بقوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

وبناءً على ذلك فقد ذهب البعض إلى أن التيه هو الذى حدد بأربعين سنة وأن التحريم أبدى مطلق ذلك لأن الرجال الصالحين للحرب الذين عصوا أمر موسى

---

(١) هما بقية الرجال الاثنى عشر وقد حرضا الشعب على الدخول ومزقا ثيابهما حين نادى الإسرائيليون بعزل موسى وتولية آخر مكانه.

(٢) راجع عدد ١٤: ٢٢ - ٢٥.

(٣) الآيات فى سورة المائدة من ٢١ - ٢٦ (راجع تفسيرها فى التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازى الجزء الحادى عشر صـ ١٩٦ - ٢٠٢.

ماتوا فى البرية أثناء فترة التيه ولم يدخل أحد منهم إلى أرض كنعان فكانت محرمة عليهم باطلاق[1].

وهكذا باء بنو إسرائيل – بسبب تمردهم وعصيانهم – بغضب من الله فضرب عليهم الذلة والمسكنة وحرم عليهم دخول الأرض وقضى عليهم بالتيه والحيرة والضلال والتشتت فأخذوا يهيمون فى الصحراء على وجوههم مدة أربعين عاماً.

وكان هذا التيه عقاباً لهم على الجبن الذى صار دَيْدنهم والخور الذى لازمهم نتيجة ما عانوه فى مصر من الذل وما قاسوه من العبودية.

"فالشعوب التى تنشأ فى مهد الاستبداد وتساس بالظلم والاضطهاد تفسد أخلاقها وتذل نفوسها ويذهب بأسها وتضرب عليها الذلة والمسكنة وتألف الخضوع وتأنس المهانة والخنوع، وإذ طال عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة حتى تكون كالغرائز الفطرية والطبائع الخلقية إذا أخرجت صاحبها من بينها ورفعت عن رقبته نيرها ألفته ينزع بطبعه إليها ويتفلت منك ليقتحم فيها"[2].

ومن ثم فإن البعض يرى أن الحكمة من التيه الذى امتد إلى جبل كامل تاريخياً فى بيئة صحراوية قاسية جغرافياً، هو إخضاع اليهود لعملية صارمة من "الانتخاب الطبيعي" تصفى وتستبعد منهم العناصر الضعيفة الخائرة وتنتخب العناصر القوية الصلبة، وبذلك تديل من جيل هش منسحق إلى جيل مجدد فوار يصلح للرسالة[3].

ولكن يبدو أن أثر هذه التيه قد انعكس على أبنائهم الذين استبقاهم الرب ودخلوا مع يوشع أرض كنعان فإذا كان آباؤهم تمردوا على الله وعبدوا العجل

---

(١) راجع تفسير القرطبى الجزء السادس صـ ١٣٠، تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٤٠، الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء صـ ٢٧٣، واعتمادا على هذا التفسير يكون النص القرآنى متفقاً مع نص التوراة الذى أورته سابقاً من سفر العدد – فى أن مدة التيه كانت أربعين عاماً.

(٢) راجع الشيخ رشيد رضا: تفسير المنار المجلد الثالث الجزء السادس: صـ ٢٧٨.

(٣) د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا صـ ١٢، راجع مثل ذلك لدى الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء صـ ٢٧٢ – ٢٧٣.

وتذمروا على موسى وهارون فإن هؤلاء قد تابعوا مسيرة التمرد والتذمر وواصلوا إغاظتهم للحرب باتخاذ الآلهة الأجنبية واستمروا على حياة الذلة والهوان[1].

وهكذا فقد كانت فترة التيه من فترات الضياع التى تعرض لها اليهود ولاقوا فيها العنت وعانوا الشتات والتشرد ولكن هذا الشتات وذلك التشرد يتضاءلان إلا جانب ما سيلقونه بعد ذلك من السبى والاندثار.

(١) راجع على سبيل المثال: عدد ٣٢: ٦ – ١٥، يشوع ٧: ١ – ١٥.

المبحث الثالث
الذل فى عصر القضاة

يعتبر عصر القضاة هو عصر التفكك الكامل والفوضى الشاملة فى حياة اليهود على مدار تاريخهم القديم فكما ورد فى السفر أنه "فى تلك الأيام لم يكن لبنى إسرائيل ملك وكان كل إنسان يعمل ما حسن فى عينه"[1].

وقد ساعد هذا التفكك وتلك الفوضى على حدوث اضطرابات وانتكاسات تعرض لها اليهود فى العصر أدت بهم إلى الوقوع تحت سيطرة الشعوب التى كانت تقيم معهم فى فلسطين فأذاقوهم كئوس الذل والهوان.

يذكر سفر القضاة أن الرب قال لبنى إسرائيل "قد أصعدتكم من مصر وأتيت بكم إلى الأرض التى أقسمت لآبائكم وقلت لا أنكث عهدى معكم إلى الأبد، وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض اهدموا مذابحهم، ولم تسمعوا لصوتى، فماذا علمتم فقلت أيضاً لا أطردهم من أمامكم بل يكونون لكم مضايقين وتكون آلهتهم لكم شركا"[2].

وجاء فيه أيضاً "فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم وباعوهم بيد أعدائهم، حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلم الرب وكما أقسم الرب لهم فضاق بهم الأمر جداً"[3].

---

(١) قضاة ٢١: ٢٥.
(٢) راجع ٢: ١٦ – ١٨.
(٣) قضاة ٢: ١ – ٣.

"وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم، وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضى وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى لأن الرب ندم من أجل أنينهم وبسبب مضايقتهم وزاحميهم"[1].

ولكنهم عند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم، ولم يحيدوا عن سوء أعمالهم وطريق قساوتهم، فاشتد غضب الرب على إسرائيل وقال بما أن هذه الأمة قد تعدت عهدى الذى أمرت به آباءها ولم تسمع لصوتى فلا أعود أنا أيضاً أطرد أحداً من أمامها من الأمم التى تركها يشوع عند وفاته لكى أمتحن بها إسرائيل أيحفظون طريق الرب أم لا فترك الرب أولئك الأمم ولم يطردهم سريعاً ولم يدفعهم بيد يشوع"[2].

وهكذا باعتراف التوراة استمر سكان فلسطين فى تسلطهم على اليهود ومضايقتهم لهم وسواء كان هذا بأمر الرب – كما تقول النصوص – أم أنه نتيجة ضعفهم واستسلامهم لهذه الشعوب فإن ما يهمنا هنا هو خضوع الإسرائيليين لشعوب فلسطين ووقوعهم تحت قبضتهم فى سلسلة متواصلة من الاضطهاد والاستذلال فى عصر القضاة.

ولو أننا تتبعنا النصوص لوجدنا أن الرب قد اشتد غضبه على بنى إسرائيل فباعهم بيد الآراميين واستذلهم ملكهم وسامهم الخسف والنكال مدة ثمانية أعوام[3].

ثم تمكن منه عجلون ملك المؤابيين فجمع إليه العمونيين والعماليق[4] وقاموا

---

(١) قضاة ٢: ١١ – ١٥.

(٢) راجع قضاة ٢: ١٩ – ٢٣.

(٣) قضاة ٣: ٨، ويذكر الأستاذ محمد فؤاد الهاشمى أن ملك الآراميين قد تمكن من رقاب الإسرائيليين فأذلهم واستعمل فيهم صنوف أسلحة العذاب واتخذ نساءهم جوارى له ولاط قومه بذكورهم وحلق لحى وشوارب رجالهم واتخذ الحسان من بناتهم هدايا لإرضاء حاشيته وجيرانه من الملوك فكسر شوكتهم حتى استحكمت الحلقة وضاقت عليهم (اليهود من الكتب المقدسة صـ ٤١).

(٤) العماليق هم شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية ومن ذرية عيسو أخى يعقوب وكانوا يقيمون فى البدء قرب قادش فى جنوب فلسطين وكانوا هناك عند بدء مجيء العبرانيين من مصر وكانت بلادهم ترى من فوق جبل عبرايم وكانوا مصدر إزعاج لبنى إسرائيل فى البرية ويذكر عجاج نويهض أن العمالقة هم أول شعب عربى قديم ذو عصبية قوية الشكيمة فى شرق سيناء وجنوب فلسطين وقف بالسيف فى وجه بنى إسرائيل (راجع بالتفصيل الحديث عنهم: قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٣٦ – ٦٣٧، بروتوكولات حكماء صهيون صـ ٣٨ محمود نعناعه: المشكلة اليهودية صـ ١٥٦ – ١٥٨.

بضربهم واحتلالهم وتعبد بنو إسرائيل لملك موآب وقدموا له الجزية ثمانية عشر عاماً[1].

وبعد ذلك وقع الإسرائيليون تحت قبضة الكنعانيين إذ باعهم الرب بيد ملكهم الذى ضايقهم بأن أخذ يكيل لهم الضربات المتتالية وضيق عليهم الخناق بأن استذلهم بشدة مدة عشرين عاماً"[2].

وكان من أشد فترات الذل التى تعرض لها اليهود فى عصر القضاة تلك الفترة التى خضعوا فيها للمديانيين[3] بمشاركة العماليق فقد اذاقوهم من كل صنوف العذاب طيلة سبع سنوات حتى اضطروهم إلى أن يهيموا على وجوههم ويتركوا مدنهم وقراهم ويلتجئوا إلى المغاور والكهوف والحصون التى أقاموها فى الجبال اتقاء لشرهم وهربا من بطشهم ويصف السفر هذا بقوله "وقويت أيدى مديان على إسرائيل فاتخذ بنو إسرائيل لأنفسهم المغاور التى فى الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين وكان إذا زرع إسرائيل يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم، ويجيشون عليهم ويفسدون غلة الأرض إلى مدخل عزة ولا يبقون ميرة فى إسرائيل ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً، لأنهم كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون فى مثل كثرة الجراد وليس لهم ولجمالهم عدد[4] ويدخلون الأرض لكى يخربوها فذل إسرائيل جداً من قبل المديانيين"[5].

ويذكر الإصحاح العاشر فى سفر القضاة أن الرب بعد أن أنقذهم من أيدى المديانيين تركوا الرب ولم يعبدوه فاشتد غضبه عليهم وباعهم بيد

---

(١) قضاة ٣: ١٢ - ١٤.

(٢) قضاة ٤: ١ - ٣.

(٣) يرجع المديانيون فى نسبهم إلى مديان وهو أحد أولاد إبراهيم من زوجته قطورة وقيل إن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة إلى مؤاب وطور سيناء وكانوا يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر، وقد اتحدوا مع مؤاب ضد بنى إسرائيل فأنبأ الرب بهلاكهم (راجع الحديث عنهم بالتفصيل: قاموس الكتاب المقدس صـ ٨٥٠).

(٤) لقد وصفهم السفر فى موضع آخر بأنه لم يكن لجمالهم عدد لأنها كانت فى الكثرة كالرمل على شاطئ البحر (قضاة ٧: ١٢).

(٥) قضاة ٦: ٢ - ٦.

الفلسطينيين وبيد العمونيين فحطموا ورضضوا بنى إسرائيل وداسوهم طوال ثمانية عشر عاماً[1].

وكان أطول مدة استذل فيها اليهود وذاقوا مرارة الضيق والهوان – فى هذا العصر فيما يروى سفر القضاة – هى المدة التى رزحوا فيها تحت نير الفلسطينيين إذ أنها طالت حتى وصلت أربعين سنة[2].

وهكذا – وبحساب التوراة – يكون اليهود فى عصر القضاة قد عاشوا تحت سياط الرق والاستعباد ورزحوا تحت نير التعذيب والاضطهاد وشربوا من كئوس الذل والهوان مدة مائة وأحد عشر عاماً ذاقوا فيها كل ألوان المر ولاقوا فيها كل صنوف العذاب.

وكما رأينا فإنهم كانوا يرضخون لآلهة مستعبديهم وينحرفون إلى عبادة معذبيهم فساعد ذلك على تأثيرهم بديانات تلك الشعوب واقتباسهم منها كثيراً من عقائدهم وأفكارهم وأدخلوا إلى اليهودية كثيراً من طقوسهم وعباداتهم.

---

(١) حسب تعبير السفر فى الترجمتين الكاثوليكية والبروتستانتية قضاة ١٠: ٦ – ٨.

(٢) قضاة ١٣: ١ راجع التفاصيل فى الإصحاحات: ١٣، ١٤، ١٥، ١٦ من سفر القضاة.

المبحث الرابع
تسلط الأشوريين على اليهود وسبيهم إلى أشور

ينسب الأشوريون ـ فى نظر اليهود ـ إلى أشور ثانى أبناء سام بن نوح عليه السلام[1].

وقد سبق أن أشرت إلى العصور التاريخية للأشوريين وذكرت أنهم قد اتصلوا اتصالًا مباشرًا باليهود فى العصر الأشورى الحديث وخاصة فى بداية الإمبراطورية الأشورية الثانية.

والحقيقة أن الأشوريين والبابليين ومن بعدهم قد شكلوا خطرًا كبيرًا على مملكتى اليهود فى عصر الانقسام وكانوا سببًا فى القضاء عليهما حتى إن ويلز يصف هذا العصر بقوله "لقد ظلت حياة العبرانيين طوال ثلاثة قرون شبيهة بحياة رجل أصر على العيش وسط سوق صاخب فكان مصيره أن تدهمه سيارات الجمهور والبضائع[2].

وكان أول اتصال بين الأشوريين والإسرائيليين حينما قاومهم اخآب بن عمرى ملك إسرائيل بأن تحالف ضدهم مع الآراميين فى القرن التاسع ق.م[3]. ولكن

---

(١) تكوين ١(: ٢٢ دائرة معارف البستانى مجلد ٣ صـ٧٠٩ قاموس الكتاب المقدس صـ٧٨.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ الكتاب ٤ صـ٢٩٦.

(٣) وكانت دولة أشور تنتعش فى بطء حتى أصبحت مرة أخرى أيام ملكهم (أشور نصير ـ بالـ) (٨٤٤ـ٨٥٩ق.م) دولة عالمية قوية وبلغ ملكها بجيوشه سواحل البحر المتوسط نفسه وجرد ابنه شلمنصر الثالث عام ٨٥٣ ق.م حملة كبيرة على فلسطين لإدخالها فى ملكه، فتحالف الإسرائيليون مع الآراميين واتحدوا جميعًا أمام خطر الأشوريين وأعد جيشًا كبيرًا لمقاومتهم ولكنهم منوا بخسارة جسيمة فى موقعة كركر أو قرقار عام ٨٥٣ ق.م وإن لم يعقبها نصر مباشرة للأشوريين حيث إنهم لم يتابعوا غزوهم (راجع تيودور روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١١٣ المجلد الثانى من تاريخ العالم نشر جون هامرتون، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٣٧٠.

الملك ياهو ضعف بعد ذلك أمامهم ودفع لهم الجزية عام ٨٤١ فى عهد ملكهم شلمنصر الثالث[١].

ثم أعقبت موت هذا الملك فترة ضعف للأشوريين شغلوا فيها باضطرابات خارجية ومتاعب داخلية[٢].

وفى هذه الفترة تمكنت إسرائيل من النهوض والازدهار وكان هذا أثناء حكم يربعام الثاني[٣].

غير أن الوضع قد تغير حينما ظهر تغلاث فلاسر الثالث (٧٤٥ـ٧٢٧ ق.م) الذى جدد سلطة الإمبراطورية الأشورية[٤]، وبادر إلى استعادرة جميع الأراضى التى فقدها أسلافه وأخذ الجزية من منحيم (ملك إسرائيل عام ٧٣٨ ق.م)[٥]، ونجح بسلسلة حملات فى إخضاع دمشق وعدد من مدن مملكة إسرائيل وتحويلها على مقاطعات أشورية وسبى سكانها إلى أشور[٦]، فهو أول من انتهج سياسة سبى

---

(١) كان من أول أعمال ياهو أن خضع للأشوريين وأدى لهم الجزية عام ٨٤١ ق.م وتذلل لملكهم شلمنصر الثالث الذى عاود هجماته على دمشق ولعل "ياهو" رأى أنه يستطيع أن يوطد ملكه بتجنب عداء الأشوريين والاعتماد على معاونتهم إذا ثارت عليه رعيته، ويمثل هذا الملك "ياهو" أو رسوله على "المسلة السوداء" التى أقامها شلمنصر الثالث وهو يقبل الأرض عن قدمى الملك الأشورى ويقدم الجزية بشكل أوان من الفضة والذهب والرصاص.
راجع روبنسون إسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١١٨، ١٢٠، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ صـ٢١١، موسكاتى: الحضارات السامية القديمة صـ١٤٥.

(٢) تيودور روبنسون: إسرائسل فى ضوء التاريخ صـ١١٨.

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ٧١.

(٤) د/ فيليب حتى/ تاريخ سورية جـ صـ٢١٣.

(٥) روبنسون: المصدر السابق صـ١٢١ـ١٢٢.
ورد فى سفر الملوك الثانى أن فول ملك أشور قدم على أرض إسرائيل ليحتلها فدفع له ملكها منحيم بن حادى ألف قنطار من الفضة فرجع عنها وثبت له ملكه (لوك ثان ١٥ : ١٩ـ٢٠)، وذكر المؤرخون أن فوق هذا هو تغلاث فلاسر الثالث نفسه (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٢١٩، ويلز/ معالم تاريخ الإنسانية مجلد٢ ك٤ صـ٢٩٦).

(٦) راجع ملوك ثان ١٥ : ٢٩ جاء فيه "فى أيام فتح ملك إسرائيل جاء تغلث فلاسر ملك أشور وأخذ عيون وابل بيت معكة ويانوح وقادوس وحاصور وجلعاد والخليل وكل أرض نفتالى وسباهم إلى أشور" وجاء فى كتابات تجلات بلاسر الثالث ما هذا نصه "قمت بضم جميع مدن بيت عومرى (مملكة إسرائيل وكانت تشتهر فى الآثار الأشورية على أنها بيت عمري" حملات السابقة ولم أترك سوى مدينة السامرة.
راجع كيللز: التوارة كتاريخ نقلا عن د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٥٨٥.

سكان الأقاليم التى يفتحها ونقلهم إلى أقاليم أخرى وإسكان أقوام آخرين فى بلدانهم ثم تبعه عليها الملوك الذين جاءوا من بعده[١].

ولم يكتف أيضًا بالأسلوب القديم وهو إبقاء الحكم الوطنى كتابع بل بدأ سياسة جديدة تقوم على إرسال نواب أشوريين من قبله ليحكموا المقاطعات المفتتحة[٢].

وكان مما شجعه على إرسال تلك الحملات أن آحاز ملك يهوذا قد استنجد به حينما تحالف ضده كل من رصين ملك دمشق وفقتح بن رمليا ملك إسرائيل جاء فى سفر الملوك الثانى: "وأرسل آحاز رسلا إلى تغلث فلاسر ملك أشور قائلا: أنا عبدك وابنك اصعد وخلصنى من يد ملك أرام ومن يد ملك إسرائيل القائمين على، فأخذ أحاز الفضة والذهب الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن بيت الملك وأرسلها إلى ملك أشور هدية، فسمح له ملك أشور وصعد إلى دمشق وأخذها وسباها إلى قير[٣] وقتل رصين، وسار الملك آحاز للقاء تغلث فلاسر ملك أشور إلى دمشق"[٤].

هذا ويذكر تيودور روبنسون أن سيطرة ملك أشور على دمشق وعلى مدن مملكة إسرائيل فيما عدا السامرة ـ قد تم عام ٧٣٢ ق.م[٥].

وحينما تولى آخر ملوك إسرائيل (هوشع بن أيلة) الحكم صعد عليه كما ورد فى سفر الملوك الثانى شلمنصر الخامس[٦] فصار له هوشع عبدًا ودفع له الجزية[٧]

---

(١) طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول صـ٥٠٩.

(٢) د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٣.

(٣) قير: سام معناه "سور أو مدينة ذات سور" ويطلق على مدينة كانت وطن الأراميين الأول ومنها خرجوا إلى الشام (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٧٥٢).

(٤) ملوك ثان ١٦ : ٧ـ١٠.

(٥) إسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢٢.

(٦) شامنصر الخامس تولى ملك أشو ربعد تغلث فلاسر وقد حكم من ٧٢٨ـ٧٢٢ ق.م (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٥١٦ـ٥١٧.

(٧) ملوك ثان ١٧ : ٣.

ويبدو أن الأشوريين هم الذين نصبوه ملكا صوريا من قبلهم حتى يدين لهم بالولاء ويدفع لهم الجزية صاغرا[1].

ولكن بعد سنوات من حكمه ـ وبتحريض من ملك مصر ـ لم يلبث هوشع أن تمرد على الأشوريين وامتنع عن دفع الجزية لهم فقام ملكهم شلمنصر الخامس بمهاجمته وتمكن من القبض عليه وألقى به فى السجن وحاصر مدينة السامرة مدة ثلاث سنوات[2].

وفى عام ٧٢٢ ق.م وعقب موت شلمنصر الخامس مباشرة سقطت السامرة حتى لنرى خلفه سرجون[3] الثانى (٧٢٢ـ٧٠٥) ينسب لنفسه فضل النصر عليها ويسجله فى حولياته قائلًا: "فى بداية حكمى وفى السنة الأولى حاصرت السامرة واستوليت على خمسين عربة من السلاح الملكى ثم ملأتها بسكان أكثر مما كان بها فأحللت بها مواطنين جددًا من بلاد كنت قد استوليت عليها وعينت رجالى حكاما عليها وفرضت عليها الجزية والضرائب كما يفعل الأشوريون[4].

وهكذا فإن الأشوريين قد قاموا بترحيل خيرة أو زبدة رجال مملكة إسرائيل

---

(١) ملوك ثان ١٦ : ٣٠ وقد ورد فى النقوش الأشورية "أما فيما يتصل ببيت خومريا فقد حملت أهلها وما يملكون جميعًا على أشور وأما ملكهم فقد خلع وعينت مكانه هوشع" راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٣٨٠ـ٣٨٢، زكى شنودة: اليهود صـ١٢١، د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق جـ٨ صـ٩٣٩.

(٢) ملوك ثان ١٧ : ٤ـ٥، وجاء فى السفر أن ملك أشور وجد فى هوشع خيانة لأنه أرسل رسلًا إلى سوا ملك مصر ولم يؤد جزية إلى ملك أشور حسب كل سنة.

(٣) لا يعرف على وجه اليقين علاقة سرجون بالملك السابق شلمنصر الخامس وإن كان قد قيل إنه اغتصب منه العرش عن طريق انقلاب قام به وحاول أن يتملق عواطف البابليين ومشاعرهم فأطلق على نفسه اسمًا سومريًا قديمًا (راجع الحديث عنه بالتفصيل: بريستيد: العصور القديمة صـ١٦٤، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الأول الكتاب الثالث صـ١٦٣، قاموس الكتاب المقدس صـ٤٦٣، طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة جـ١ صـ٥١١.

(٤) راجع تفاصيل ذلك: د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ صـ٢١٣، موسكاتى: الحضارات السامية صـ١٤٦، روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢٢، دائرة معارف البستانى ملجد٣ صـ٧١٣ـ٧١٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٣٨٢ جـ٥ صـ٢٦٩، د/ سليم حسن: مصر جـ٩ صـ٥٢٣.

وأحلوا مكانهم فى مدينة السامرة شعوبًا وأقوامًا من جنسيات متعددة[1] فاندمجوا مع من بقى منن الإسرائيليين وذابوا فيهم حتى تكون منهم ما عرفوا بالسامريين فى التاريخ اليهودي[2].

وكان من أثر هذا الاندماج وذلك الذوبان أن أخذ كل شعب من هذه الشعوب يعبد آلهته الخاصة به فى السامرة فتعددت الآلهة وتنوعت صور العبادة حتى بلغ ذلك ملك أشور فأرسل إليهم أحد الكهنة ليعلمهم كيف يتقون الرب ولكنهم لم يسمعوا له وخلطوا بين ما يأمرهم به وبين العبادات الوثنية[3].

ولكن أين ذهب أسباط اسرائيل العشرة سكان المملكة الشمالية وماذا كان مصيرهم؟[4].

---

(١) جاء فى سفر الملوك أن ملك أشور أتى بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفر وايم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضًا عن بنى إسرائيل، فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها (ملوك ثان ١٧ : ٢٤).
أما بابل فقد تحدثنا عنها قبل ذلك وأما كوث فكما يقول زكى شنودة: تقع فى الموضع المسمى اليوم تل إبراهيم الشمال الشرقى من بابل، وعوا كانت تقع فى بلاد الكلدان وأما حماة فهى التى لا زالت تحمل هذا الاسم وكانت مدينة حيثية تقع على نهر العاصى شمالى دمشق، وأما سفروايم فكانت مدينة بابلية تقع على نهر الفرات (راجع اليهود صـ١٢٤) وبذلك فإن الأشوريين ـ فضلا عن سياسة النفى التى اتبعوها بنقل أولئك الذين كانوا شوكة فى حانبهم ـ قد استعملوا طريقة الاستعمار وذلك بأن أحلوا محل المنفيين من الإسرائيليين غيرهم من قبائل بابل وعيلام وسوريا وبلاد العرب ووطنهم فى السامرة وأقطارها (سليم حسن: مصر جـ٩ صـ٥٢٣ـ٥٢٤)، ويذكر كوك أن الأشوريين كانوا يهدفون من رواء ذلك إلى كسر التحالف القديمة بإدخال أجانب فى البلاد والعمل على تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية بدرجة أكثر فاعلية عما سبقه من إجراءات وبدون شك فإن الغزوات الأشورية قد عجلت بنهاية الدويلات السامية المنهارة كما أن الأحوال القديمة قد تغيرت واختفت المعالم القديمة واضمحلت المشاعر العامة والقومية (نقلا عن د/ مهران: دراسات فى تاريخ الشرق جـ٨ صـ٩٤٩.
(٢) سبق أن تحدثت عنهم فى الفصل الثالث من الباب الأول.
(٣) راجع سفر الملوك الثانى ١٧ : ٢٥ـ٤١.
ومما جاء فيه أنه كانت كل أمة تعمل آلهتها وتصنعها فى بيوت المرتفعات التى أقامها السامريون فعمل أهل بابل سكوث بنوتث وأهل كوث عملوا نرجل وأهل حماة عملوا أشيما والعويون عملوا نِبْحزَ وترتاق والسفروايميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملك وعنملك إلهى سفروايم وقال: كانوا يتقون الرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين سبوهم من بينهم.
(٤) سبق أن ذكرت أن تغلاث فلاسر قد احتل مدن المملكة الشمالية (عدا السامرة) وسبى سكانها إلى أشور، ثم كان سبى أهل السامرة الذى تم على يد سرجون الثانى وكمغ ورد فى نقوشهم وصل إلى ٢٧٩٠ مواطنًا وعلى ذلك يكون الغالبية من الأسباط العشرة قد هاجرت من المملكة الشمالية وتم سبيهم إلى بلاد أشور.

لقد وضع الأشوريون نهاية لكيانهم كأمة وأنهوا حياتهم كشعب فلم يقدر لهذه الأسباط أن تعود إلى مواطنها التى كانت قد أخذتها غيلة واغتصابًا من أصحابها، وظلت تحتكر الحياة فيها مدى قرنين ونصف من الزمان.

ومن الثابت أنهم شردوا فى أنحاء الإمبراطورية الأشورية ولو أن الأشوريين قضوا عليهم لقلنا إن أمرهم انتهى بموتهم ولكنهم ظلوا أحياء يتكاثرون ويتناسلون، ولعل هذا هو ما دعا بعض الباحثين على محاولة إلقاء أضواء على الأماكن التى شردوا فيها أو استقروا بها[1].

ومن متابعة مختلف المصادر التى اعتمد عليها هؤلاء الباحثون فإننا نستطيع أن نصل إلى نتيجة لا مفر منها وهى أن الإسرائيليين قد انتشروا فى أعقاب السبى فى أنحاء العالم شرقًا وغربًا ولم يستطيعوا أن يستقوا فى مكان واحد وامتصوا فى يسر فى الشعوب التى حلوا بها واكتسبوا لغاتها وعاداتها وتقاليدها ومرت قرون طويلة ضاعت خلالها قوميتهم وجنسيتهم وكما لم يكونوا فى الأصل جنسًا نقيًا ظلوا كذلك بعد السبى وفقدوا فى التاريخ بعد أن امتزجوا بالشعوب التى حلوا فيها امتزاجًا كاملًا[2].

---

(١) ورد فى سفر الملوك الثانى أن ملك أشور حينما فتح مدينة السامرة قام بسبى الإسرائيليين إلى أشور وأسكنهم فى حلج وخابور نهر جوازن وفى مدن مادى وحلج تسمى اليوم حلا على نهر الخابور أحد فروع نهر الفرات وجوزان ولاية من ولايات ما بين النهرين بالقرب من حران (ملوك ثان ١٧ : ٦، ١٨ : ١١، زكى شنودة: اليهود صـ١٢٣).

ويذكر ويلز أن القبائل العشرة التائهة قد حير مصيرها عددًا كبيرًا من الأذهان الطلعة وأورد الدكتور نجيب ميخائيل بعض الآراء لعدد من المؤرخين القدامى أمثال جوزيف اليهودى وهيرودوت اليوناني.

راجع تفاصيل ذلك مصر والشرق جـ٣ صـ٣٨٢ـ٣٨٥.

ويلز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الأول الكتاب الثالث صـ١٦٣.

(٢) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ صـ٣٨٥ـ٣٨٦، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ صـ٢١٣، وينقل ظفر الإسلام خان عن جون مارلو قوله "وحسب الممارسة الأشورية المعتادة قد نقلت أغلبية السكان إلى جزء آخر من الولايات الأشورية فأدى هذا إلى اختفائهم من التاريخ حيث أنهم قد اندمجوا تمامًا مع الشعوب المجاورة فى مناطق النفى (تاريخ فلسطين القديم صـ٥٥).

وهكذا زال الإسرائيليون من الوجود أو كما قال د/ فيليب حتى: تلاشت مملكتهم إلى الأبد[1] وتحقق ما كان يهدف إليه الأشوريون من سبى هؤلاء الأسباط وإجلائهم.

فقد كان الهدف من ذلك ـ كما يقول توينى ـ هو تجزئة جماعاتهم وتحطيم هويتهم ومحو ذكرى أيام الاستقلال من نفوس مواطنيهم[2].

ويذكر برستيد أن الأشوريين قصدوا من إجلاء السكان عن أوطانهم إماتة روح التضامن الوطنى بحيث لا يتمكن الناقمون منهم على الفاتحين من الدفاع وحماية الديار[3].

وأيضًا فإنه حتى لا يتيسر لهؤلاء الأسباط العشرة التجمع فى مكان واحد والتكتل على أمل العودة إلى مناطقهم التى أبعدوا عنها تم تهجيرهم إلى المناطق الجبلية المنعزلة فى كردستان والعراق وتركيا وإيران ضمن حدود الإمبراطورية الأشورية حتى خفيت أخبارهم عن يهود المملكة الجنوبية فاعتبروا بحكم المفقودين لذلك سماهم الباحثون "الأسباط العشرة المفقودة"[4].

وكانت هذه خطة عجيبة عملت على خلط شعوب الشرق الأدنى وأحلت البؤس والشقاء فى ربوعها، وكثيرًا ما صورت تلك المشاهد المؤلمة فى المنحوتات الأشورية.

ولنا أن نتصور مبلغ الشقاء والعذاب اللذين كانت تقاسيهما تلك الجموع البائسة وهى تساق مسافات طويلة مع شيوخها وأطفالها ومرضاها[5].

---

(١) تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٣.

(٢) تاريخ البشرية جـ١ صـ١٩٦١ـ١٩٧ـ٢١٢ ترجمة د/ نقولا زيادة: الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٥.

(٣) بريستيد: العصور القديمة صـ١٦٩، راجع كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ٧٦.

(٤) د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٥٩٣.

(٥) طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة جـ صـ٥٠٩، (والحقيقة أن الأشوريين فيما يرى المؤرخون كانوا أول من قام بترحيل شعوب الأمم المنهزمة على نطاق واسع من بلادهم إلى بلاد =

هذا وكان قد تنبأ عدد من أنبياء العهد القديم بانهيار وسقوط مملكة إسرائيل ورسموا صورة وصفية للأحداث التى سبقت هذا الانهيار وذلك السقوط ومن هؤلاء هوشع وعاموس.

فأما هوشع فقد رسم صورة لإسرائيل (وهو نبى معاصر للأحداث) ولعل فيها كثيرا من الصدق لما كان يجرى فعلًا فهو يقول: "افرايم يختلط بالشعوب... إفرايم صار خبرمَلَّةَ لم يقلب، أكل الغرباء ثروته وهو لا يعرف، وقد رش عليه الشيب وهو لا يعرف وقد أذلت عظمة إسرائيل فى وجهه وهم لا يرجعون إلى الرب إلههم ولا يطلبونه مع كل هذا، وصار إفرايم كحمامة رعناء بلا قلب يدعون مصر يمضون إلى أشور، عندما يمضون أبسط عليهم شبكتى ألقيتهم كطيور السماء، أؤدبهم بحسب خبر جماعتهم، ويل لهم لأنهم هربوا عنى ـ تبًا لهم لأنهم أذنوا إلى أنا أفديهم وهم تكلموا على بكذب ولا يصرخون إليى بقبولهم حينما يولون على مضاجعهم"[1].

= أخرى وإحلال شعب آخر محلهم وكان ملوكهم يفخرون فى سجلاتهم بقوتهم الحربية معاملتهم الأمم المغلوبة على أمرها بكل صنوف القسوة فكانت جيوشهم أنى سارت وكيفما توجهت تلقى الخوف والرعب فى القلوب نظرا إلى ما كان عندها من الأسلحة ومعدات الحصار وما كانت عليه من شراسة الأخلاق والميل إلى الفتك والتنكيل بالأعداء مما جعل سكان آسيا الغربية يذوبون فرقًا ويقفون أمامهم صاغرين (راجع برستيد: العصور القديمة صـ ١٦٩ دى بورج: تراث العالم القديم جـ١ صـ٤١، أورسيل: الفلسفة فى الشرق صـ٨٠ قاموس الكتاب المقدس صـ٦٨ـ٦٩، ٨٠).

(١) فهو يذكر أن إفرايم أى سكان مملكة إسرائيل يختلطون بالشعوب إذ أنهم امدمجوا فيهم وامتجوا بهم وفقدوا صفاتهم بينهم فصاروا كالرغيف الذى يحترق من جانب ويبقى عجينا من الجانب الآخر ولا يصلح بشيء على أى وجه.

وكانوا يدفعون أنفسهم يسكون وبطء نحو هلاء أمتهم بنوع ما باعتداء الغرباء عليهم "أكل الغرباء ثروته".

وصاروا كالحمامة الرعناء التى لا تعرف كيف تدافع عن نفسها ولا تدبر لسلامته فهى لا تحزن على فقدوا لصغارها إذا ما أخذت منها وتغوى بسهولة بالطعم الذى يوضع فى الشبكة وتطير وتحوم فى كل مكان حتى تعرض نفسها للخطر.

فالشعب لم يطروا كالحمام على بيوتها لكى أمنوا من كل الطيور الجارحة التى انقضت عليهم لكنهم طرحوا بأنفسهم بعيدًا عن حماية الله إذ صاروا يدعون مصر لإغاثتهم واسرعوا على أشور لإعانتهم، (راجع هوشع ٧: ٨ـ١٢، متى هنرى: تفسير هوشع ترجمة المص مرقص داود صـ١٨٩ـ١٩٦، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٣٧٦، قاموس الكتب المقدس صـ٧٩، بريستيد: العصور القديمة صـ٢٢٨.

وأما عاموس فنراه يقول على لسان الرب كذلك "اسمعوا هذا القول الذى أنا أنادى ربه عليكم مرثاة يا بيت إسرائيل، سقطت عذراء إسرائيل لا تعود تقوم، انطرحت على أرضها ليس من يقيمها"[١]..

ويقول أيضا "فى جميع الأسواق نحيب وفى جميع الأزقة يقولون آه آه ويدعون الفلاح على النوح وجميع عارفى الثراء للندب وفى جميع الكروم ندب"[٢].

ويقول "بل حملتهم خيمة ملوككم وتمثال أصنامكم نجم إلهكم الذى صنعتم لنفوسكم، فأسبيك على وراء دمشق[٣].

وقد قال عاموس لأمصيا كاهن بيت إيل (هكذا قال الرب امرأتك تزنى فى المدينة وبنوك وبناتك يسقطون بالسيف وأرضك تقسم بالجبل وأنت تموت فى أرض نجسة وإسرائيل يسبى سبيا عن أرضه"[٤].

ويقول عاموس أيضًا "فقال لى الرب قد أتت النهاية على شعبى إسرائيل لا أعود أصفح له بعد فتصير أغانى القصر ولإول فى ذلك اليوم يقول السيد الرب: الجثث كثيرة يطرحونها فى كل موضع بالسكوت"[٥].

"وأحول أعيادكم نوحًا وجميع أغانيكم مراثى وأصعد على كل الأحقاء مسحًا وعلى كل رأس قرعة وأجعلها كمناحة الوحيد وآخرها يومًا مرا"[٦].

وقد كان عاموس يمثل هذا النوع الجريء الصادق من الوعاظ إذ هاله الزيف والفسق والفجور فى إسرائيل[٧].

---

(١) عاموس ٥ : ١ـ٢.
(٢) عاموس ٥ : ١٦ـ١٧.
(٣) عاموس ٥ : ٢٦ـ٢٧.
(٤) عاموس ٧ : ١٦ـ١٧.
(٥) عاموس ٨: ١ـ٣.
(٦) عاموس ٨ : ١٠.
(٧) راجع بالتفصيل عاموس عبدالمسيح: دراسة فى عاموس صـ١٢٧ وما بعدها، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٣٧٦ـ٣٧٧ قاموس الكتاب المقدس صـ٧٩، د/ محمد بيومى مهران: النبوة والأنبياء عند بنى إسرائيل صـ١٠٠ مطبعة الرشاد الإسكندرية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

هذا وقد اتجهت آمال اليهود إلى مملكة يهوذا الجنوبية بعد خراب مملكة إسرائيل الشمالية[١].

لكن إذا كان الأشوريون قد قضوا على مملكة إسرائيل وأسقطوا السامرة ٧٢٢ ق.م فإن مملكة يهوذا أيضا لم تكن بعيدة عن متناول يدهم ولم يكن أهلها يعيشون بمأمل منهم.

فمنذ أن استنجد ملكهم أحاز بالملك تغلاث الثالث ولبى دعوته وأغار على الأراميين ومملكة إسرائيل عام ٧٢٣ ق.م صارت مملكة يهوذا خاضعة للأشوريين تدين لهم بالولاء وتتبع سياستهم وتؤدى لهم الجزية[٢].

وظل أحاز طوال حياته مخلصًا للأشهوريين حتى يقال أنهم أقطعوا عددًا من قرى المملكة الشمالية فمكافأة له على ولائه لهم[٣].

وإذا كانت مملكة يهوذا قد عمرت بعد سقوط مملكة إسرائيل[٤] أكثر من قرن وثلث من الزمان فإنه بسقوط الثانية أصبحت الأولى مكشوفة للأشوريين وأكثر تعرضًا لهجماتهم المباشرة[٥].

---

(١) بريستيد: العصور القديمة صـ٢٢٨.

(٢) راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ صـ٣٩٩، د/ مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٨ إسرائيل صـ٩٧٠.

(٣) تيودور روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢٢، فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية صـ٨٩ الكاتب العربى للطباعة والنشر بدون تاريخ.

(٤) يرجع الدكتور نجيب ميخائيل ذلك على أسباب متعددة من بينها بعد المملكة الجنوبية عن الطريق الطبيعى من الشرق إلى الغرب كما أن أورشليم كانت منيعة نوعا ما، بينما الشمال مفتوح للغزو فى يسر للطامعين وكان الاستيلاء عليه هدفًا تطمع فى الوصول إليه أشور إن أرادت أن تطل على البحر وهو على جانب ذلك غزير الموارد الحربية فى صورة تهدد باستمرار الأمن الداخلى، لكنه يذكر أن المملكة الجنوبية قد عمرت مدى قرنين تقريبا وهو وخطأ ذلك لأن سقوط إسرائيل تم فى عام ٧٢٢ ق.م وسقوط يهوذا كان فى عام ٥٨٦ق.م كما أجمع على ذلك المؤرخون وهو من بينهم (راجع مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ سورية ٣٨٧).

(٥) راجع د. فيليب حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٦، سليم حسين: مصر جـ٩ صـ٥٢٧، د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم صـ٨٧.

فبعد أن مات حليفهم آحاز تولى بعده ابنه حزقيا (٧٢١ـ٦٩٣ ق.م) وقد بدأ حكمه باستمرار ولائه لهم، ولكنه فى عام ٧١١ ق.م عقد حلفًا ضدهم مع مصر فعاجله سرجون الثانى وقضى على هذا الحلف وأحبط محاولته فى مهدها[١].

وظل حزقيا تبعًا للأشوريين خوفا منهم حتى مات ملكهم سرجون الثانى، وحينما تولى ابنه سنحاريب ملك أشور (٧٠٥ـ٦٨١ ق.م) [٢] تحداه حزقيا وتمرد عليه وامتنع عن دفع الجزية له وتحالف مرة أخرى مع أعدائه، فاستشاط سنحاريب غضبا وزحف على مملكة يهوذا فى حملة قوية عام (٧٠١ ق.م) واستولى على عدد كبير من مدنها المحصنة، وعدد كبير من قراها المجاورة ونهب ما فيها من أموال وخزائن[٣].

وقام بسبى الآلاف من أهلها[٤]، وحاصر حزقيال فى أورشليم دون أن يتمكن من فتحها وظل محاصرًا له ولم يرجع عنه حتى أرسل إليه حزقيا قائلًا له:

---

(١) د/ حتى: المصدر السابق صـ٢١٦، قاموس الكتاب المقدس صـ٣٠٦، د/ عبدالحميد زايد: الشرق الخالد صـ٣٩٥، د/ فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية صـ٨٩.

(٢) تولى سنحاريب الملك بعد موت أبيه سرجون الثانى ويذكر برستيد أنه قد فاقه عظمة وإجلالا ويعد من أعظم رجال السياسة فى زمانه حنكة ودراسة ليس فى بلاده فقط بل فى سائر بلدان الشرق الأدنى القديم وكان مجرد ذكر اسمه كافيا لإلقاء الرهبة والمهابة فى قلوب الناس (العصور القديمة صـ١٦٤، جورج رو: العراق القديم صـ٤٢٦ـ٤٣٢ قاموس الكتاب المقدس صـ٤٨٧ـ٤٨٨.

(٣) ملوك ثان ١٨ : ١٣ تيودور روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخصـ١٢، وغذا كان سفر الملوك الثانى يذكر أن سنحاريب قد استويل على ميع مدن يهوذا المحصنة فإن النص رالأشورى يذكر على لسان سنحاريب قوله: أما حزقيا اليهودى الى لم يخضع لسلطتى فإننى حاصرت ستًا واربعين من مدنه القوية المسورة والمدن التى بجوارها والتى لا يمكن تعدادها وفتحها وهيتها واعتبرتها غنائم "وقد أورد نص سنحاريب كتاب د/ حتى: تاريخ سورية جـ صـ٢١٧، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٥ صـ٢٨٠ـ٢٨٢، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٨٥٥ـ٥٨٩، وقد نقش النص على جدران قصره فى نيونى إلى جانب صورته وهو جالس على عرشه فى مقر عملياته.

(٤) جاء فى الأثر الأشورى على لسان سنحاريب قوله "واستوليت منهم على ١٥٠، ٢٠٠ ألف نسمة رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا" ويذهب فيليب حتى إلى أن ما يدعيه سنحاريب من أخذ هذا العدد من الرجال يشير إلى عدد سكان يهوذا كما كانوا يقدرونه حينذاك وقد اعتبرهم الملك الأشورى غنائم حرب، تاريخ سورية جـ١ صـ١٢٧.

"قد أخطأت، ارجع عنى ومهما جعلت على حملته".

ففرض عليه ثلاث مائة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب وقدم له كل ما فى بيت الرب وبيت الملك من خزائن[١].

وسمح سنحاريب لحزقيا أن يحتفظ بعرض يهوذا كتابع لأشور وأجبره على أن يدفع ما عليه من جزية متأخرة وأن يرسل إليه بناته ومحظياته من نساء القصر إمعانًا فى إذلاله[٢].

ومن المتفق عليه أن سنحاريب قد أوقع على حزقيا عقابًا قاسيًا وأنه جعل سلطانه مقصورًا على دولة المدينة الصغيرة أورشليم (مدينة داود) واستولى منه على كل بلاد يهوذا التى وهبها للملوك الفلسطينيين الموالين له[٣].

ولا نزاع فى أن مملكة يهوذا قد ضعفت قوتها وتقلصت رقتها وخرجت مدنها بسبب هذه الحملة، وظلت فى الثلاثة أرباع الأولى للقرن السابع ق.م خاضعة للأشوريين وتدفع لهم الجزية بانتظام[٤].

إذا استمر منسى بن حزقيا على ولائه لهم وإن كان قد حاول التمرد على أسرحدون بن سنحاريب[٥] (٦٨١ـ٦٦٩ ق.م) فأرسل إليه جنده وحملوه مكبلًا

---

(١) راجع ملوك ثان ١٨ : ١٤ـ١٩ وورد فى النص الأشورى على لسان سنحاريب "وأما حزقيا فإننى حبسته كعصفور فى قفص فى أورشليم وأحطته بأكوام من الأتربة للتضييق على كل من يحاول الخروج من باب المدينة.

راجع د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٧، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٥٨٩.

(٢) د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٧، د/ مهران جـ٨ نقلا عن مصادر أجنبية صـ٩٧٥.

(٣) د/ مهران جـ٨ صـ٩٧٥ـ٩٧٦ نقلا عن مصادر أجنبية، راجع النص الأشورى الذى سجله سنحاريب، د/ نجيب ميخائيل جـ٥ صـ٢٨٠ـ٢٨١، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود صـ٥٨٩.

(٤) / حتى: تاريخ سورية جـ صـ٢١٨، راجع سليم حسن: مصر جـ٩ ص٥٢٨ـ٥٢٩.

(٥) راجع تفاصيل الحديث عنه: جورج رو: العراق القديم صـ٤٣٣ـ٤٣٨، قاموس الكتاب المقدس صـ٦.

بقيوده إلى بابل ثم أعادوه إلى أورشليم مرة أخرى[1] فظل مستسلمًا لهم وبالغ فى إرضائهم طوال حياته[2].

ويبدو أن ابنه أمون قد تابعه فى ذلك حتى إذا ما اعتلى يوشيا العرش حوالى عام ٦٣٨، بدأ فى التحرر من سلطان الأشوريين مستغلًا ضعفهم الذى أدى إلى زوال دولتهم وسقوط عاصمتهم عام ٦١٢ ق.م[3].

وإذا كانت مملكة يهوذا بذلك قد تحررت من تسلط الأشوريين فإنها لم تلبث أن وقعت تحت قبضة البابليين وهو ما سنراه فى الصفحات التالية.

---

(١) أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ١١ـ١٣.

(٢) روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢٣، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ٢٨٩.

(٣) راجع د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٨، موسكاتى: الحضارات السامية القديمة صـ٧٠.

المبحث الخامس
سقوط مملكة يهوذا والسبى البابلي

يذكر بريستيد أن اليهود حينما رأوا خراب نينوى (عاصمة الأشوريين) عام ٦١٢ امتلأت قلوبهم بهجة وأملوا أن يكون معنى هذا الخراب خلاصهم من ظلم الأجنبى، إلا أن ذلك لم يكن إلا استبدال سيد أجنبى بآخر[١].

فبعد زوال الأشوريين وقعت مملكة يهوذا بين شقى الرحى: مصر وقوة بابل الصاعدة وترددت أورشليم وتأرجحت بين سياسة الخضوع للكلدانيين[٢] وبين سياسة التحالف مع المصريين ولكن ملكها (يهوياقيم (٦٠٨ـ٥٩٧) اختار السياسة الأخيرة[٣] مخالفًا بذلك سياسة أبيه يوشيا[٤] ومن قبله حزقيا[٥] وضاربًا بعرض الحائط تحذيرات النبى أرميا[٦].

---

(١) العصور القديمة صـ٢٣٠.

(٢) الكلدانيون هم الذين كونوا سلالة بابل الحديثة وأقاموا الدولة البابلية الأخيرة وسيطروا على الشرق القديم بعد الأشوريين.

(٣) راجع د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٨، موسكاتى: الحضارات السامية صـ١٤٦.

(٤) سبق أ، ذكرت وكما ورد فى سفر الملوك الثانى أو يوشيا قد وقف فى وجه ملك مصر (الفرعون نخو) فقتله فى مجدو حين رآه (ملوك ثان ٢٣ : ٢٩ـ٣٠).

(٥) كان حزقيا ممن يميلون غليبابل وقد ساتقبل الوفد البابلى الذى بعثه إليه ملكهم مردوخ بلادان برسائل وهدايا فسمح لهم حزقيا وأطلعهم على أسرار ملكه وحين علم بذلك أعشيا تنبأ له بأن قومه سيساقون ارى على بابل ويؤخذ من بيته من يكونون خصيانا فى قصر ملك بابل (ملوك ثان ٢٠ : ١٢ـ١٩).

(٦) راجع أرميا ٣٦ : ١ـ٣٢/ ٤٦ : ١٣ـ٢٦.

فكان هذا التحالف يمثل تحديًا لملك الكلدانيين (نبوخذ نصر[1] ٦٠٥ـ٥٦٢ ق.م) الذى قضى على سيادة المصريين بأن هزمهم فى موقعة قرقميش عام (٦٠٥ ق.م)[2].

ويبدو أن نبوخذ نصر قد واصل السير بجيشه إلى فلسطين فدخلها ٦٠٤ ق.م وحينئذ اضطر يهوياقيم على الاستسلام له وأظهر الخضوع والطاعة مدة ثلاث سنوات "فى أيامه صعد بنوخذ نصر ملك بابل فكان له يهويا قيم عبدًا ثلاث سنين ثم عاد فتمرد عليه"[3] وذكر المؤرخون أن هذا التمرد كان فى عام ٦٠١ ق.م وكان بتشجيع من مصر[4]، ولكن نبوخذ نصر قضى على هذا التمرد فأرسل إليه جيشا مؤلفا من الكلدانيين والآرميين والمؤابيين والعمونيين حيث لم ير ضرورة الذهاب إليه بنفسه[5].

لكنه بعد ذلك قام بشن حملة عليه فى عام ٥٩٧ ق.م إذ زحف بجيشه على أورشليم وبينما هو فى طريقه إليها مات يهوياقيم[6] فخلفه ابنه يهوياكين الذى لم يستغرق حكمه سوى ثلاثة شهور[7].

---

(١) نبوخذ نصر هو ابن بنوبولاسر وخليفته وقد استمر فى الحكم مدة ثلاثة وأربعين عامًا (٦٠٥ـ٥٦٢ ق.م) وقيل من (٦٠٤ـ٥٦١ ق.م) وهو أعظم ملوك الكلدانيين وبلغت قوة بابل فى عهده ذروتها. راجع الحديث عنه بالتفصيل بريستيد: العصور القديمة، دى بورج: تراث العالم القديم جـ١ صـ٤٣، طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة جـ١ صـ٥٤٦ وما بعدها، د/ سامى سعيد الأحمد: سلالة بابل الحديثة ضمن العراق فى التاريخ صـ١٦٤ـ١٦٥.

(٢) راجع د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٩، كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ٨٨ د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٣٠٣ـ٣٠٤، سليم حسن: مصر جـ٩ صـ٥٣٠.

(٣) ملوك ثان ٢٤ : ١ ويذكر سفر الأخبار الثانى أن بنوخذ نصر قيده قبل أن يظهر خضوعه بسلاسل من نحاس ليذهب إلى بابل (٣٦ : ٦).

(٤) د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٣٠٤.

(٥) ملوك ثان ٢٤ : ٢.

(٦) ذكر بعض المؤرخين أن يهوياقيم قد مات ميتة طبيعية قبل أن يصل غليها بنوخذ نصر (راجع د/ ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٢ جـ٥ صـ٣١٧، د/ مهران جـ٨ ص٩٨٩ نقلًا عن مصادر أجنبية) وهناك من يذكر أنه مات أثناء حصار بنوخذ نصر لأورشليم (طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ١ صـ٥٤٧، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود صـ٦٠٥، وقيل إنه قتل وطرحت جثته خارج أبواب أورشليم كما تنبأ له أرميا بأنه سيدفن دفن حمار (راجع أرميا ٢٢ : ١٨ـ١٩ / ٣٦: ٢٧ـ٣٢، شولتر العهد القديم بتكلم صـ٣٠٣، د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٩).

(٧) ملوك ثان ٢٤ : ٨ وزاد عليها سفر أخبار الأيام الثانى عشرة أيام (٣٦ : ٩).

وحين وصل نبوخذ نصر إلى أورشليم فرض عليها الحصار فاضطر يهوياكين إلى الاستسلام فقام نبوخذ نصر بنهب ما فى أورشليم من خزائين الهيكل وخزائن بيت الملك وساق يهوياكين وأمه ونساءه ورجال الجيش ورؤساء اليهود وصناعهم أسرى إلى بابل[١]، وقد اختلفت الأسفار فى تحديد أعدادهم[٢].

وكان تسليم يهوياكين لأورشليم انقاذًا لها من دمار محقق بل كان من مثرة هذا الاستسلام أن عام بنوخذ نصر المدينة برفق نسبي[٣].

ويعتبر هذا السبى هو السبى الأول ليهود أورشليم إلى بابل، وتنظر التوارة إليه على أنه مرحلة حاسمة فى تاريخ نهاية يهوذا فلقد تم فيه إبعاد حوالى عشرة آلاف رجل ـ على أرجح الآراء ـ يكونون هم وأسرهم قرابة الثلاثين ألفا من الناس معظمهم من أورشليم والبقية الباقية من مدن الجنوب[٤].

على أن ذلك السبى لا تقاس أهميته فى الواقع بعدد المسبين ولكن بنوعيتهم فقد سبيت العائلة المالكة والكهنة والأنبياء[٥]، وفوق كل هؤلاء الجنود والصناع والحرفيون وهذه المجموعة الأخيرة تكون الجيش ومعداته ولهذا فإن لذكرها أهمية خاصة ولعل مما يشير كثيرًا إلى أهمية المنفيين قول التوراة أنه "لم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض"[٦].

---

(١) راجع ملوك ثان ٢٤ : ١٠ـ١٦.

(٢) فى عدد أفراد السبى كثير من المفارقات فهو مرة عشرة آلاف وأخرى ثمانية آلاف وثالثة ثلاثة آلاف وثلاثة وعشرون يصلون على أربعة آلاف وستمائة أحيانًا على دفعات، ويرجح أغلب العلماء أنهم كانوا عشرة آلاف.
راجع ملوك ثان ٢٤ : ١٤، ١٦، ارميا ٥٢ : ٣٨، د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٢١٨ ول ديورانت: قصة الحضارة المجلد الأول الجزء الثانى صـ٣٥٧، طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ١ صـ٥٤٧، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٢ـ٤١٣.

(٣) هوامش موسكاتى للدكتور السيد بكر صـ٢٨٣ نقلا عن مصادر أجنبية، د/ نجيب ميخائيل مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٢.

(٤) راجع ملوك ثان ٤٢ : ١٠ـ١٤، أرميا ٢٤ : ٢ ٧١ : ٢٠/٢٩ : ١ـ٢، / محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى جـ٨ صـ٩٩٠.

(٥) ملوك ثان ٢٤ : ١ض٤ راجع د/ مهران: المصدر السابق نقلًا عن مصادر أجنبية.

(٦) من أبرز الأنبياء الذين تم أسرهم فى هذا السبى النبى حزقيا (راجع ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ٣٦١، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ صـ٢١٩، صموئيل شولتر: العهد القديم يتكلم صـ٤٧٧.

وبهذا السبى يكون قد تم نفى خيرة الشعب ليبدأ بذلك عصر المنفى أو عصر السبى البابلي.

وإذا كان نبوخذ نصر قد قام بخلع يهوياكين ونفيه إلى بابل[١] فإنه عين مكانه عمه متتنيا بن يوشيا ملكًا على يهوذا وغير اسمه على صدقيا[٢] ووعده نبوخذ نصر بالاحتفاظ بعرشه على أن يتعهد له بالولاء التام لبابل وأكد له هذا التعهد بأن استحلفه بالله[٣].

وقد استمر صدقيا[٤] (٥٩٧ـ٥٨٦ ق.م) على ولائه وخضوعه لملك بابل طيلة أربع سنوات حتى "صار فيها كألعوبة أو دمية فى يده"[٥].

ولكنه فى عام ٥٩٣[٦] أو فى عام ٥٩٤ ق.م[٧] قام بأول حركة ثورية ضد الاحتلال البابلى إذ تم عقد تحالف سرى بين يهوذا وأدوم ومؤاب وعمون وصيدا وصور بحضور صدقيا فى أورشليم[٨] بقصد القيام بحركة عامة ضد بابل.

ولكن لم يقدر لهذه الحركة النجاح وإنما باءت بالفشل بل ربما انتهت إلى التشكيك فى نوايا صدقيا وفى ولائه، إذ أنه استدعى إلى بابل ليحاسب عن أعماله وليقدم تفسيرًا عن كل ذلك[٩].

---

(١) تذكر الأسفار أن يهوياكين بقى مسجونا وقربه غليه وأكرمه (مولك ثان ٢٥ : ٢٧ـ٣٠، أرميا ٥٢ : ٣١ـ٣٤).

(٢) ملوك ثان ٢٤ : ١٧، أخبار ثان ٣٦ : ١٠، ولا يخفى أن تغيير الاسم ينبئ عن سيادة نبوخذ نصر ومدى خضوع وتبعية صدقيا.

(٣) أخبار ثان: ٣٦ : ١٣.

(٤) آخر ملوك يهوذا.

(٥) شولتر: العهد القديم يتكلم صـ ٣٠٤.

(٦) الأدب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ٧٦٠.

(٧) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ٣ صـ٤١٣.

(٨) أرميا ٢٧ : ٣.

(٩) أرميا ٥١ : ٩٥ (راجع د. ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٣ـ٣١٤، د/ محمد مهران جـ٨ صـ٩٩٩ نقلا عن مصدر أجنبي.

ولكن حدث بعد ذلك وفى عام ٥٨٨ ق.م أن صدقيا أعلن تمرده على ملك بابل وقام بحركة جديدة ـ يتشجيع من مصر ـ للتخلص من النير البابلي[١].

وانقسم أهل يهوذا فى ذلك الوقت إلى فريقين: فريق يتزعمه صدقيا ويتكلم باسمه (النبى) حننياويدعو على كسر النير البابلى باسم الرب ويعلن أن قبضة البابليين خشبية ويجب أن تكسر[٢].

والفريق الآخر يتزعمه (النبى) أرميا الذى أخذ يتحرك منذرًا بفمه وبنير من الخشب يحمله على كتفيه مشيرا على أن نير بابل سيظل على كواهل الشعب بأمر يهوه وأن محاولة التخلص منه عبث لا طائل وراءه[٣].

وحينما كسر حننيا منه نير الخشب أعلن أن الرب قد استبدله بنير من الحديد وأن قبضة البابليين حديدية ولن تتمزق[٤].

وأخذ يتنبأ بأن ملك مصر سوف يعود إلى بلده وأن البابليين سوف يستولون على أورشليم ويحرقونها وأنه يجب وضع أعناق الأمة تحت نير ملك بابل بأمر الرب أيضًا، وهكذا كان شأن من يدعون النبوة من بنى إسرائيل إلا من عصم[٥].

ولذلك فإن ول ديورانت يذكر أن أرميا كان من أشد الأنبياء حقدًا على قومه يدافع عن بابل ويعلن فى الملأ أنها سوط عذاب فى يد الله، ويتهم حكام يهوذا بأنهم

---

(١) ملوك ثان ٢٤ : ٢٠، أخبار ثان ٣٦ : ١٣، حزقيا ١٧ : ١٥.
وقد حددها العلماء بهذا التاريخ على أساس أن حزقيا تولى عام ٥٩٧ ويذكر السفر أن التمرد كان فى السنة التاسعة من حكمه (٥٨٨ ق.م).

(٢) راجع أمريا ٢٨ : ١ـ٤ والنبى حننيا كان أحد الأنبياء المعاصرين لأرميا (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٣٢٤).

(٣) راجع د/ ماير: حياة أرميا صـ٢١٩، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٣، د/ عبدالعزيززز صالح: مصر والعراق صـ٣٠٦، ٥٥٦.

(٤) راجع أرميا ٢٨ : ١٠ـ١٤.

(٥) د/ عبدالعزيز صالح المصدر السابق.

بلهاء معاندون وينصحهم بأن يسلموا أمرهم كله إلى بنوخذ نصر، حتى ليكاد من يقرأ أقواله[١] فى تلك الأيام يظن أنه من صنائع بابل المأجورين[٢].

وعلى أى حال فإن صدقيا ـ كما تذكر الأسفار ـ لم يسمع هو ولا عبيده ولا شعب الأرض لكلام الرب الذى تكلم به عن يدارااميا (النبى)[٣] واستمر فى ترمده على ملك بابل.

وما إن علم نبوخذ نصر بهذا التمرد حتى استشاط غضبا وزحف بجيش كثيف على مملكة يهوذا[٤] فأخذ يسقط مدنها الواحدة[٥] تلو الأخرى حتى وصل إلى أورشليم فحاصرها واستمر حصاره لها حوالى ثمانية عشر شهرًا[٦].

---

(١) ومن بعض أقوال أرميا ما ورد فى سفره "قال رب الجنود إله إسرائيل هكذا تقولون لسادتكم أنى أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذى على وجه الأرض بقوتى العظيمة وبذراعى الممدودة وأعطيتها لمن حسن فى عينى والآن قد دفعت لك هذه الأراضى ليد نبوخذ نصر ملك بابل عبدى وأعطيته أيضا حيوان الحقل ليخدمه فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنه حتى يأتى وقت أرضه أيضا فتستخدمه شعوب كثيرة وملوك عظام أو يكون أن الأمة التى لا تخدم نبوخذ نصر ملك بابل والتى لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل أنى أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء، يقول الرب حتى أفنيها بيده فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرافيكم وحاليكم وعائقكم وسحرتكم الذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل لأنهم إنما يتبأون لكم بالكذب لكى يبعدوكم من أرضكم ولأكردكم فتهلكوا والأمة التى تدخل عنقها تحت نير ملك بابل وتخدمه أجعلها تستقر فى أرضها وتعلمها وتسكن بها.
(ارمسا ٢٧ : ٥ـ١١).
وحدث أرميا بهذا الكلام صدقيا وكلم به الكهنة (أرميا ٢٧ : ١٢ـ١٨).
وكتب بمثله ايضا إلى المنفيين فى بابل من أهل السبى الأول وأخبرهم بأن الرب سيذكرهم بعد سبعين عاما من إقامتهم فى بابل ويردهم على أورشليم. (أمريا ٢٩ : ١٠).

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ ٣٥٨.

(٣) أخبار ثان ٣٦ : ١٢.

(٤) أمريا ٣٧ : ١ـ٢.

(٥) ملوك ثان ٢٥ : ١.

(٦) تولى صدقيا الحكم عام ٥٩٧ق.م وتذكر الأسفار أن جيش نبوخذ نصر حاصر أورشليم فى الشهر العاشر من العام التاسع من حكم صدقيا أى ما يوافق أواخر عام ٥٨٨ ق.م وتمم فتحها فى الشهر الرابع من السنة الحادية عشرة من حكمه أى ما يوافق أوائل عام ٥٨٦ ق.م فتكون مدة الحصار حوالى ثمانية عشر شهرًا أى ما يعادل عامًا ونصف العام (راجع أرميا ٣٩ : ١ـ٢ (ملوك ثان ٢٥ : ١ـ٣).

وإن كان قد تم رفع الحصار مؤقتًا حينما اضطر البابليون لمحاربة الجيش المصرى الذى خرج لنجدة المحاصرين جاء فى سفر أرميا "وخرج جيش فرعون من مصر، فلما سمع الكلدانيون المحاصرون أورشليم بخبره صعدوا عن أورشليم"[1].

وحين رفع الحصار فرح اليهود وألموا فى الخلاص من البابليين ولكن أرميا خيب أملهم بقوله "هب أن جيش فرعون الخارج إليكم لمساعدتكم يرجع إلى أرضه إلى مصر ويرجع الكلدانيون ويحاربون هذه المدينة ويأخذونها ويحرقونها بالنار هكذا قال الرب لا تخدعوا أنفسكم قائلين: إن الكلدانيين سيذهبون عنا لأنهم لا يذهبون[2].

وقد وقع فعلًا ما تنبأ به أرميا إذ تمكن البابليون من صد المصريين وإرجاعهم على أعقابهم ثم استأنفوا فرض الحصار على أورشليم ولكن بشكل أكثر عنفًا وأشد قسوة من ذى قبل، وبدأ المحاصرون يحسون بوطأته بسبب تفشى المجاعة وما صاحبها من ذعر واضطراب[3].

وأخيرًا تمكن الجيش المحاصر من التسلل إلى المدينة بعد أن أحدثوا ثغرة فى أحد

---

(١) أرميا ٣٧ : ٥ سبق أن أشرت إلى هذا الفرعون الذى يسمى فى التوراة "خفرع" وقد اشتهر عند الإغريق باسم إبريس (أرميا ٤٤ : ٣٠ مصر والعراق صـ٣٠٥).

(٢) راجع أرميا ٣٦ : ٦ ـ ت١٠، تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٩٠ـ٢٩١، وقد خيل إلى الأمراء فى حاشية صدقيا أن كلام أرميا هذا غدر بالوطن وخيانة له وتريق آراء اليهود وأرواحهم فى ساحة المحنة ولكنه لم يعبأ بأقوالهم وأخذ يسخر منهم ويتنبأ بخراب أورشليم وحاول الكنهة أثناءه عن عمله هذا بوضع رأسه فى الدقن ولكنه وهو فى هذا الوضع ظل يشهر بهم فما كان منهم إلا أن يستدعوه إلى الهيكل وأرادوا قتله غير أنه استطاع أن يفلت منهم بمعونة صديق له من الكهنة ثم قبض عليه الأمراء وربطواه فى حبال وأنزلوه فى بئر مملوءة بالوحل، ولكن صدقيا خفف هذا العقاب بأن سجنه فى فناء القصر وفيه وجده البابليون حين سقطت أورشليم فى أيديهم وأمر نبوخذ نصر رجاله أن يحسنوا معاملته وأن يعفون من قرار النفى العام ٠راجع أرميا ٣٧: ١١ـ٢١/ ٣٨: ١٠ـ١٣، قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ٣٦٠.

(٣) راجع أخبار تلك المجاعة وذلك الاضطراب فى الإصحاح الأول من مراثى أرميا وسفر أرميا ٢١ : ٧ـ٩، ملوك ثان ٢٤ : ٣ـ٤، راجع أيضا د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٢٢٠، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ سورية صـ٤١٥، د: أحمد سوسة مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٦٠٦.

أسوارها فغدا الموقف ميئوسا منه وحاول صدقيا الهرب بأسرته ومعه رجال جيشه ولكن الكلدانيين أخذوا فى مطاردتهم حتى أدركوا الملك فى أريحا ـ وقد تفرق عنه جيشه ـ فقبضوا عليه وحملوه إلى معسكر نبوخذ نصر فى ربلة[١] وهناك ذبحوا أبناءه أمامه ثم فقأ الملك عينيه إمعانًا فى إذلاله وليكون ذبح أبنائه آخر مشهد يراه بهما، ثم قيدوه بالسلاسل ليعودوا به مغلولًا إلى بابل[٢].

وبعد حوالى شهر من الزمان قام الجيش الكلدانى بتدمير أورشليم تدميرًا كاملًا إذ أحرق أفراد بيت الرب وبيت الملك بعد أن نهبوا ما فيها من كنز وخزائن وأحرقوا كل بيوت عظماء أورشليم وهدموا جميع اسوارها وقبضوا على الآلاف من اليهود فحملوا بعضهم إلى ملكهم فى ربلة فقتلهم وقاموا بسبى الذين بقوا من السيف ـ كما يعبر السفر ـ إلى بابل فكانوا لملك بابل ولبنيه عبيدًا إلى أن ملكت مملكة فارس.

ولم يبق فى أرض يهوذا إلا مساكين الأرض من الكرامين والفلاحين[٣] وقد تم تدمير أورشليم وترحيل صدقيا ومن معه من اليهود المسبيين إلى بابل فى عام ٥٨٦ ق.م[٤].

ويسمى هذا السبى بالسبى الثانى إلى بابل، واختلف العلماء فى تحديد أعداد الذين سبوا فيه فقدرهم البعض بنحو خمسين ألفًا[٥] وقدرهم البعض الآخر بحوالى أربعين ألفًا[٦].

---

(١) مدينة فى أرض حماة عسكر فيها نبوخذ نصر قريبا من أورشليم (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٣٩٨).

(٢) راجع تفاصيل هذه الأحداث فى سفر الملوك الثانى ٢٥ : ٣ـ٧، أرميا ٣٩: ٣ـ٧.

(٣) راجع تفاصيل ذلك فى: سفر الملوك الثانى ٢٥ : ٨ـ٢١، وأخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٧٨ـ٢١، أرميا ٣٩ : ٨ـ١٠.

(٤) هناك شبه إجماع من المؤرخين على أن التدمير والسبى الثانى تم فى هذا التاريخ ٥٨٦ ق.م اعتمادًا على نصوص التوراة ومقارنتها بالآثار التاريخية (راجع على سبيل المثال موسكاتى: الحضارات السامية: صـ٧٠، ٧١، بريستيد: العصور القديمة صـ٣٠، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ك٤ صـ٢٩٧ـ٢٩٨.

(٥) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٢٢٠، سليم حسن: مصر جـ٩ صـ٥٣٢، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٦٠٦.

(٦) طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ١ صـ٥٤٨، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ٥ صـ٣٢٠.

وهكذا دمرت أورشليم وصارت قاعًا صفصفًا، وسقطت مملكة يهوذا بعد أن خربت السامرة وسقطت مملكة إسرائيل من قبل.

وقد لخص ويلز تاريخ المملكتين ونهايتهما بقوله "ويصبح تاريخ ملوك إسرائيل وملوك يهوذا تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقى الرحى تعركهما على التوالى سوريا ثم بابل من الشمال ومصر من الجنوب.

وهى قصة نكبات وتحررات لا تعود عليهم إلا بإرجاء نزول النكبة القاضية، هى قصة ملوك همج يحكمون شعبًا من الهمج، حتى إذا وافت سنة (٧٢٢ ق.م) محت يد الأسر الأشورى مملكة إسرائيل من الوجود وزال شعبها من التاريخ زوالا تاما، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى حل بها ما حل بإسرائيل وكان ذلك عام (٥٨٦ ق.م)[١].

وتكاد الأجداث تكون متشابهة فى المراحل التى مرت بالسامرة وأورشليم وأدت إلى انهيارها وسقوطها[٢].

إلا أن الملك البابلى قد اختلف عن نظيره الأشورى فى أنه لم يقم بترحيل كل اليهود من أورشليم وإنما أبقى منها ـ كما أشرت من قبل ـ عددًا من البائسين والتعساء (مساكين شعب الأرض)[٣].

---

(١) موجز تاريخ العالم صـ٩٣.

(٢) من أوجه التشابه والماثل التى لاحظها المؤخرون أن أمر الملكية قد انتهى فى المملكة الشمالية بستة من الملوك حكموا مدى عشرين عامًا لم يمت منهم ميتة طبيعية سوى مناحم وفى المملكة الجنوبية نلتقى كذلك ستة ملوك فى آخر عهدها بالمملكة لا ينجو من بينهم من القتل أو الأسر سوى يهوياقيم وإن كان أحرهم بهذا المصير.

وكما كان هناك نبيان يرقبان سقوط إسرائيل: واحد من الداخل والآخر من الخارج وهما هوشع وأشعيا فإن الأمر كذلك بالنسبة ليهوذا إذ كان هناك أرميا وحزقيا فى نفس الموضع، أما معول تدمير السامرة وانهيارها فكانت اشور وأما سقوط أورشليم فكان على يدى بابل.

راجع د/ نجيب ميخائيل: مصو والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ٤١٠.

محمود نعناعة: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل صـ٢٩٣ مكتبة الأنجلو المصرية.

(٣) ملوك ثان ٢٥ : ١٢.

وهو أيضًا لم يعين أحد البابليين حاكمًا على أوشليم ـ كما فعل ملك أشور حينما عين أحد الأشوريين حاكمًا على السامرة ـ وإنما أقام على اليهود واحدًا منهم[1].

وكان من الدعاة المتحمسين للاحتلال البابلى ومن المشجعين عليه إذ أنه قال لقومه "لا تخافوا من عبيد الكلدانيين اسكنوا الأرض وتعبوا لملك بابل فيكون خيرًا لكم"[2].

ولكن بعد سبعة أشهر من تعيينه خرج عليه أحد أفراد النسل المالكي[3] ومعه عشرة من الرجال فقتلوه هو ومن معه من اليهود والكلدانيين[4].

ويذكر سفر أرميا أن الكلدانيين قد سبوا مجموعة من اليهود فى عام ٥٨٢ق. م بلغ عددها سبعمائة وخمسة وأربعين فردًا ويسمى هذا السبى بالسبى الثالث إلى بابل[5].

وهكذا تم السبى البابلى على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: كانت فى عام ٥٩٧ ق.م واختلف فى عدد المسبيين فيها، وإن كان غالبية العلماء يرجحون أنهم عشرة آلاف.

المرحلة الثانية: كانت فى عام ٥٨٦ ق.م واختلف أيضا فى عدد المسبيين ما بين أربعين ألفا وخمسين ألفا كما سبق.

المرحلة الثالثة: وقد اعتمد فيها المؤرخون ما ورد فى سفرا أرميا من أنهم كانوا سبعمائه وخمسة وأربعين فردًا.

---

(١) واسمه جداليا بن أخيقام.

(٢) راجع ملوك ثان ٢٥ : ٢٤ أرميا ٤٠ : ٩.

(٣) ويسمى إسماعيل بن نثنيا.

(٤) ملوك ثان ٢٥ : ٢٥ وقد ورد فى سفر أرميا تفاصيل قتله وما تلاه من أحداث حيث أقاموا له وليمة ثم ائتمروا به وقضوا عليه (راجع أمريا ٤١ : ١ـ١٨).

(٥) أرميا ٥٢ : ٣٠.

ولقد تولى نبوخذ نصر حكم بابل عام ٦٠٥ ق.م وسفر ارميا يذكر أن هذا السبى الثالث قد تم فى السنة الثالثة والعشرين من حكمه فلو أضفنا الخمس سنوات المتبقية من القرن السابق إلى ثمانية عشر عامًا من القرن السادس يكون التاريخ ٥٨٢ ق.م وقد اتفق على ذلك معظم المؤرخين.

حالة يهود يهوذا بعد سقوطها.

وبذلك فإن اليهود بعد سقوط مملكة يهوذا قد تفرقوا إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: وهم الذين تم سبيهم إلى بابل.

المجموعة الثانية: وهم الذين سمح لهم بالإقامة فى بلاد يهوذا.

المجموعة الثالثة: وهم الذين هاجروا على مصر خوفًا من البابليين.

فأما الذين هاجروا على مصر فقد أقاموا واتصلوا بالمصريين واختلطوا بهم وعبدوا آلهتهم كما سبق أن أشرت.

وأما الذين بقوا فى بلاد يهوذا فقد كان عددهم كبيرًا[١] إذ أن البلاد لم تخل خلوًا تامًا من سكانها إذ ظل أكثر أهل الريف فى مواطنهم[٢]، فكانت يهوذا على أية حال أبعد من أن تكون قد أفرغت ـ كالسامرة ـ من أهلها أو أتلفت أو دمرت دون أن تزرع[٣] بل إن هناك ما يشير إلى استقدام وفود جدد إليها ليحلوا محل من أخذوا للسبي[٤].

ولعل أفكار هذه الوفود أثرت تأثيرًا دقيقًا جدًا فى تشكيل التقاليد الأدبية العبرية من جديد فى فترة ما بعد السبي[٥].

وأيضا فإن بلاد يهوذا قد اشتد فيها الاتصال بين اليهود والفلسطينيين والعمونيين والمؤابيين وكثر التزاوج بينهم مما أدى إلى نشوء طبقة جديدة تفسر نشأتها مظاهر الانحطاط الدينى التى تجلت بعد ذلك[٦].

---

(١) حزقيا ٣٣ : ٢٤.

(٢) د/ المسلى: سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٣٩، تيودور روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ صـ١٢٥.

(٣) د. نجيب ميخائيل: والشرق الأدنى القديم جـ٣ سورية صـ٤١٨.

(٤) من هذه الوفود القينيون والفنزيون والكبيون الذين كانوا يتعرضون لضغط الأدوميين (راجع المصدرين السابقين).

(٥) سقوط أورشليم صـ٦٣٩.

(٦) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٩.

هذا بالإضافة إلى أن وجود البابليين كحكام وكحامية على هذه المجموعة قد أدى إلى قيام المعبودات البابلية والاعتراف بها بينهم[1].

وأما الذين سبوا إلى بابل فبالرغم من أنهم استقلوا فى إحدى مناطقها[2]، ولم يشردوا فى أماكن شتى ـ كسكان السامرة فى السبى الأشورى ـ إلا أن هذا الاستقرار لم يخل من خطر الاستكانة والاستسلام إذ أن هذا السبى قد أدى إلى اندثار أمتهم وأصبحوا هم عبيدًا لسادتهم يسخرونهم فى الأعمال الوضيعة الشاقة وتعمدوا أن يقتلوا فى نفوسهم عصبيتهم القومية ونعرتهم الدينية ليأمنوا تمردهم وعصيانهم فلم يلبث اليهود بالفعل أن فقدوا شخصيتهم وخف لديهم الشعور الوطنى ونضبت عندهم العاطفة الدينية[3].

وبخاصة أن هذا الاستقرار قد ساعد الأغلبية منهم على أن يختلطوا بالبابليين اختلاطًا شديدًا فتعاملوا معهم بالتجارة حتى ازدادت ثروتهم فى أرض بابل بالزراعة حتى ارتبطوا بها تهيأ لهم الاطلاع على الثقافة الكلدانية حتى امتزجوا بها امتزاجا كاملا فأدى ذلك على أن تعودوا عادات الكلدانيين وتخلقوا بأخلاقهم وعبدوا آلهتهم[4].

وقد تنبه إلى خطورة ذلك الامتزاج وأثره على الديانة اليهودية نبيهم حزقيال الذى حاول بشتى الطرق أن يبقى على نفسية بنى وطنه المنفيين ويؤخر اندماجهم فى الثقافة البابلية وفى الدم البابلى وأخذ يحذرهم من عواقبه الوخيمة، ولكنهم كانوا قد

---

(١) من هذه المعبودات ملكة السماء عشتار وقد احتج أرميا على عبادتها (أمريا ٤٤ : ١٨، ١٩ وأقام اليهود تماثيل للآلهة البابلية ومارس نساؤهم طقوس الإله تموز (حزقيا ٨ : ٢، ١٤) راجع تفاصيل ذلك د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٤١٩.

(٢) هذه المنطقة كانت تسمى نهر الخابور وهذا النهر عبارة عن قناة كبيرة فى جنوب شرق بابل وقد استقر اليهود المسبيون حولها (راجع حزقيا ١ : ١، ٣، ٣ : ١٥، ٢٣/ ١٠ : ١٥، ٢٠ قاموس الكتاب المقدس صـ٣٣٤).

(٣) الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٠٧، زكى شنودة: المجتمع اليهودى صـ٤٣١، ٤٢٣.

(٤) راجع ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد٢ ك٤ صـ٢٨٢، الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٠٧، ٣٠٨، شاهى مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين صـ٣١.

أثروا وحسنت حالهم فى أرض الجزيرة الغنية وسرعان مازاد عددهم ونمت ثروتهم وأيسروا فيما عاد به عليهم خضوعهم للبابليين من هدوء ووفاق لم يتعودوهما من قبل.

وأخذت طائفة منهم مطردة الزيادة تعبد الآلهة البابلية وتألف الأساليب الشهوانية الشائعة فى العاصمة القديمة، وبعد بعض سنوات أصبح اليهود يتسمون بأسماء بابلية ويسيرون على التقويم البابلى وأخذوا يهملون العبرانية وأشرب أبناء الطبقات المتعلمة أفكارا جديدة لم يكن بنوا إسرائيل يعرفون عنها شيئا من قبل، حتى إذا كان الجيل الثانى من أبناء المنفيين كانت ذكرى أورشليم قد محيت أو كادت تمحى من أذهانهم(١).

هذا ومما ساعد على تقبل المسبيين للأفكار الوثنية أنهم أصيبوا بالهزيمة الداخلية أمام قوة البابليين ومجدهم وضعفوا أمام إغراءات العبادات البابلية طقوسها.

فقد كان لانتصار بابل وهى فى أوج مجدها وقمة عزها شأن فى الانحلال العام الذى أصاب المسبيين، فهذه المدينة الزاهرة التى يشهدونها وهذا المجد الباهر الذى يكلل هامة الغالب وهذه الطقوس الدينية تتجلى فى الطواف بالآلهة التى إليها تعزو بابل انتصاراتها.

كل ذلك أدى إلى شكهم فى عقيدتهم فى إلههم وشكهم فى التعاليم التى تلقوها عن أنبيائهم فاستولت عليهم الكآبة وتملك الحزن قلوبهم، واندفعوا بكل قوتهم نحو الوثنية البابلية التى ارتفعت بانتصار نبوخذ نصر وازدهرت ازدهارا كبيرا فى عهد بنو نيدس (٥٥٥ـ٥٣٩ ق.م)(٢).

---

(١) راجع ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول صـ٣٦٢، الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٠٧ إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية صـ٨٩.

(٢) راجع الأرب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ ٣٠٨ـ٣٠٩، بريستيد: العصور القديمة صـ٢٣١، موسكاتى الحضارات السامية القديمة صـ٧١، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد٢ ك٤ ص٢٩٩. طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ١ صـ٥٥٠، د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٥٦٢ـ٥٦٢.

وقد تهيأ لليهود أيضا فى فترة السبى البابلى الإطلاع على الثقافات القديمة الأخرى بجانب الثقافة البابلية إذ أن الشرق الأدنى فى عهد نبوخذ نصر كان كما يقول ول ديورانت كأنه بحر خضم يتلاطم فيه خليط من الآدميين من مختلف الشعوب والأجناس[1].

وفى هذا المناخ الثقافى العالمى بدأ جمع العهد القديم، فأهمية السبى البابلى فى التاريخ اليهودى القديم تبرز أكثر ما تبرز فى أن العهد القديم الذى ظهر فى التاريخ فى القرن الرابع أو الخامس ق.م ـ فيما يقول ويلز ـ قد جمع شتاته لأول مرة فى بابل ـ حيث أن الشعب اليهودى فى أثناء السبى البابلى قد جمع تاريخه بعضه إلى بعض وطور تقاليده ونماها[2].

ذلك أن اليهود الذين عادوا بعد فترة تزيد على الجيلين إلى أورشليم من بابل أيام الملك (قورش) كانوا شعبًا مختلفًا جد الاختلاف فى الروح والمعارف عن أولئك اليهود الذين خرجوا منها مأسورين لأنهم تعلموا الحضارة من البابليين[3].

والحقيقة المجردة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس ـ وكما يذكرها ويلز أيضًا ـ هى أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجًا وعادوا منها ممدنين وذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف بينهم كافة وعادوا على أورشليم ومعهم الشطر الأكبر من مادة العهد القديم[4].

ومما يذكر عن بنونيدس (آخر ملوك الدولة الكلدانية) أنه كان مولعًا بدراسة الآثار وبذل جهدا كبيرا لإعادة وإحياء أقدم صورة العبادة البابلية.

(١) قصة الحضارة: الجزء الثانى من المجلد الأول ص٣٠٠، راجع أيضا طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول صـ٥٨٤.

(٢) موجز تاريخ العالم صـ٨٩، ٩٤، راجع ايضا الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ١٥٦.

(٣) موجز تاريخ العالم صـ٩٤، معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ك صـ٢٩٨.

(٤) معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ ك٤ صـ٢٩٨.

ويرجع ذلك ـ كما يعتقد معه كثير من الأعلام والثقات ـ إلى أن اليهود قد اختلطوا بالبابليين فى فترة السبى البابلى اختلاطًا عنصريًا وفكريًا عظيمًا[1].

وأصبح الآن من الأمور البديهية لدى العلماء والمؤرخين أن البابليين كان لهم أثر كبير على الديانة اليهودية فى أثناء السبى البابلي[2].

(١) المصدر السابق صـ٢٨٢.

(٢) دى بورج: تراث العالم القديم جـ١ صـ٤٤، طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات جـ١ ص٥٤٨.

المبحث السادس
الاضطهاد اليونانى والشتات الهليني

لقد سبق أن أشرت إلى أن اليهود سواء منهم من عادوا إلى أورشليم بعد السبى أو من بقوا فى بابل ـ عاشوا تحت ظلال الحكم الفارسى، وكان ذلك من عام ٥٣٩ ـ وهو العام الذى استولى فيه كورش على بابل ـ إلى عام ٣٣٢ وهو العام الذى استولى فيه الإسكندر الأكبر على فلسطين[١].

وباستيلاء الإسكندر على فلسطين بما فيها بلاد يهوذا يبدأ الحكم اليونانى لليهود أو ما يسمى بالعهد الإغريقى فى التاريخ اليهودى والذى يستمر إلى عام ٦٣ ق.م.

هذا وقد ورد أن الإسكندر الأكبر حينما دخل أورشليم استقبل استقبالا حافلا من اليهود فقدم له رئيس الكهنة فروض الطاعة وهتف الشعب له بالدعاء وسرعان ما دانوا له بالخضوع والولاء[٢].

---

(١) استيلاء الإسكندر الأكبر على فلسطين فى عام ٣٣٢ ق.م من الأمور المشهورة والمجمع عليها لدى المؤرخين (راجع على سبيل المثال: أولبرايت: آثار فلسطين صـ١٤٣، شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين صـ٢٣.

(٢) أشار الفصل الأول من سفر المكابيين الأول إشارة خاطفة إلى الإسكندر المقدونى وفتوحاته ويذكر يوسيوفوس اليهودى أنه حين صعد إلى اورشليم استقبله الشعب يتقدمهم الكاهن الأعظم فأكرمهم إكراما زائدا وأبدى احتراما كبيرا للهيكل، وقيل إنه قام بتقديم القرابين لإله اليهود، وقد أطلعه رئيس الكهنة على نبوءات دانيال النبى التى تقول بأن ملكا عظيما سيقضى على دولة الفرس وأخبره بأنه هو الملك المقصود فطرب الإسكندر لذلك وسر به، ولم يلبث أن دان له كل اليهود والسامريين وانتظم كثيرون منهم فى جيشه حتى قيل إنه خصص حيا كاملا لإقامتهم بمدينة الإسكندرية (راجع مكابين أول ١ : ١ـ٥، شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين صـ٣٣ـ٣٥، زكى شنودة: اليهود =

ولكن بعد موت الإسكندر عام ٣٢٣ ق.م تمزقت إمبراطوريته المترامية الأطراف وتسابق قواده فيما بينهم وطمع كل منهم أن يفوز بأحسن أقسامها، ويهمنا فيما يتعلق بتاريخ اليهود أن نشير على اثنين منهم وهما: بطليموس الذى استولى على مصر وأسس فيها أسرة البطالمة أو البطالسه، وسلوقس الذى استولى على بابل ثم على سورية وأسس فيها أسرة السلوقيين[١].

أما أرض اليهود أو بلاد يهوذا فكانت أولا من نصيب لاوميدون ثم صارت بعد ذلك مثار نزاع عنيف بين البطالمة والسلوقيين[٢].

وقد استمر هذا النزاع وأدى إلى قيام حروب بين الدولتين وتبادل فيها الطرفان النصر والهزيمة كما تعرض فيها اليهود للشدائد والمحن، وربما بسبب تقلب الحكم من دولة لأخرى وربما لأن القوم بطبيعتهم كانوا يندمجون فى الدسائس والمؤامرات[٣].

وبموت الإسكندر الأكبر بدأ ما يسمى بالعصر الهلينى أو الهلنستى وهو يطلق

= صـ٣٤٩ـ٣٥٠، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ٩٩ قاموس الكتاب المقدس صـ١٠١).

وإن كان الدكتور مصطفى عبد العليم يذكر أن هذه الرواية تقابل بالرفض من كثير من المؤرخين وخاصة فيما يتعلق بتخصيص حى لليهود بالإسكندرية وقيام الإسكندر بتقديم القرابيين لإله اليهود (راجع تحقيق ذلك فى كتابه: اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان صـ٣٠ـ٣٣).

(١) يذكر المؤرخون أن قواده قد عقدوا مؤتمرا فى بابل بعد موته مباشرة (٢٣٢ ق.م) ليقتسموا الإمبراطورية وتسابقوا فى الحصول على أكبر رقعة منها وانطوى هذا التسابق على حروب طويلة دامية رأس أربع دول: بطليموس على مصر وسلوقس فى بابل وسورية وانتغيوس فى آسيا الصغرى، وانتباشر فى مقدونيا، وكان يطليموس أكثر هؤلاء الأربعة ذكاء إلا أن سلوقس كان بالتأكيد أقدرهم، وهذا بلغة دانيال "انكسر القرن العظيم" وطلع عوضا عنه أربعة قرون ومعتبرة نحو رياح السماء الأربع (دانيال ٨ : ٨) (راجع تفاصيل ذلك فى : فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٩٣ـ٩٤، تاريخ سورية جـ صـ٣٥٩، كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ ١٠٦، د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر فى عصر البطالمة الجزء الأول صـ٤٥ـ٥١.

(٢) كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ ١٠٦، زكى شنودة: اليهود صـ٤٣٣.

(٣) محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ٣٩٤، د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ اتلشرق الأدنى جـ٨ صـ١١٠٨.

على القرون الثلاثة التى أعقبت موته أو المدة التى نشرت فيها المدنية اليونانية أعلامها فى العالم القديم طرا ولا سيما الشرق الذى كان لثقافته تأثير كبير عليها[1].

ويذكر ول ديورانت أن تاريخ اليهود فى هذا العصر يدور حول نزاعين أو كفاحين:

الكفاح الخارجى بين آسية السلوقية ومصر البطالمة للاستيلاء على فلسطين.

والكفاح الداخلى بين أساليب الحياة الهلنية والحياة العبرية أو الصراع الحقيقى بين الهلنية واليهودية[2].

اليهود تحت حكم البطالمة:

بدأت علاقة اليهود بالبطالمة منذ أن تطلع بطليموس الأول (٣٢٣ـ٢٨٢ ق.م) إلى السيطرة على فلسطين ونازع عليها السلوقيين ثم انتصر عليهم إذ قام بغزو سوريا عام ٣٢٠ ق.م واستولى على بلاد اليهود بما فيها أورشليم فى عام ٣١٩ـ٣١٨ ق.م وظلت خاضعة لسلطان البطالمة أكثر من مائة عام (٣١٨ـ١٩٨)[3].

وإن كان قد تخللت هذه الفترة مناوشات بينهم وبين السلوقيين[4].

ومن المشهور بين المؤرخين أن ملوك البطالمة الثلاثة الأوائل قد أظهروا عطفهم

---

(١) بريستيد: العصور القديمة صـ ٤٤٥.

(٢) قصة الحضارة (٨) الجزء الثالث من المجلد الثانى: حياة اليونان صـ٥١ ترجمة محمد بدران/ الطبعة الثالثة ١٩٧٣.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) حياة اليونان صـ٥١، د/ مصطفى كمال عبدالعليم: اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان صـ٣٣، د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ١ صـ٧١.

(٤) ظلت بلاد يهوذا خاضعة لسلطان البطالمة من (٣١٨ـ١٩٨ ق.م) باستثناء فترات متقطعة اضطر فيها البطالمة إلى الانسحاب منها ثم العودة إليها كما حدث فى عام ٣١٢ـ٣٠٢ ق.م حتى استقر لهم الأمر فيها على حد كبير عام ٣٠١ ق.م ثم فى عام ٢١٧ ق.م حاول السلوقيون انتزاعها منهم إلا أنهم تمكنوا منن صدهم وانتصروا عليهم وكان ذلك فى موقعة رفح (راجع د/ حتى/ تاريخ سورية جـ١ صـ٢٦٠، د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ صـ١٥٤ـ١٥٧، مصطفى عبدالعيم: اليهود فى مصر صـ٣٣).

نحو اليهود[1]، وإن كان بطليموس الأول ـ كما قيل ـ قد عاملهم بقسوة حينما فتح أورشليم ٣١٩ ق.م وأسر منهم مائة ألف يهودى وعاد بهم على مصر، غير أنه لم يلبث أن رضى عنهم ووثق فيهم، واختار منهم لخدمته ثلاثين ألف رجل وعهد إليهم بحراسة القلاع الهامة فى مملكته[2].

أما بطليموس الثانى (٢٨٢ـ٢٤٦ ق.م) فقد ازداد فى عهد توافد اليهود على مصر ووصف بأنه صديق اليهود بسبب ما كلأهم به من الرعاية أكثر من أى ملك آخر من ملوك البطالمة حتى قيل إنه افتدى أسراهم من ماله الخاص وأجزل الهدايا القيمة لمعبدهم فى بيت المقدس[3].

وأما بطليموس الثالث (٢٤٦ـ٢٢١ ق.م) فقد أظهر من الحدب عليهم والتسامح معهم أنه منح أحد هياكلهم حق حماية اللاجئين إليه[4] إلا أنه اشتد

---

(١) د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر فى عهد البطالمة الجزء الثانى صـ١٥٩.

(٢) حاول بطليموس فى أول الأمر أن يشترى بلاد يهوذا من لاومدون ولما لم يوفق فى ذلك استولى عليها عنوة (د/ نصحى جـ١ صـ٧١) ويذكر مؤرخو اليهود أن أورشليم قد تصدت لمقاومة بطليموس فحاصرهم زمنا طويلا حتى تمكن من فتحها فى يوم سبت فعامل اليهود بغاية القسوة وأخذ منهم أكثر من مائة ألف أسير إلى مصر (زكى شنودة: اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية صـ١٥٠ـ١٥١) ويرى المؤرخون أن الرواية اليهودية قد بالغت فى عدد هؤلاء الأسرى اليهود الذين جلبهم بطليموس إلى مصر وحررهم ابنه بطليموس الثانى، ويجرح الأستاذ وستر مان أن عدد الأسرى كان أقل من ذلك بكثير وخاصة أنه لم يقم دليل على أن أحدًا من البطالمة الأوائل قد أتيح له أن يأسر مثل هذا العدد الضخم فى إحدى حملاته الحربية، وينتهى المؤرخون إلى القول بأن بطليموس الأول قد أتى على مصر بيهود كانوا مزيجًا من الأسرى ومن بعض الأحرار الذين نزحوا إليها أفواجا من تلقاء أنفسهم وبمحض رغبتهم بعد أن استشعروا عطف الملك عليهم ولمسوا فيه النواحى الطيبة وما لبثت الحياة الجديدة التى نشطت فى مصر أن اجتذبت عناصر جديدة من اليهود سرعان ما انتشروا فى كثير من أرجاء البلاد ينعمون بعطف ملوكها (راجع د/ مصطفى عبدالعليم: اليهود فى مصر صـ٣٣ـ٣٦، د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ٢ صـ١٥١ـ ١٥٢.

(٣) د/ إبراهيم نصحى: المصدر السابق جـ٢ صـ١٥٢، زكى شنوده: موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية الجزء الخامس صـ١٣٢، ومما يذكر أن الترجمة السبعينية للتوارة قد أنجزت فى عهده وتحت رعايته كما سبق.

(٤) د/ إبراهيم نصحى جـ صـ١٥٢، ١٦٠.

عليهم فترة وهددهم بالطرد من أرضهم حينما امتنعوا عن دفع الجزية بتحريض من السلوقيين[1].

لكن بطليموس الرابع (٢٢١ـ٢٠٣ ق.م) نهج سياسة معادية لليهودية ولاقى اليهود على يديه قدرا كبيرا من الاضطهاد إذ أنه زار أورشليم بعد انتصاره على السلوقيين فى موقعة رفح عام ٢١٧ ق.م وأبدى رغبته فى دخول قدس الأقداس فرفض رئيس الكهنة أن يسمح له بذلك كما تذمر اليهود جميعًا، فعاد على مصر يتأجج غضبا وانتقم من اليهود المقيمين بها شر انتقام وجردهم من جميع امتيازاتهم التى كانوا يتمتعون بها[2].

هذا وقد انتهى حكم البطالمة لبلاد يهوذا فى عهد بطليموس الخامس (٢٠٣ـ١٨٠ ق.م) وانتقلت إلى حكم السلوقيين كما سنرى.

ومما ينبغى ذكره أن البطالمة كانوا يتبعون سياسة معتلة إزاء اليهود فى فلسطين حيث إنهم اكتفوا بفرض الجزية عليهم وتفادوا التدخل بشكل محسوس فى شئونهم الداخلية مفضلين أن يشركوا لهم قدرا كبيرا من الحكم الذاتى تحت سلطان كاهن أورشليم الأكبر[3].

---

(١) يروى يوسيفوس فى كتابه تاريخ اليهود فى عهد بطليموس الثالث امتنع عن دفع الجزية المفروضة على اليهود فى المزاد وتكفل بها يوسف رئيس الكهنة وقام بجبايتها من اليهود (راجع د/ فؤاد حسنين على: فلسطين العربية صـ٨٤ـ٨٦، زكى شنودة: اليهود أو الجزء الثامن من الموسوعة صـ١٥١، دروزة: تاريخ بنى إسرائيل صـ٢٩٦).

(٢) وقد وصف الكتاب المكابى الثالث ـ الذى وضع فى الإسكندرية وباللغة اليونانية زيارة بطليموس الرابع لأورشليم وانتهاكه حرمة المعبد واقتحامه له عنوة، وعرض لانتقامه من يهود مصر وكيف أنه جمعهم وأوثقهم بحبال غليظة وألقى بهم دون تردد فى حلقات السباق بالإسكندرية وأطلق عليهم خمسمائة فيل أشربت الخمر من قبل لتدهسهم، وما حدث بعد ذلك ولمعرفة رأى المحققين من المؤرخين فى هذه الرواية وتسليمهم باضطهاد اليهود فى عصر بطليموس الرابع (راجع د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر فى عخد البطالمة جـ٢ صـ١٦٠ـ١٦٢، د/ مصطفى عبدالعليم: اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان صـ٣٩ـ٤٣، د/ فؤاد حسنين على: التوارة الهيروغليفية صـ١٩٧ـ١٩٨، زكى شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط جـ٨ صـ١٥١ـ١٥٢ جـ٥ صـ١٤٧.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) صـ٥١ـ٥٢، د/ مصطفى عبدالعليم: اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان صـ٣٧، ويبدو أنه كان هناك ارتباط بين السياسة التى انتهجها البطالمة فى =

وكان من أثر هذه السياسة أن بلاد يهوذا قد ازدهرت وعمها الرخاء رغم عبء الزية الثقيل[1].

ولكن على الرغم من هذا التسامح الذى لمسه اليهود من البطالمة إلا أنهم واجهوا فى عهدهم هجوما من نوع جديد وتعرضت اليهودية على أيديهم لامتحان عسير، وهو ما أشار إليه ول ديورانت ـ كما شبق ـ على أنه النزاع الداخلى أو الصراع الحقيقى بين الهلينية واليهودية.

ذلك أن الهلينية[2] بدأت تغزو مدن الشرق وتتغلغل فى أعماقه، إذ أن خلفاء الإسكندر حاولوا أن يحققوا ما كان يهدف إليه من توحيد العالم تحت لواء الثقافة اليونانية فأسسوا المدن الإغريقية وشيدوا المبانى اليونانية مثل المسارح وساحات الألعاب والحمامات العامة[3].

= فلسطين والسياسة التى ساروا عليها نحو اليهود فى مصر بحيث نستطيع القول بصفة عامة أنه كان للبطالمة سياسة يهودية تستهدف كسب رضاء اليهود فى مصر وفى يهوذا بمعاملتهم جميعا برفق وهوداه ليتخذوا من اليهود عضوا لهم فى دعم حكمهم وعونا له على تحقيق أهدافهم فى سوريا، ومن الجدير بالذكر أن السياسة التى انتهجها البطالمة إزاء اليهود كانت شديدة الشبه بالسياسة التى اتبعها الفرس معهم حينما كانوا يحكمون فسلطين (راجع د/ نصحى جـ٢ صـ١٦٦، د/ مصطفى عبدالعليم: اليهود فى مصر صـ٣٦ـ٣٧.

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) صـ٥١، الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ٣٧٨، كان اليهود يؤدون جزية سنوية مقدارها ثمانية آلاف وزنة.

(٢) ينبغى لنا أن نذكر أن الهلينية كانت مظهرا ثقافيا من مظاهر الحياة المدنية لا الحياة الريفية، وكان الطامحون إلى تبوء المراكز الحكومية الهلينية، أو الطامعون فى حياة أدبية فكرية يتلقون دروسهم باللغة الإغريقية فكانوا بذلك يحيون الهلينية كذلك فإن الهلينية لم تكن تقتصر على العطاء الفكرى بل إنها كانت تعطى وتأخذ فإن الإغريق الغربيين أخذوا بالديانات الشرقية الغنية بطقوسها وبشعائرها ومبعتقداتها الغيبية الغربية فراحوا يتبنون آلهة شرقية ويسبغون عليها صفات إغريقية واسماء إغريقية وهكذا أصبح البعل عند الإغريق زفس، وعند الرومان جوبيتر المشترى كبير الآلهة.
وأصبح تموز أدونيس، هذا ولم تقتصر الهلينية على نواحيها السياسية والثقافية بل كانت تتعداها على نواح اقتصادية فإن الشرق الأدنى تحت تأثير الهلنية كان ينعم بشيء من الوحدة والانسجام (راجع د/ حتى/ موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ١٠٠ـ١٠٣.

(٣) كاترين هنرى: البتاريخ فى الكتاب صـ١٠٦، د/ المسلى: سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٤٩ـ٦٥٠.

وكانت أورشليم بعيدة عن التيار الرئيسى الذى اتجه فيه التأثير الهلينى، ولكن لم يمض قرن على موت الإسكندر حتى تأثرت هى أيضا بالإغراء الهينية الذى لا مهرب منه فقد كان إغراء ماديا من ناحية[1]، ثم إنه إغراء اجتماعى من ناحية أخرى، ذلك أن الهلينية كانت بسبيلها إلى أن تصبح الهواء الذى يتنفسه الناس وهو أخيرا وفوق كل شيء إغراء ثقافي.

ولم يمض زمن طويل حتى عرضت الهلينية مفاتنها الاجتماعية والثقافية بل والرياضية جهارا أمام أعين الشباب الطموح فى أورشليم[2].

فقد أقبل على أورشليم من المدن الأغريقية[3] يونان ويهود يحملون العدوى الهلينية عدوى الفلسفة والفن والأدب والاستمتاع بالجمال واللذة والغناء والرقص والشراب والطعام والألعاب الرياضية والعشيقات والغلمان، فضلا عن السفسطة المرحة التى ترتاب فى جميع القوانين الأخلاقية والتشكك الذى قضى على كل عقيدة فى خوارق الطبيعة[4].

ولم يستطع الشباب اليهودى أن يقاوم هذه المغريات التى تدعو إلى الاستمتاع باللذة وعلى التحرر من آلاف القيود الضيقة الثقيلة.

فبدأوا يسخرون من الكهنة ويصفونهم بأنهم طلاب مال كما يصفون الأتقياء من أتباعهم بأنهم حمقى ينحدرون إلى الشيخوخة من غير أن يعرفوا الملاذ والترف ومباهج الحياة[5].

---

(١) ففى وسعك أن تتصور التجار الإغريق يفدون ويروحون فى أسواق أورشليم والفرص المتاحة لكل يهودى حاذق مغامر فى المراكز التجارية الهلينية العظمية التى تنتشر الآن من حوله، لا سيما فى الإسكندرية أعظمها شأنا وهى لم تكن تبعد إلا رحلة أيام قليلة إلى الجنوب (د/ المسلى: سقوط أورشليم صـ٦٥٠).

(٢) د/ المسلى: المصدر السابق.

(٣) كان يحيط ببلاد يهوذا حلقة من المستعمرات والمدن الإغريقية منها السامرة وبنوبوليس وغزة عسقلان ومشق وغيرها، وكانت تقوم فى كل واحدة من هذه المدن نظم ومؤسسات يونانية وهياكل للآلهة والآلهات اليونانية ومدارس ومجامع علمية مدارس وساحات للألعاب الرياضية ألعاب يشترك فيها الناس وهم عراة (قصة الحضارة (٨) صـ٥٣).

(٤) المصدر السابق صـ٥٣، كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ١٣٠.

(٥) ول ديورانت: المصدر السابق (٨) صـ٥٣، د/ المسلى: سقوط أورشليم صـ٦٤٩ـ٦٥٠.

ولكن بريق الهلينية لم يخطف أبصار الشباب فحسب بل انضم إليهم فى هذا أغنياء اليهود لأنهم كانوا يستطيعون أن يستجيبوا لداعى الغواية، وأحس اليهود الذين كانوا يطلبون المناصب من الموظفين اليونان بأن من حسن السياسة أن يتكلموا اللغة اليونانية وأن يعيشوا كما يعيش اليونان بل أن يقولوا بضع كلمات طيبة فى حق الآلهة اليونانية[١].

ودارت الدوائر على اليهود الذين كانوا حتى ذلك الحين فى موقف يتيح لهم على الأقل أن يحتقروا تفكير هؤلاء الغزاة الوثنيين، فقد وجدوا أنفسهم يتعرضون للتهكم الخفيف من هؤلاء الغزاة ينظرون إليهم نظرتهم إلى أبناء عمومة ريفيين يجب أن تبذل الجهود لإخراجهم من تفكيرهم الجافي[٢].

وهكذا أدخل الغزاة اليونان فى حياة اليهود كل ما فى الحضارة الأبيقورية من أسباب اللهو والغواية[٣].

وكما يقول ج. أ. سمت "إن العالم الوثنى لم يعد يضرب شواطئ يهوذا ذلك الضرب الذى قرع أسماء أشعيا، لم يعد يلطمه فى غضب وصخب كما تلطم أمواج البحر الهائج شاطئ فلسطين الوعر، بل أخذ يداعبه الآن بموسيقى الحرية والمغامرة والثروة والسعادة الحرة التى لا حدود لها[٤].

هذا وقد استمر تأثير الهلينية يتسلل إلى اليهودية بهذا التغلغل السلمى فى عهد البطالمة حتى انتقلت بلاد يهوذا إلى السلوقيين الذين اندفعوا فى فرض الهينية على اليهود بالقوة وأرغموهم على ممارسة العبادات اليونانية بالتنكيل والاضطهاد.

اليهود تحت حكم السلوقيين (١٩٨-٦٣ ق.م).

ظلت بلاد يهوذا تابعة للبطالمة فى مصر حتى عام ١٩٨ ق.م حين أوقع أنتيو

---

(١) د/ المسلى: سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٥٠، ول ديوانت: المصدر السابق (٨) صـ٥٣-٥٤.
(٢) سقوط أورشليم صـ٦٥٠.
(٣) ول ديورانت قصة الحضارة (٨) ٥٣.
(٤) نقلا عن د/ المسلمى: سقوط أورشليم وأخميته العالمية صـ٦٥٠ المجلد الثالث من تاريخ العالم نشر جون هامرتون.

خوس الثالث (٢٢٣ـ١٨٧ ق.م) ملك السلوقيين هزيمة ساحقة بالملك بطليموس الخامس (٢٠٣ـ١٨٠ ق.م) وضم البلاد إلى الإمبراطورية السلوقية[١].

وكان اليهود قد ملوا حكم البطالمة فأعانوا انتيوخوس ورحبوا باستيلائه على أورشليم وتحريرهم من حكامهم فاستتب له الأمر فى النهاية، وكان ملكا قويا طموحا، وظل مسيطرا عليها حتى مات مقتولا عام ١٨٧ ق.م[٢].

وبوقوع فلسطين فى أيدى السلوقيين انفتحت صفحة جديدة من تاريخ يهود أورشليم إذ زاد الضغط عليهم لاعتناق طريق الحياة اليونانية وكذلك الدين اليونانى[٣]، فقد كانوا طغاة لم يعرفوا التسامح الذى سار عليه البطالسه فأرادوا أن يفرضوا الثقافة اليونانية على اليهود قهرا وإرغاما ويجعلوها طريق الحياة دون العقائد اليهودية[٤].

وكان انطيوخوس الثالث (٢٢٣ـ١٨٧ ق.م) قد اضطهد بعض اليهود الذين ظلوا يناصرون البطالمة ففروا على مصر وأقاموا بها، ثم أخذوا يدسون دسائسهم فى اليهود الباقين فى اليهودية ويحركونهم ضد السلوقيين، واستجاب بعضهم فعلاً لهذه الدسائس، فأثار ذلك ابنه سلوقس الرابع (١٨٧ـ١٧٥ ق.م) الذى تولى من بعده وجعله يشتد عليهم قمعا وتدميرا، ثم جعل السلوقيين يبذلون جهودهم فى تحويل اليهود عن التقاليد الدينية والاجتماعية على التقاليد اليونانية[٥].

---

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) صـ ٥٤، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ١ ص ٢٦٥، د/ مصطفى عبد العليم: اليهود فى مصر ص ٣٦ ولمعرفة المزيد من التفاصيل والمعلومات عن الأمبراطورية السلوقية وحضارتها وملوكها راجع قصة الحضارة (٨) صـ ٣٦-٥٠، د/ حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٩٤ ـ ٩٦ تاريخ سورية جـ ١ ص ٢٦٤.

(٢)قصة الحضارة (٨) صـ ٥٤، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ١ ص ٢٦٥، د/ مصطفى عبد العليم: اليهود فى مصر ص ٣٦ ولمعرفة المزيد من التفاصيل والمعلومات عن الأمبراطورية السلوقية وحضارتها وملوكها راجع قصة الحضارة (٨) صـ ٣٦-٥٠، د/ حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٩٤ ـ ٩٦ تاريخ سورية جـ ١ ص ٢٦٤.

(٣) الأدب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم ص ٣٨٨، حبيب سعيد/ أديان العالم ص ٢٠٣.

(٤) كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ١٠٧، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٢٩٦، راجع أيضًا د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٨ ص ١١٠.

(٥) محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٢٩٦، راجع أيضًا د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٨ ص ١١١٠.

وقد أدى ذلك إلى خلق جماعة من اليهود الموالين لليونانية أو الهلينية وكانوا من أغنياء اليهود وعظمائهم لذلك كونوا حزبا قويا انضم إليه جاسون[1] ابن الحاخام الأكبر وكان له مكانة مرموقة بين رجال الدين فكسب هذا الحزب نفرا من الحاخاميين الذين يدعون أنهم من سلالة هارون، وتطرف أعضاؤه فى عدائهم لخصومهم وولائهم للهلينية فتنكروا للشريعة اليهودية وعادات اليهود وتقاليدهم وذهبوا ففكروا فى القضاء على الشريعة ليسهل عليهم كسب اليهود بعد ذلك إلى الهلينية ثقافة وجنسًا وعقيدة أعنى تحويل اليهود إلى يونانيين وثنيين[2].

وعارض هذا الحزب أو ذلك الاتجاه عدد من اليهود المحافظين وكونوا الجماعة المعروفة فى التاريخ اليهودى العقائدى "الحسيديم"[3] واحتدم النزاع بين اليهود المؤمنين بالآراء والمذاهب اليونانية الهيلينية وبين المحافظين[4].

حتى إذا ما تولى انطيوخوس الرابع (١٧٥ـ١٦٤ ق.م) ملك السلوقيين أخذ يناصر الحزب الأول واعتمد على أعضائه فى فرض الثقافة اليونانية على بلاد اليهود وصبغها بالصبغة الهلينية[5].

---

(١) يسمى فى سفر المكابيين الأول: "ياسون" ٤: ٧، ١٦.

(٢) د/ فؤاد حسنين على: فلسطين العربية ص ٨٩.

(٣) كلمة "الحسيديم" معناها "القدس" وهى تطلق على المؤمنين الأوفياء الغيورين على الشريعة والمتدينى الصادقين والوطنيين المتحمسين وكانوا لا يفكرون فى تحوير أى شىء دينى لإيمانهم الشديد بقدسيته (المصدر السابق ص ٨٩، سقوط أورشليم ص ٦٥١، برتراندرسل: الفلسفة الكاثوليكية ص ٢٢.

(٤) د/ فؤاد حسنين على: فلسطين العربية ص ٨٩-٩٠.

(٥) كان انطيوخوس الرابع يتبع السياسة التقليدية للأسرة السلوقية التى اعتبرت الهيلينية هى القاسم المشترك الذى سيلتقى عنده جميع رعاياهم، وكان مما يقلق باله اختلاف الطقوس الدينية الشرقية فى بلاد آسيا اليونانية وقوة هذه الطقوس فأراد أن يوحد امبراطوريته المتعددة اللغات والأجناس باخضاعها كلها لشريعة واحدة وعقيدة واحدة (راجع د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ ص ٢٦٧، ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) ص ٥٥) ومما قاله عنه ول ديورانت "أنه كان أجدر أفراد الأسرة السلوقية بالاهتمام وأكثرهم أخطاء ذلك أنه كان مزيجا من الذكاء والجنون والجاذبية وقد حكم مملكته حكمًا حازما رغم ما ارتكبه من مئات المظالم والسخافات، وإذا أردت المزيد من هذه الأقوال راجع قصة الحضارة (٨) ص ٣٩-٤٠.

جاء فى سفر المكابيين الأول "وخرجت منهم[١] جرثومة أثيمة هى انطيوكس الشهير ابن انطيوكس الملك" وفى تلك الأيام خرج من إسرائيل أبناء منافقون فأغروا كثيرين قائلين هلم نعقد عهدا مع الأمم حولنا فأنا منذ انفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة فحسن الكلام فى عيونم وبادر نفر من الشعب، وذهبوا إلى الملك فأطلق لهم أن يصنعوا بحسب أحكام الأمم، فابتنوا مدرسة فى أورشليم على حسب سنن الأمم وعملوا لهم غلفا وارتدوا عن العهد المقدس ومازحوا الأمم وباعوا أنفسهم لصنيع الشر[٢].

ويذكر سفر المكابيين الثانى أن زعيمهم "ياسون" طمع فى رئاسة الكهنوت الأعظم فوفد على الملك ووعده بثلاث مائة وستين قنطارًا فضة وبثمانين قنطارًا من دخل آخر وما عدا ذلك ضمن له مائة وخمسين قنطارًا غيرها، إن خرص له سلطة الملك فى إقامة مدرسة للتروض[٣] وموضع للغلمان وأن يكتب أهل أورشليم فى رعوية إنطاكية[٤].

فأجابه الملك إلى ذلك فتقلد الرئاسة وما لبث أن صرف شعبه إلى عادات الأمم وأبطل رسوم الشريعة وأدخل ما يخالفها من السنن وبادر فأقام مدرسة التروض تحت القلعة وساق نخبة الغلمان فجعلهم تحت القبعة[٥].

فتمكن الميل إلى عادات اليونان والتخلق بأخلاق الأجانب بشدة فجور ياسون

---

(١) أى من خلفاء الاسكندر (السلوقيين).

(٢) سفر المكابيين الأول ١: ١١-١٦.

(٣) كانت مدرسة التروض عبارة عن ناد من الأندية التى كان اليونان يسمونها "الجمنازيوم" وكانوا يتلقون فيها العلوم العقلية والرياضية البدنية ويلقنون فيها عوائد وتقاليدهم (راجع تاريخ سورية ج ١ ص ٢٦٧، زكى شنودة: اليهود ص ١٥٣.

(٤) معناها أن يصبح اليهود انطيوخين أو مقدونيين فلم يكن لديهم أدنى اعتراض على ذلك لأنهم طمحوا إلى هذا الشرف لينالوا المساواة مع اليونانيين (د/ حتى: تاريخ سورية ج ١ ص ٢٦٧، د/ فؤاد حسنين: فلسطين عربية ص ٩٠.

(٥) أى يلبسون قبعات يونانية وهم يمارسون الألعاب الرياضية (برترندرسل: تاريخ الفلسفة الغربية: الكتاب الثانى: الفلسفة الكاثوليكية ص ٢٢ ترجمة د/ زكى نجيب محمود، راجعة المرحوم د/ أحمد أمين الطبعة الثانية ١٩٦٨ لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الذى هو كافر لا كاهن أعظم، حتى إن الكهنة لم يعودوا يحرصون على خدمة المذبح واستهانوا بالهيكل وأهملوا الذبائح لينالوا حظا فى جوائز الملعب المحرقة بعد المباراة فى رمى المطاث، وكانوا يستخفون بمآثر آبائهم ويتنافسون بمفاخر اليونان[١].

ويذكر ول ديورانت أن شباب اليهود والكهنة قد اشتركوا فى الألعاب الرياضية وهم عراة وبلغ من تحمس بعضهم للهلينية أن تحملوا جراحات فى أجسامهم ليعالجوا بها بعض العيوب ـ كالختان مثلا ـ التى قد تكشف عن أصلهم[٢].

وقد حدث أن أقيمت حفلة مصارعة فى صور حضرها الملك لمناسبة عيد الإله الوثنى هيراكليوس فأرسل ياسون بعض شبان اليهود ومعهم ثمن ذبيحة ليقدموها لذلك الإله فى معبد صور[٣] ولكن على الرغم مما بذله ياسون فى نشر الهلينية إلا أن أنطيوكوس سرعان ماعين منلوس بدلا منه بعد أن وعد بأكثر مما وعده به سلفه ونفحه برشوة أكبر[٤].

ولم يكن منلاوس هذا على شيء مما يليق بالكهنوت الأعظم وإنما كانت له أخلاق غاشم عنيف وأحقاد وحش ضار[٥]، ولما عجز عن الوفاء بما وعد به الملك من المال لجأ إلى سرقة بعض آنية الهيكل الذهبية وباعها وقدم للملك ثمنها[٦]، واستقر فى الرئاسة بشره ذوى الأحكام وكان لا يزداد إلا خبثا ولم يزل لأهل وطنه كمينا مهلكا[٧].

---

(١) سفر المكابين الثانى ٤:٧-١٥.

(٢) قصة الحضارة (٨) ص ٥٥ راجع أيضا الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم ص ٣٨٨، د/ فؤاد حسنين على: فلسطين العربية ص ٩٠.

(٣) راجع سفر المكابيين الثانى ٤:١٨-٢٠.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) ص ٥٥ وورد فى سفر المكابيين الثانى أن "ياسون كان قد وجه منلاوس هذا إلى الملك ليقدم له أموالا فتزلف إلى الملك وأطرأ عظمة سلطانه وأحال الكهنوت الأعظم إلى نفسه بأن زاد ثلاث مائة قنطار فضة على ما أعطى ياسون (٤:٢٣-٢٤).

(٥) سفر المكابيين الثانى ٤:٢٥.

(٦) المصدر السابق: ٤:٢٧، ٣٢، ٣٩.

(٧) المصدر السابق ٤: ٥٠.

ثم حدث أن قام انطيوكس الرابع بغزو مصر وهزم ملكها بطليموس السادس (١٨٠ـ١٤٥ ق.م)، وتمكن من محاصرة الإسكندرية، لكنه لم يلبث أن بلغته أنباء اضطرابات وقلاقل أثارها اليهود فى أورشليم[١] وأشاعوا أنه قد مات فى مصر، فعاد الملك إلى أورشليم واتهم اليهود بالخيانة له التآمر عليه[٢] فتنمر فى قلبه ـ حسب تعبير المكابيين ـ وبدأ فى عام ١٦٨ ق.م ـ فيما يرى د/ المسلى ـ أول اضطهاد دينى كبير سجله التاريخ[٣].

فقد دخل أورشليم بجيش كثيف ـ كما يقول سفر المكابيين ـ وأمر الجنود أن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة ويذبحوا المختبئين فى البيوت، فطفقوا يهلكون الشباب والشيوخ ويبيدون الرجال والنساء والأولاد ويذبحون العذارى والأطفال، فهلك ثمانون ألف نفس فى ثلاثة أيام منهم أربعون ألف فى المعركة وبيع منهم عدد ليس بأقل من القتلى[٤].

ولم يكتف بذلك بل اجترأ ودخل الهيكل الذى هو أقدس موضع فى الأرض كلها وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن، وأخذ الآنية المقدسة بيديه الدنستين مع ما أهدته ملوك الأجانب لزينة الموضع وبهائه وكرامته وقبض عليها بيديه النجستين ومضى[٥].

ويصف سفر المكابيين الأول تلك الأحداث بقوله "أكثر من القتل وتكلم بتجبر عظيم، فكانت مناحة عظيمة فى إسرائيل فى كل أرضهم، وانتحب الرؤساء والشيوخ وخارت العذارى الفتيان وتغير جمال النساء، وكل عروس اتخذت مرثاة والجالسة فى الحجلة عقدت مناحة، فارتجت الأرض على سكانها وجميع آل يعقوب لبسوا الخزي"[٦].

---

(١) راجع تفاصيل هذه الغزوة: د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر فى عصر البطالمة ج ١ ص ٢٠٦-٢٠٩
(٢) سفر المكابيين الثانى ٥ : ١ـ١١.
(٣) سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ٦٥٠ المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم نشر جون هامرتون.
(٤) سفر المكابيين الأول ١ : ٢٢، سفر المكابيين الثانى ٥ : ١٢ـ١٤.
(٥) المكابيين الثانى ٥ : ١٥ـ١٦ وراجع أيضا مكابيين أول ١ : ٢٣ـ٢٤.
(٦) المكابيين الأول ١ : ٢٥ـ٢٩.

ويستطرد السفر فى عرض اضطهاد أنطيوكوس فيذكر أنه بعد ذلك "أرسل رئيس الجزية إلى مدن يهوذا فوفد على أورشليم بجيش كثيف وخاطبهم خطاب سلام مكرا فوثقوا به، ثم هجم على المدينة فجأة وضربها ضربة عظيمة وأهلك شعبًا كثيرا من إسرائيل وسلب غنائم المدينة وأحرقها بالنار وهدم بيوتها وأسوارها من حولها، وسبوا النساء والأولاد واستولوا على المواشى وبنوا على مدينة داود سورًا عظيما متينا وبروجا حصينة فصارت قلعة لهم، وجعلوا هناك أمة أثيمة رجالاً منافقين فتحصنوا فيها ووضعوا فيها السلاح والطعام وجمعوا غنائم أورشليم ووضعوها هناك فصاروا لهم شركا مهلكا، وكان مكمنا للمقدس وشيطانا خبيثا لإسرائيل على الدوام فسفكوا الدم الزكى حول المقدس ونجسوا المقدس فهرب أهل أورشليم بسببهم فأمست مساكن غرباء وصارت غربة للمولودين فيها وأبناؤها هجروها، ورد مقدسها خرابًا كالقفر وحولت أعيادها مناحاوسبوتها عارا وعزها اضمحلالا، وعلى قدر مجدها أكثر هوانها ورفعتها وآلت إلى مناحة"[1].

ويواصل السفر فيذكر كيف أن أنطيوكوس حاول فرض الثقافة الهلينية على جميع مملكته ومنها بلاد يهوذ فيقول "وكتب الملك أنطيوكوس إلى مملكته كلها بأن يكونوا جميعهم شعبا ويتركوا كل واحد سنته فأذعنت الأمم بأسرها لكلام الملك وكثيرون من إسرائيل ارتضوا دينه وذبحوا للأصنام ودنسوا السبت، فقد أنفذ الملك كتبا على أيدى رسل إلى أورشليم ومدن يهوذا أن يتبعوا سنن الأجانب فى الأرض ويمتنعوا عن المحرقات والذبيحة والسكيب فى المقدس ويدنسوا السبوت والأعياد وينجسوا المقادس والقديسين ويبتنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام ويذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة، ويتركوا بنيهم خلفًا ويقذروا أنفسهم بكل نجاسة ورجس حتى ينسوا الشريعة ويغيروا جميع الأحكام ومن لا يعمل بمقتضى كلام الملك يقتل، وكتب بمثل هذا الكلام كله إلى مملكته بأسرها وأقام رقباء على جميع الشعب، وأمر مدائن يهوذا بأن يذبحوا فى كل مدينة، فانضم إليهم كثيرون من الشعب كل من نبذ

---

(١) مكابيين أول ١ : ٣٠ـ٤٢، وراجع مكابيين ثان: ٥ : ٢٤ ـ٢٦.

الشريعة فصنعوا الشر فى الأرض وألجأوا إسرائيل إلى المختبآت فى كل موضع فروا إليه[1].

ويذكر سفر المكابيين الثانى أن الملك أرسل شيخا أثينيا ليضطر اليهود أن يرتدوا عن شريعة آبائهم ولا يتبعوا شريعة الله وليدنس هيكل أورشليم ويجعله على اسم زوس الأولمبى ويجعل هيكل جرزيم على اسم زوس مؤوى الغرباء لأن أهل الموضع كانوا غرباء، فاشتد انفجار الشر وعظم على الجماهيروامتلأ الهيكل عسهرًا وفسوقًا، وأخذ الأمم يفسقون بالمأبونين والنساء فى الدور المقدسة ويدخلون إليها ما لا يحل، وكان المذبح مغطى بالمحارم التى نهت الشريعة عنها، ولم يكن لأحد أن يعيد السبت ولا يحفظ أعياد الآباء، ولا يعترف بأنه يهودى أصلا، وكانوا كل شهر يوم مولد الملك يساقون قسرا للتضحية، وفى عيد ديوتيسيون يضطرون إلى الطواف إجلالا له وعليهم أكاليل من اللبلاب، وصدر أمر إلى المدن اليونانية المجاورة بإغراء البطالمة أن يلزموا بمثل ذلك وبالتضحية[2].

وأصدر الملك أوامر أن من أبى أن يتخذ السنن اليونانية يقتل فذاق اليهود بذلك أمر البلاء، وأن كل من وجد عنده سفر من العهد أو اتبع الشريعة فإنه مقتول بأمر الملك، ولذلك فما وجد الجنود من أسفار الشريعة مزقوه وأحرقوه بالنار، والنساء اللواتى ختن أولادهن قتلوهن بمقتضى الأمر وعلقوا الأطفال فى أعناقهن ونهبوا بيوتهن وقتلوا الذين ختنوهم، ولجأ قوم إلى مغاور كانت بالقرب منهم لإقامة السبت سرا فوشى بهم إلى فيلبس (الحاكم) فأحرقهم بالنار وهم لا يجترئون أن يدافعوا عن أنفسهم إجلالا لهذا اليوم العظيم[3].

وزاد الاضطهاد شدة على مر الزمن ذلك أنه ـ كما يقول ول ديورانت ـ "يوجد دائما فى كل مجتمع أقلية فطرت على الابتهاج إذا أذن لها بالاضطهاد ولأنها ترى فى هذا الاضطهاد انطلاقا من قيود الحضارة وكان عملاء انطيوخوس من هذه الأقلية

---

(١) سفر المكابيين الأول ١ : ٤٣ـ٥٦.

(٢) سفر المكابيين الثانى ٦ : ١ـ٨.

(٣) مكابيين أول ١ : ٥٩ـ٦٥.

مكابيين ثان : ٦ : ٩ـ١١.

فإنهم بعد أن قضوا على المظاهر اليهودية فى أورشليم انطلقوا انطلاق اللهب يبحثون عن هذه المظاهر فى المدائن والقرى وكانوا أينما حلوا يخيرون الأهلين بين الموت والاشتراك فى العبادات الهيلينية[1].

وهكذا ـ كما رأينا من وصف سفرى المكابيين ـ أصدر انطيوخوس الرابع أوامره بفرض الثقافة الهيلينية على بلاد يهوذا فرضا جبريا وإرغام اليهود جميعا على الدخول فى الديانة اليونانية والارتداد عن ديانتهم ارتدادا تاما، وكما رأينا أيضا فإن أغلب اليهود قد امتثلوا لأوامر الملك وارتدوا عن ديانتهم وتخلوا عن أعيادهم واعتنقوا الديانة اليونانية وقربوا لآلهتها ومارسوا طقوسها الوثنية.

الشتات الهيلينى:

لقد سبق أن أشرت إلى أن كثيرا من اليهود الذين سبوا على بابل آثروا الإقامة بها ولم يفضلوا العودة إلى فلسطين فى العصر الفارسى فأطلق عليهم "يهود الشتات" أو "الدياسبورا".

وكذلك فى العصر الهلسنتى فإن كثيرا من اليهود كانوا يقيمون خارج بلاد يهوذا وسط الوثنيين إما بمحض إرادتهم وإما فرارا من اضطهاد انطيوكوس الرابع فأطلق عليهم أيضا بالشتات الهيلينى[2]

وإذا كان الشتات الأول سمى بالشتات البابلى فإن الشتات فى العصر اليونانى أو الهلنستى سمى بالشتات الهيلينى[3].

وقد كان تشتت اليهود وانتشارهم على نطاق واسع فى الدول الهلنستية ظاهرة عامة تميزت بها حياتهم فى ذلك العصر وتميزوا أيضا بازدياد تقلبهم للاصطباغ بالروح الهيلينية[4].

---

(١) قصة الحضارة (٨) صـ٥٦.

(٢) د/ مصطفى عبد العليم : اليهود فى مصر ص ٢٩، د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر فى عصر البطالمةج ٢ ص ١٦٢.

(٣) د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا ص ١٤،١٧.

(٤) برتراندرسل: تاريخ الفلسفة الغربية : الفلسفة الكاثوليكية ص ٢٤، د مصطفى عبد العليم اليهود فى مصر صـ٢٩.

ويذكر المؤرخون أن عدد يهود الشتات قد زاد كثيرا عن عدد اليهود الذين بقوا فى يهوذا فقد بلغ عددهم مثلا فى سوريا ومصر حسب تقدير المؤرخين أضعاف عدد اليهود فى يهوذا[١].

، إذ كانت مصر تحت حكم البطالمة من بين الدول الهلنستية التى استوعبت عددا كبيرا من يهود الشتات الذين هاجروا من يهوذا وانتشوا على نطاق واسع فى تلك الدول، ولم تكن مصر لتخلوا تماما من اليهود فى العصر البطلمي.

ومن المرجح أنه كانت لا تزال بها بقايا بعض الجاليات اليهودية من العصر الفارسى وإن هجرة اليهود الجديدة دفعتها وبعثت فيها الحياة من جديد وعلى أى حال إن اليهود قد انتشروا من أرجاء مصر وقامت لهم بها جاليات منظمة كان من أبرزها جالية الإسكندرية دون شك[٢].

وكان أفراد هذه الجالية يسكنون فى حى من أحيائها، وكان عددهم يفوق عدد اليهود فى أورشيلم ذاتها[٣]، وقد نقلوا إلى تلك المدينة التى أصبحت فى وقت وجيز من أهم مدن العالم الهلنستى نشاطهم الفكرى والاقتصادى مما جعل منها مركزا من أهم مراكز اليهودية حتى إنه كان لا يقل خطورة وأهمية عن أورشليم أو بابل يوم أن كانت من أهم تلك المراكز فى العالم القديم[٤].

وأصبح اليهود الاسكندريون أكثر اصطباغا بالصبغة الهيلنية من اليهود الذين أقاموا فى بلاد اليهودية ذاتها ونسوا اللغة العبرية حتى لقد بات من الضرورى أن تترجم التوراة إلى اليونانية[٥]، فأخرجوا ليهود العالم المنتشرين فى كثير

---

(١) د/ مصطفى عبد العليم: المصدر السابق.

(٢) راجع ويلز معالم تاريخ الإنسانية مجلد٢ ك٤ صـ٤٦٤، د/ مصطفى عبد العليم: اليهود فى مصر صـ٢٨، د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر فى عصر البطالمة جـ٢ صـ١٥٤ـ١٥٥.

(٣) ويلز: معالم تاريخ الإنسانية ملجد٢ ك صـ٤٦٤، ويذكر الدكتور جمال حمدان أن ثلث سكان الإسكندرية البطلمية كانوا من اليهود كما يقال إنهم قاموا فيها بثورة قتلوا فيها ٢٢٠ ألفا من السكان الأصليين (اليهود انثروبولوجيا صـ١٧).

(٤) د/ مصطفى عبدالعليم: اليهود فى مصر صـ٢٩، د/ عبدالحميد زايد: القدس الخالدة صـ١٠٩.

(٥) برتراندرسل: الفلسفة الكاثوليكية صـ٣٢، د/ إبراهيم نصحى جـ٢ صـ١٥٩ـ١٦٠.

من أنحائه الترجمة الإغريقية للتوراة أو بعبارة أخرى التوراة فى صورتها الإغريقية[١].

ومن الإسكندرية انساب اليهود إلى كثير من أقطار البحر الأبيض المتوسط وأصبحوا عنصرا هاما من عناصر سكانها[٢].

وبجانب مصر فقد وجد اليهود فى سوريا وآسيا الصغرى وكان ثمة مركزان رئيسيان لتمركز اليهود: البلقان، وسواحل البحر الأسود[٣].

وكذلك كان يوجد عدد كبير من اليهود فى إنطاكية عاصمة السلوقيين، وعاشوا فى جالية منظمة وكان بوسع من شاء من أفرادها أن يصبح أهلاً للحصول على حقوق المواطنين كاملة إذا ما تخلى عن عقيدته وقام بعبادة آلهة المدينة[٤].

وهكذا فإن يهود الشتات أو يهود المهجر- كما أطلق عليهم شارل جنيبير - قد انتشروا فى أنحاء كثيرة من العالم الهلنستى والبيزنطى وتشعبوا بالثقافة اليونانية وتأثروا بالعقائد الوثنية، وأدى ذلك إلى تشرب بنى إسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ المسيحي[٥].

---

(١) برتر اندرسل: المصدر السابق صـ٣٢ـ٣٣، د/ مصطفى عبدالعليم: اليهود فى مصر صـ٢٩.

(٢) د/ مصطفى عبدالعليم: اليهود فى مصر صـ٢٩.

(٣) د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا صـ١٧.

(٤) راجع الحديث بالتفصيل عن مدينة إنطاكية وعن الجالية اليهودية بها: جلانفيل داونى: إنطاكية القديمة صـ٤٥ وما بعدها، صـ٨٤- ٨٧، ١٦٩ ترجمة د/ إبراهيم نصحى الناشر: دار نهضة مصر ١٩٦٧.

(٥) راجع شال جينيبير: المسيحية نشأتها وتطورها صـ٤٠، ٤١، ٧٦ـ٧٧، ١٠٤ـ١٠٥ ترجمة د/ عبدالحليم محمود دار المعارف بمصر ١٩٨١.

المبحث السابع
الاضطهاد الرومانى والشتات الأخير

سبق أن أشرت إلى أن اليهود قاموا بالثورة المكابية كرد فعل للاضطهاد العنيف الذى تعرضوا له على يد انطيوكوس الرابع، وأنهم تمتعوا بنوع من الاستقلال الذاتى فى ما يسمى بالعصر المكابى (١٦٧ – ٣٧ق م) تحت أسرة المكابيين أو الحشمونائيين وهو الاسم الذى غلب عليهم[١].

ولم يكن انتصار المكابيين معناه ـ كما يقول د/ المسلمي"أن كل يهودى قد أشرب من التحمس للشريعة قدراً يوازى تحمسه للحرب، كما أنه لم يغير شيئا من ثقافة العالم بوجه عام فما زالت أورشليم جزيرة فى محيط الهيلينية لا أكثر وما زال الإغراء باعتباره المبالغة فى حفظ الناموس ضربا من الظلامية، والاصطباغ بالصبغة الهيلينية إلى حد ما، ما زال هذا الإغراء يحمل فى مثابرة وقوة كما كان يعمل من قبل"[٢].

ويذكر ول ديورانت أن الهسمونيين أنفسهم قد فقدوا غيرتهم الدينية واستسلموا شيئا فشيئا لما كان فى العناصر التى ضموها إلى البلاد من نزعة هلنسية[٣]، وكان من سوء الطالع أن تتأجج نار الحزبية فى عهد ملوكهم الكهنة، وتندلع ألسنتها بين الحين

---

(١) وسمون أيضا "الهسمونيين".

(٢) سقوط أورشليم صـ٦٥١.

(٣) قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث من المجلد الثالث: قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية صـ ١٦١ ـ ترجمة محمد بدران الطبعة الثالثة ١٩٧٣.

فى صورة اضطهاد مروع وتقتيل بشع، وأن تصبح هذه الحزبية منذ ذلك الحين أشد العوامل فتكا فى مأساة السياسة اليهودية[١].

وكان الرومان فى عصر المكابيين قد ظهروا كقوة كبرى مرهوبة الجانب فى العالم القديم فلما سمع يهوذا المكابى بمدى قدرتهم وسرعة مناصرتهم لأتباعهم استنجد بهم من السلوقيين بعد أن تودد إليهم وعرض عليهم أن يكون اليهود من جملة مناصريهم وأوليائهم فقبل الرومان ولاء اليهود وحذروا ملك السلوقيين من التعرض لهم[٢].

وحين اشتعلت الحرب الاهلية بين اليهود فى عهد اسكندر حنايوس (١٠٤ – ٧٨ق.م) وظهر على مسرح الحوادث حزبان يهوديان ينتمى أولهما إلى هر كانوس الثانى وثانيهما إلى أخية ارستوبولس وأخذا يتنازعان السلطة بعد موت أمهم اسكندرة، واستمر الصراع بينهما فترة طويلة استجار بعدها كل منهما واستنجد بالقائد الرومانى بومبى وكانت روما ـ حينذاك ـ قد بلغت ذروتها فى الجبروت والعظمة، وأصبحت معنية أشد العناية بشئون مصر والشرق الأدنى القديم فزحف الجيش الرومانى بقيادة بومبى على أورشليم عام ٦٣ ق.م، وبعد أن حاصرها مدة ثلاثة شهور تمكن من فتحها بعد معركة دامية ذبح فيها من اليهود اثنى عشر ألفًا، وانتهك حرمة المعبد بدخوله قدس الأقداس ونصب هركانوس الثانى حاخامًا اعظم وحاكما بالاسم على بلاد اليهود، ولكنه كان فى حراسة أنتيباتر الأدومى الذى ـ أعانه فى هذه الحرب، وبذلك خضع اليهود للرومان بعد أن قضوا على استقلالهم وأصبحت اليهودية جزءًا من ولاية سورية الرومانية[٣].

---

(١) سقوط أورشليم صـ٦٥١ المجلد الثالث من تاريخ العالم نشر جون هامرتون، راجع تفاصيل الصراع الحزبى وآثاره على السياسة اليهودية فى نفس المصدر صـ٦٥١ـ٦٥٢.

(٢) راجع تفاصيل ذلك فى سفر المكابيين الفصل الثامن كله وفيه ابراز لمدى ما وصل إليه الرومان من شوكة واقتدار ونص لعقد المناصرة والولاء الذى وقعه الجانبان وكيف أن يهوذا المكابى قد أرسل إلى الرومان مبعوثين من قبله ليقدموا لهم فروض الولاء.

(٣) راجع تفاصيل هذه الأحداث: د/ المسلمى: سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص ٦٥٢-٦٥٣، كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب ص ١٣١-١٣٢ ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦١ ـ ١٦٢ أولبرايت: آثار فلسطين ص ٢٠١٤.

وقد ازدحم النصف الثانى من القرن الأول ق. م بالأحداث الخطيرة التى صحبت انتقال روما من النظام الجمهورى إلى النظام الإمبراطورى[1].

وكان انتيباتر الأدومى أثناء ذلك يتحين الفرص وهو محتجب خلف هركانوس الثانى فالتمس الحظوة عند الرومان، واستطاع فى النهاية أن يقدم ليوليوس قيصر (الأمبراطور الرومانى) من الخدمات أثناء الحملة التى قادها ضد بطليموس ملك مصر عام ٤٧ ق.م ـ ما حمل قيصر على مكافأته بجباية فلسطين كلها وعلى منح اليهود امتيازات كثيرة، ولكن اليهود كانوا يكرهونه رغم هذه الامتيازات[2].

على أن مقتله عام ٤٣ ق.م أسلمهم إلى قبضة هيرودوس ثانى أولاده ـ والذى سمى بهيرود الكبير ـ بعد نضال هائل انتهى بفرض الحصار من جديد على أورشليم والاستيلاء عليها[3].

---

(١) د/ المسلمى: سقوط اورشليم ص ٦٥٣ راجع تفاصيل هذه الأحداث فى كتاب م.ب تشارلز وورث: الأمبراطورية الرومانية ص ١٠-١٧، راجع أيضا الفصل الأول من الباب الأول من هذا البحث.

(٢) د/ المسلى: سقوط اروشليم ص ٦٥٣ قصو الحضارة (١١) ص ١٦٣، وكان اليهود يكرهون أنتيباتر ويكرهون ابنه هيرود الكبير نظرا لأصلهما الأدومى، وكان المكابيون بقيادة هركانوس الأول قد اضطهدوا الأدوميين وأكرهوهم على الاختتان واعتناق اليهودية عام ١٢٦ ق.م، ولعلهم عوقبوا على ذلك بتولى هيرودس الأول أو هيرود الكبير على اليهودية عام ٣٧ ق.م (راجع مكابيين أول ٤:٢٩/ ٥:٥٦، د/ حتى تاريخ سورية ج ١ ص ٣٦٩، سقوط أورشليم ص ٦٥٢٠، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨، أولبرايت: آثار فلسطين ص ١٥١.

(٣) حين تولى أنتيباتر حاكما على اليهودية قام بتعيين ولده البكر فاسيل حاكما على أورشليم وابنه الثانى هيرود حاكما على الجليل فلما مات بالسم عام ٤٣ ق.م تقاسم الاثنان سلطته وكان قسم هيرود هو الأكبر، وفى هذا الوقت زحف ـ البارثيون على بلاد اليهود وعينوا أنتيجوس آخر ملوك الهسمونيين ملكا على البلاد بعد آن استولوا على أورشليم وهرب هيرود إلى روما مستغيثا بالرومان فقرروا تنصيبه ملكا على بلاد اليهود، وتجهز بجيش كثيف من الرومان والمرتزقة والسوريين والأودميين وطرد البارثيين من البلاد وأرسل انتيجوس إلى انطونيوس ليعده وذبح جميع زعماء اليهود الذين عاونوه (الآب ديلى: تاريخ شعب الهد القديم ص ٤٠٠-٤٠١. ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٢-١٦٣، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨-١٠٠٩، د/ عبد الحميد زايد القدس الخالدة ص ١١٩-١٢٠.

ثم تهيأت له أسباب الحكم على بلاد اليهود وتم تعيينه ملكًا عليها من قبل الرومان عام ٣٧ق.م واستمر على خضوعه وانقياده لهم حتى مات عام ٤ ق.م[١].

ولكن اليهود لم يروا فيه ملكًا حقيقيًا لبنى إسرائيل فقد ظل فى نظرهم أدوميًا يتربع على عرض داود، والحق ـ فيما يقول د؟ المسلى ـ أنه كان لرعيته العذر كل العذر فى مقته بصرف النظر عن أصله الأدومى، فقد روعتهم كثيرًا هذه الوحشية التى عامل بها خصومه ـ المعروفين منهم والمظنونين ـ على الرغم من أن الناس كانوا قد ألغوا الفظائع والأهوال وأفزعتهم كثرة ما اقترفه من التقتيل والإعدم بين أفراد اسرته (ومنهم زوجته وولداه) بسبب ما كان يخالجه من شكوك فى نواياهم[٢] وكان

---

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٣-١٦٥، أولبرايت: آثار فلسطين ص ١٤٩، دى بورج: تراث العالم القديم. ج ١ ص ١٠٥.

(٢) اصطبغ عهد هيرودس كله بالدماء وبأبشع مذابح القتل التى شهدها التاريخ اذ أنه اكتشف مؤامرات حيكت ضده فقبض على المشتركين فيها وعذبهم وقتلهم ولم يكتف بقتلهم وحدهم بل قتل أسرهم كلها فى بعض الأحيان وأطلق عيونه بين الشعب وتخفى ليتجسس بنفسه على رعاياه فكان يعاقبهم على كل كلمة يشتم منها رائحة العداء له، فقد قتل أعضاء مجلس السند ريم جميعًا حين صارحوه بكراهيتهم له وذبح عددًا كبيرًا من شيوخ اليهود وكهنتهم الذين بدرت منهم أقل بادرة من المعارضة لحكمه، ولم يسلم من بطشه حتى أهل بيته وأقرب الأقربين إليه فقتل زوجته وعددًا من أولاده وزوج أخته، وكان مغرما بإبادة أعداد كبيرة من الناس بالجملة فقتل مائة من تلاميذ الفريسيين مع اثنين من زعمائهم، وحين بلغه نبأ ميلاد المسيح فى بيت لحم وعلم أنه سيكون ملكا على اليهود أمر بقتل كل أطفال المدينة من ابن سنتين فأقل فذهب ضحية هذه المذبحة عدة آلاف من الأطفال الأبرياء وحين اقترب من الموت ـ وكان موقنا بأن اليهود سيفرحون بموته ـ أصدر أمره بدعوة شيوخ أكبر العائلات فى بلاد اليهودية كلها إلى أريحا ثم أغلق عليهم ملعب الخيل وطلب إلى أخته سالومى أن تأمر الجنود بذبحهم جميعًا فى اللحظة التى يموت هو فيها، وهكذا اتسم عهد هذا الطاغية بأبشع صور الشراسة والوحشية والتعطش إلى الدماء والتفنن فى أساليب القتل بالخنق والشنق والحرق وتمزيق الجسم إلى نصفين، وانتزاع الاعترافات بتعذيبات لا مثيل لبشاعتها، كما اتسمت طبيعته بالشر والضغينة والحقد والرغبة العامة فى التنكيل بكل من يحيطون به والتمثيل بهم والانتقام منهم حتى أن سفراء اليهود اشتكوه لدى قيصر قائلين: "إن الذين بقوا أحياء أثناء حكمه كانوا أتعس من الذين أصابهم بطشه" راجع د/ المسلمى: سقوط أورشليم ص ٦٥٣، ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٨-١٦٩، زكى شنوده: اليهود ص ١٩٧-١٩٨، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٩، الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم ص ٤٠٢.

أكثر ما أسخطهم عليه هذا الاحتقار المقنع الذى كانت تنطوى عليه يهوديته الزائفة[١].

وقد جر منصب رياسة الكهنة إلى الحضيض يخلعه على الأشرار المفسدين ممن يختارهم على هواه[٢]، بالإضافة إلى أنه رغم تهوده إلا أنه لم يكن مؤمنًا باليهودية عن عقيدة وإنما كان فى طويته هيلينيا كافرا[٣] فقد أظهر ميوله الحقيقية مع الهلينية بأن بنى مدنا جديدة فى فلسطين على غرار المدن الاغريقية وتشييده المعابد الوثنية فيها[٤].

وأنشأ فى أورشليم دارًا فخمة للتمثيل ومدرجا وزينها بتماثيل يونانية أثارت دهشة اليهود وغضبهم بعريها، كما أثار غضبهم عرى المصارعين فى الألعاب الرياضية[٥].

وبلغ من شدة خضوعه للرومان والعمل بكل وسيلة على إرضائهم والتقرب إليهم أن أقام هياكل وثنية لعبادة الإمبراطور الرومانى فى أورشليم ذاتها ووضع على باب الهيكل تمثالا ضخما من الذهب للنشر الذى هو شعار الدولة الرومانية، فاعتبر اليهود ذلك النسر صنماوثنيًا[٦].

وقد شاد لنفسه قصرًا أقامه على الطراز اليونانى وملأه بالذهب والرخام

---

(١) سقوط أورشليم ص ٦٥٣.

(٢) المصدر السابق ص ٦٥٣، زكى شنوده: اليهود ص ٤٠٢.

(٣) سقوط أورشليم ص ٦٥٣، برتراندرسل: الفلسفة الكاثوليكية ص ٣١، ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٥.

(٤) من أمثال هذه المدن قيصرية فيلبس التى أصبحت ميناء فلسطين الرومانية وسماها قيصرية تكريما لمولاة أو غسطس قيصر (راجع الحديث عنها د/ حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ١١٣، قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٥-٧٥٦.

(٥) سقوط أورشليم ص ٦٥٣، قصة الحضارة (١١) ص ١٦٦.

(٦) قصة الحضارة (١١) ص ١٦٦، راجع الوصف الكامل لعمارة هذا القصر وغيره من القصور التى أقامها فى أورشليم: ط/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ص ١٢١-١٢٢.

والأثاث الفخم الثمين وأحاطه بحدائق واسعة محتذيا فى ذلك حذو أسياده الرومان[١]، وصدم مشاعر الشعب حين أعلن أن الهيكل الذى شاده زوبابل منذ خمسة قرون كان ضيقا وأنه يعتزم أن يهدمه ويقيم فى مكانه هيكلاً أوسع منه[٢]، وصدم مشاعر الشعب حين أعلن أن الهيكل الذى شاده زوبابل منذ خمسة قرون كان ضيقًا وأنه يعتزم أن يهدمه ويقيم فى مكانه هيكلاً أوسع منه[٣]، ولم يبال باحتجاج الأهلين ومخاوفهم وحقق رغبته بأن أقام المعبد الفخم ـ الذى سيدمره تيطس عام ٧٠م كما سنرى ـ على الطراز الهيللينى ووضع عليه النسر الذهبى الكبير الذى أشرت إليه آنفا والذى تحدى به اليهود[٤].

وجدير بالذكر أن هذا الهيكل هو الذى كان يعلم فيه السيد المسيح[٥].

وقد اتضح لليهود أن هيرود يريد أن يكون معبود العالم اليونانى لا ملكا لهم فحسب ومن أجل هذا كان انتصار الروح الهلينية على الروح العبرانية فى شخص حاكمهم نذيرًا لهم بكارثة مدلهمة لا تقل عما حل بهم من الاضطهاد على يدى أنطيوكوس الرابع[٦].

فلا عجب بعد ذلك أن اغتبط اليهود بما رافق مرضه وموته عام ٤ ق.م من

---

(١) سقوط أورشليم ص ٦٥٣، قصة الحضارة (١١) ص ١٦٦.

(٢) قصة الحضارة (١١) ص ١٦٦، راجع الوصف الكامل لعمارة هذا القصر وغيره من القصور التى أقامها فى أورشليم: د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ص ١٢١-١٢٢.

(٣) يذكر د/ المسلى أن هيرودس شرع فى عام ٢٠ ق.م فى بناء هيكل جديد يحل محل هيكل زربابل وكان قد تهدم أثناء القتال قبل ذلك بسبعة عشر عامًا فأزيلت كل المبانى غير القريبة من التل وشيد فوق هذه البقعة الفسيحة هيكلا لم تر أورشليم له نظيرًا فى الفخامة والروعة (سقوط أورشليم ص ٦٥٤).

(٤) قصة الحضارة (١١) ص ١٦٦-١٦٨، برتراندرسل الفلسفة الكاثوليكية ص ٣١، راجع التفاصيل الكاملة لهذا المعبد والأبحاث الأثرية التى دارت حوله: د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ص ١٢٣-١٣٦، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠١٤-١٠١٥.

(٥) د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ١١٣.

(٦) ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٨.

عذاب نفسى وبدنى أليم[١] حتى لقد قالوا عنه "إنه تسلل إلى العرش تسلل الثعلب وحكم حكم النمر ومات ميتة الكلب"[٢].

وكان هيرود قد أوصى قبل وفاته بأن تقسيم مملكته بين أبنائه الثلاثة الباقين أحياء[٣]، فتولى أرخيلاوس على اليهود وهيرودس أنتيباس على الجليل[٤] وفيلبس على الإقليم الشرقى المعروف باسم بتنانيا[٥] وقد تابع الثلاثة سياسة أبيهم فى التزلف إلى الرومان والانبهار بوثنيتهم[٦].

غير أن أغسطس قيصر لم يلبث أن استجاب لشكوى اليهود بالغاء الملكية فى بلاد اليهود على أثر فتن يهودية ومنازعات عائلية وخلع أرخيلاوس عام ٦ ق.م وجعل اليهودية ولاية رومانية من الدرجة الثانية بأن عين عليها حاكما رومانيا مسئولا أمام وإلى سوريا الرومانية[٧] ودام هذا النوع من الحكم (فيما عدا فترة الثلاث سنوات ٤١-٤٤م عندما حكم هيرود أغربا الأول اليهودية كملك[٨]

---

(١) سقوط أروشليم ص ٦٥٣، أصيب هيرودس فى أواخر أيامه بداء الاستسقاء والقروح والحمى والتشنج والنفس الكريه الرائحة حتى لقد أقدم قبل موته بخمسة أيام على محاولة للانتحار خلاصا من الأوجاع الرهيبة التى تنتابه وظل هكذا فريسة العذاب الشنيع حتى زهقت روحه أخيرًا وهو كاره للجميع مكروه من الجميع (قصة الحضارة (١١) ص ١٦٩، زكى شنودة لليهود: ص ١٩٨).

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٦٩.

(٣) قصة الحضارة (١١) ص ١٧٥، ١٩٨.

(٤) هو الذى عاصر يوحنا المعمدان (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠١١).

(٥) وهى المناطق الواقعة شمال شرقى بحر الخليل وتشمل ايطورية وتراخونيس (زكى شنودة اليهود: ص ٢٠٣)..

(٦) راجع زكى شنودة: اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط ص ١٩٨-٢٠٣.

(٧) راجع ول ديورانت: قصة الحضارة (١١ ص ١٨٤، الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم ص ٤١٣ دى بروج: تراث العالم القديم ج ١ ص ١٠٥، د/ المسلى: سقوط أروشليم ص ٦٥٣، وكان الحاكم الرومانى فى عهد المسيح عليه السلام يسمى بيلاطس.

(٨) تولى الامبراطور تيبريوس حكم الرومان بعد أغسطس ونعمت البلاد المضطربة بفترة صغيرة من السلام فلما جلس كلجيولا على العرش أراد أن يجعل عبادة الأمبراطور دينا يوحد به أجزاء الامبراطورية المختلفة فأمر أن تشمل كل العبادات قربانا يقرب لصورته وأصدر تعليماته إلى الموظفين فى اورشليم أن يضعوا تمثاله فى الهيكل وكان اليهود فى عهد أغسطس وتيبربوس قد خطوا نصف الريق إلى ترضية الأباطرة بأن كانوا يضحون بيهوه باسم الامبراطور ولكنهم عارضوا =

حتى الثورة العظيمة التى حدثت عام ٦٦م وتدمير طيطس لأورشليم فى عام ٧٠م[١].

فعلى أثر المظالم المتتالية والاضطهادات المستمرة التى اقترفها الولاة الرومانيون[٢]. اندلعت ثورة اليهود فى أورشليم وقاموا بذبح الحامية الرومانية، وقبل أن يحل شهر سبتمبر من عام ٦٦ ق.م كان الثوار قد استولوا على أورشليم وعلى فلسطين كلها تقريبًا[٣].

= أمر كليجولا حتى مات وتلى من بعده الإمبراطور كلوديوس فقام بتعيين حفيد هيرودس الكبير ويسمى هيرود أغربا أو أجربا ـ ملكا على فلسطين كلها سنة ٤١ فلما مات عام ٤٤ تم تعيين حاكم من قبل رومة كما كان من قبل (راجع تفاصيل ذلك فى قصة الحضارة (١١) ص ١٨٤-١٨٥).

(١) دى بورج: تراث العالم القديم ج ١ ص ١٠٥.

(٢) يذكر المؤرخون أن حكم الرومان لولاية اليهودية كان أكبر وصمة فى تاريخهم الادارى ـ بسبب خطئهم وعدم توفيقهم فى تعيين ولاة عليها لا ترتفع كفايتهم عن الدرجة الثانية وتهبط أخلاقهم إلى الدرجة العاشرة فقد كان معظمهم عاجزين أو سفلة فكرههم اليهود ودأبوا على منا وأتهم، والتمرد عليهم، ولم تكن السنوات الشقية (٦-٧٠م) إلا كابوسا من المظالم القاسية التى لقيت مقاومة صحبتها فظائع وحشية، وإذا كان بيلاطس الذى ـ عاصره المسيح عليه السلام ـ قد اشتهر اسمه دون غيره من الولاة الرومانيين على يهوذا، فإنه رغم قسوته وإثارته لسخط الناس لم يكن من وجهة نظر اليهودية شر هؤلاء الولاة المتعاقبين، إلا أنه لابد من القول بأن اليهود كانوا فى نظر هؤلاء الولاة شعبا مشاكسا صعب المعاشرة صعب الانقياد وليس من السهل إخضاعه وأن المحافظة على الهدوء والنظام فى فلسطين كان عبئا ثقيلا ومطلبا عسيرًا.

(راجع الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم ص ٤١٣، د/ المسلمى: سقوط ـ أورشليم ص ٦٥٣، ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٨٥، زكى شنودة اليهود ص ٢٠٤-٢٠٦، اندريه ايمار، وجانين اوبوابه: روما وامبراطوريتها ص ٤١٧-٤١٨ ترجمة يوسف سعد دارم وفريدم. داغر: منشورات عويدات بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٤، وهو الجزء الثانى من تاريخ الحضارات العام باشراف موريس كروريه.

(٣) بدأت الثورة بمظاهرة احتجاج مجموعة من شباب اليهود على الوالى الرومانى فلورس الذى تولى ٦٤م وتميز عهده بالمذاج ـ لكنه فرق المتظاهرين وقبض على زعماء الفتنة ثم قام بقتل ثلاثة آلاف وستمائة يهودى فغضب اليهود وقبضوا على الحامية الرومانية ثم قتلوهم عن آخرهم وهكذا استحالت الفتنة إلى ثورة وخاصة أن الرومان قتلوا فى نفس هذا اليوم ـ الذى ذبحت فيه أفراد الحامية الرومانية ـ عشرين ألفا من اليهود فى قيصرية فيلبس وعشرة آلاف يهودى فى دمشق، وتخفى الالآف من اليهود وقاموا بتدمير عدد كبير من المدن اليونانية فى فلسطين وسوريا وأحرقوا بعضها عن آخرها وقتلوا عددًا كبيرًا من أهلها كما قتل منهم أيضًا كثيرون، ويقول يوسيفوس اليهودى فى هذا "وكان من المناظر المألوفة فى ذلك الوقت أن ترى المدن مملوءة بجثث الموتى ملقاة فيها دون =

ولكن الرومان على الثورة كان عنيفًا، فقد انتقموا من اليهود شر انتقام إذ أرسلوا إليهم جيشًا ضخمًا قوامه ستون ألف مقاتل فى عام ٦٧م بقيادة فسباسان فحاصر أورشليم وظل يضيق الخناق على اليهود حتى إذا ما انتخبه الجيش الرومانى امبراطورًا للدولة الرومانية فى عام ٦٩م ترك ولده تيطس على أبواب أورشليم ليواصل الحصار، وظلت أورشليم تستميت فى المقاومة حتى تمكن الجيش الرومانى من فتح ثغرات فى حصونها واختتمت آلام الجوع والوباء والتقتيل بإضرام النيران فى الهيكل فاحترق عن آخره وتم الاستيلاء على اورشليم بعد أن خيم عليها الدمار والخراب فى ٩ أغسطس عام ٧٠م[١].

ويذكر المؤرخ يوسيفوس ـ أن عدد من أسر من اليهود وبيع فى أسواق الرقيق بلغ سبعة وتسعين ألفًا وأن عدد من أبيد وقتل قد تجاوز المليون.

لكن هناك من المؤرخين مثل تاستس من يقدرهم بستمائة ألف قتيل فقط[٢].

= أن تدفن وأن نشاهد جثث الشيوخ إلى جانب جثث الأطفال وبينها جثث النساء عارية من كل غطاء لكن الثوار تمكنوا فى النهاية من السيطرة على أورشليم، وعلى معظم مدن فلسطين (راجع ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ص ١٨٥-١٨٧، د/ المسلى: سقوط اورشليم ص ٦٥٤ جلانفيل داونى: انطاكية القديمة ص ١٢٣-١٢٤، تشارلز وورث: الامبراطورية الرومانية ص ٦٨، ٦٧.

(١) د/ المسلى: سقوط اروشليم ص ٦٥٥، قصة الحضارة ١٨٧-١٨٨ (١١)، الامبراطورية الرومانية ص ٦٨، انطاكية القديمة ص ١٢٥، روما وامبراطوريتها ص ٤١٩، د/ عبد الحميد زايد القدس الخالدة ص ١٤٦-١٤٧، زكى شنودة: اليهود ص ٢٠٩-٢١١.

وقد قدم يوسيفوس وصفا مفصلا لهذه الأحداث التى عاصرها فمما يذكر أن الرومان أسروا آلافًا من اليهود وصلبوهم وقد بلغوا من الكثرة حدًا لم تتسع معه الأرض لإقامة الصلبان ولم يوجد من الصلبان ما يكفى لأجسامهم وازدحمت شوارع المدينة بجثث الموتى، وكانت جماعات من النهابين تطوف بالموتى وتقطع اجسامهم وتنهب مالهم ويقال أن ١١٦.٠٠٠ جثة ألقيت من فوق أسوار أورشليم وأن بعض اليهود بلعوا قطعًا من الذهب وخرجوا خلسة من أورشليم وأن الرومان أو السوريين الذين قبضوا عليهم شقوا بطونهم ليحصلوا على ما ابتلعوه من الذهب. (راجع قصة الحضارة (١١) ص ١٨٨).

(٢) قصة الحضارة (١١) زكى شنودة: اليهود ص ٢١٠.

وقد علق هنتيجتون ـ وهو جغرافى يهودى لا يخفى تعصبه على هذه الأرقام التى ذكرها يوسيفوس بأنها أرقام مبالغ فيها بلا شك، ويذكر الدكتور جمال حمدان أنه يمكننا نحن أيضًا أن ننبذها ونعدها خرافية تمامًا لأن الأدلة التاريخية وإشارت التوراة نفسها كما رأينا تضع كل تعداد اليهود فى حدود تقصر دون ذلك كثيرًا جدًا ولا تتجاوز ثلاثة أرباع المليون كحد أعلى. =

وعلى أى حال فان تيطس عاد إلى روما وقدم هو ووالده بموكب كبير عرضت فيه كنوز الهيكل وأخصها الشمعدان الذهبى ذو السبع شعب، وشريعة اليهود، وسار فى الموكب أسرى اليهود الذين جئ بهم من أورشليم، وحتى يسجل استيلاء على أورشليم أقام قوسًا للنصر سمى قوس النصر العظيم لتيطس بنى فى حاسة روما ونقش عليه الكثير من المظاهر(١).

وقيل إن بعض اليهود ظلوا يقاومون فى أماكن متفرقة حتى عام ٧٣م لكن تدمير الهيكل كان فى واقع الأمر نهاية الفتنة ونهاية الدولة اليهودية، وصودرت أملاك الذين اشتركوا فى الثورة وبيعت، وكادت اليهودية أن تخلو من اليهود، وعاش من بقى منهم فى عيش الكفاف وكان أفقر فقرائهم برغم على أن تخلو من اليهود، وعاش من بقى منهم فيها عيش الكفاف وكان أفقر فقرائهم برغم على أن يؤدى للهيكل الوثنى فى رومة نصف الشاقل الذى كان ـ العبرانيون الصالحون يؤونه فى كل عام لصيانة هيكل أورشليم(٢).

ثورة ١٣٥ والشتات الأخير:

وكانت آخر وقفة وقفها اليهود فى التاريخ القديم لاستعادة حريتهم تلك الثورة التى أشعلوها فى عام ١٣٢ بزعامة شمعون باركوشيبا أو باركوخيا(٣).

= ومن الناحية الأخرى فإذا صح ما يقوله البعض من أن عدد من أبيد من اليهود فى هذه الثورة لا يقل عن ٦٠٠ ألف ـ ولعله أدنى إلى العقل ـ فذاك انقراض جنسى حقيقى لم يكد يترك منهم شيئًا (راجع اليهود انثر وبولوجيًا ص ١٩-٢٠.

(١) راجع جلانفيك داونى: انطاكية القديمة ص ١٢٧-١٢٨، د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) راجع قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث منالمجلد الثالث: قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية/ ترجمة محمد بدران ص ١٨٨-١٨٩/ الطبعة الثالثة ١٩٧٣.

(٣) يذكر المؤرخون أن الرومان بحمقهم وبلاهتهم هم الذين أشعلوا نار هذه الثورة ذلك أن هدريان أعلن فى عام ١٣٠م أنه يعتزم بناء ضريح لجوبيتر فى مكان الهيكل ثم آصدر فى عام ١٣١ مرسومًا بتحريم الختان وتعليم الشريعة اليهودية علنا وكان شمعون بن كوزيبا الذى اطلق عليه باركوخيا قد ادعى أنه المسيخ المنتظر فالتف حوله اليهود وقاموا بتلك الثورة
راجع روما وامبراطوريتها ص ٤١٩، ول ديورانت: قصة الحضارة (١١) ه ١٩٤، د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة ص ١٥٤.

لكن الرومان تمكنوا من قمعها والقضاء عليها فى عام ١٣٥م بعد أن قاموا بمذبحة رهيبة ونهائية قضت على اليهود وختمت على مصيرهم فى فلسطين كدولة قومية فعدا تدمير أورشليم والهيكل مرة أخرى صفيت بقايا اليهود بالابادة والهجرة[١].

فقد اتسع شتات اليهود، وفر كثير منهم ورحلوا عن فلسطين وحل محلهم فيها أقوام جديدة من عروق مختلفة[٢].

وبنى الامبراطور هدريان فوق أطلال أورشليم مدينة جديدة عرفت باسم "ايليا كابتوليا"[٣] وشيد فيها معبدًا للاله جوبيتر على أنقاض الهيكل القديم وأقام لنفسه تمثالا لنفسه أمام هذا الهيكل، وأحيا فيها ما يعرف بعبادة الإمبراطور، كما شيد أيضا معبدًا للإله فينوس عند موقع الجلجثة ونصب عنده تمثال الزهرة عشترت[٤].

وهكذا ومن هذا التاريخ (١٣٥م) ومن يوم أن جعل هدريان أورشليم قاعًا صفصفًا حكم الرومان على اليهود بالتشتيت النهائى حيث حرموا عليهم دخول

---

(١) يذكر المؤرخون أن الرومان قد دمروا تسعمائة وخمسًا وثمانين قرية ومدينة فى فلسطين وذبحوا خمسمائة وثمانين ألفًا من اليهود، ويقال إن الذين ماتوا من الجوع والمرض والحريق كانوا أكثر من هذا العدد وخربت بلاد اليهود كلها تقريبًا وخر باركوشيبا أو باركو خيا نفسه صريعًا وكان الذى بيعوا من اليهود فى أسواق الرقيق من الكثرة بحيث انخفض ثمن الواحد منهم حتى ساوى ثمن الحصان واختبأ آلاف منهم فى سراديب تحت الأرض مفضلين ذلك على الأسر ولما أحاط بهم الرومان هلكوا من الجوع واحدًا بعد واحد وكان الأحياء منهم يأكلون جثث الموتى (راجع قصة الحضارة (١١) ص ١٩٤-١٩٥، الأب دبلى: تاريخ شعب العهد القديم ص ٤١٣، د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا ص ١٩.

(٢) روما امبراطوريتها ص ٤١٩.

(٣) واليا هو لقب أسرة الأمبراور الرومانى هدريان أو هدريوناس قبل ارتقائه العرش وكابتولين جوبيتر هو الاله الرومانى الرئيس (راجع روما وامبراطوريتها ص ٤١٩، القدس الخالدة ١٥٤-١٥٥.

(٤) راجع روما وامبراطوريتها ص ٤١٩، قصة الحضارة (١١) ص ١٩٥، القدس الخالدة ص ١٥٤-١٥٥.

أورشليم نهائيًا[1]،وطردوهم من فلسطين إلى كل أجزاء الإمبراطورية، وانتهت علاقتهم بها سياسيا وسكانيًا فى التاريخ القديم.

وعرف هذاالشتات أو الخروج بالشتات الأخير[2].

كذلك فقد قتل الرومان أو طردوا كل اليهود فى قبرص، وحتى ندرك ضآلة ما تبقى من اليهود بعد هذه المذابح والمطاردات يكفى أن نذكر أن عدد يهود الخروج الأخير أو الشتات الأخير هذا يقدر بنحو أربعين ألفا فقط وهو رقم لا بد أن نتذكره دائمًا لما سيكون له من دلالات جنسية وتاريخية وسياسية عميقة المغزى، أما ما تبقى بعد هذا وذاك من يهود فلطسين فشراذم ضئيلة ازدادت تناقصا فيما بعد بتحول بعض أفرادها إلى المسيحية[3].

هذا وقد ظل اليهود قرونا عدة يعانون آثار النكبة التى حلت بهم بعد ثورة ١٣٥م ـ ودخلوا من هذه اللحظة فى دور الكهولة وتخلوا عن كل العلوم الدنيوية ما عدا الطب، ولم يتلقوا السلوك أو الوحدة إلا من أحبارهم وشعرائهم الصوفيين، وكما يقول ول ديورانت: (لقد حرم عليهم أن يدخلوا المدينة المقدسة وأرغموا على

---

(١) استثنى من هذا التحريم يوم واحد سمح فيه الرومان لليهود بالدخول فى أورشليم وهواليوم التاسع من اغسطس (الدكتور عبد الحميد زايد أن هذا الاستثناء لم يحدث إلا فى القرن الرابع الميلادى، ثم الغى التحريم فى القرن التالى حينما تدخلت الأمبراطورة ايدوسيا أرملة الامبراطور ثيودوسيوس الثانى واستطاع اليهود الاقامة مرة أخرى فى المدينة (راجع قصة الحضارة (١١) ص ١٩٥، (١٤) ص ٤ روما وامبراطوريتها ص ٤١٩، القدس الخالدة ص ١٥٥.

(٢) القدس الخالدة ص ١٥٥، اليهود انثروبولوجيا ص ٢٠ ـ على أن يهود الشتات الرومانى لم يكونوا من طريدى فلسطين وحدها وإنما من كل مستعمراتهم السابقة القائمة فى العالم الهلنستى فتبعوا الرومان إلى إيطاليا وألمانيا حتى الراين ـ راجع تفاصيل ذلك: د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا ص ٢١-٢٢.

(٣) ولعل أهم تلك البقايا: الشامريون الذين تحولوا إلى قوقعة قزمية مغلقة فى نابلس (شكيم القديمة) حتى أنها لا تزيد اليوم عن مائة أو مائتين، وفى بداية القرن التاسع عشر لم يكن عدد اليهود فى فلسطين كلها ليزيد عن عشرة آلاف نسمة (د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا ص ٢٠ ـ، ٢١).

تسليمها للوثنية ثم المسيحية، وشردوا فى كل ولاية من ولايات الدولة الومانية والى ما وراء حدود تلك الدولة وضربت عليهم الذلة والمسكنة[1].

ولم يجدوا لهم صديقًا حتى بين الفلاسفة والقديسين فابتعدوا عن المناصب العامة وعكفوا على عزلتهم، واستمسكوا أشد الاستمساك بأقوال علمائهم وأخذوا يتأهبون لكتابتها آخر الأمر فى تلمود بابل وفلسطين، وهكذا اختبأت اليهودية فى ظلمات الخوف والفزع بينما كانت وليدتها المسيحية تخرج إلى العالم[2].

---

(١) الملاحظ أن تحولاً جذرياً قد طرأ على اليهود بعد هذه الابادة الشاملة والتشريد فتاريخهم قبل عصر التوراة وبعده تاريخ دموى حربى كله الغزو والعدوان وتغلب عليهم فيه صفة الشراسة والعنف، أما بعد مجازر الآشوريين والبابليين ثم اليونان والرومان فقد تحول اليهودى فجأة إلى شخصية مستضعفة خانعة تحقيق أغراضها بالوسائل الناعمة والملتوية وبالتزلف والمكر والخديعة، ويرجع هنتيجتون هذا التحول فى الشخصية الجماعية إلى عمليات الانتخاب التى فرضتها تلك المجازر ـ حيث بادت فيها العناصر المناضلة المقاومة ولم يبق إلا عناصر الجبن والمسكنة والخبث، ومنها ومن حينها أخذ اليهود طابعهم الذى عرفوا به فى كل العالم حتى اليوم.
(د. جمال حمدان: اليهود أنثروبوجيا صـ ٢١).

(٢). قصة الحضارة (١١) صـ ١٩٥ ـ ١٩٦، راجع أيضا قصة الحضارة (١٤) الجزء الثالث من المجلد الرابع عصر الإيمان صـ ٤-٩ ترجمة محمد بدران طبعة ١٩٧٥ وفى هذه الصفحات يتحدث المؤلف عن مصير اليهود بعد الشتات الأخيرة وحياتهم بين عام ١٣٥ إلى عام ٥٦٥م.

المبحث الثامن
اختلاط اليهود بالشعوب الوثنية وزواجهم بالوثنيات

وهكذا كان اليهود ـ على مدار تاريخهم القديم ـ كالكرة تتقاذفها الأقدام وتنتقل من قدم إلى الأخرى، وعاشوا يلقون الصفعات المتتالية والضربات المستمرة ما أن يفيقوا من صفعة حتى تنهال عليهم ضربة أشد.

ولعل عزرا يشير إلى ذلك حين تضرع إلى الرب وقال "اللهم إنى أخجل وأخزى من أرفع يا إلهى وجهى نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤسنا وآثامنا تعاظمت إلى السماء منذ أيام آبائنا نحن فى إثم عظيم إلى هذا اليوم ولأجل ذنوبنا قد دفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأرض للسيف والسبى والنهب وخزى الوجوه كهذا اليوم"[1].

وكما لاحظنا فإن الإسرائيليين قد اضطهدوا فى مصر سنوات طويلة وعانوا فيها ظلم العبودية وبؤس السخرة ثم تاهوا فى البرية أربعين سنة يهيمون على وجوههم فى ضلال وضياع، وحين دخلوا كنعان ظلوا فى نزاع دائم وحرب مستمرة فى عهد يشوع، وفى عصر القضاة لاقوا الذل والمرارة على أيدى شعوب فلسطين.

ولم يشعروا بكيانهم إلا فى عصر المملكة الموحدة وخاصة فى عهدى داود وسليمان عليهما السلام، ولكن سرعان ما تتجرأ المملكة ويدخل عصر الانقسام بنزاعاته الدائمة وصراعاته المستمرة حتى تزول مملكة الشمال ويتم تخريب السامرة

---

(١) عزرا ٩ : ٦-٧.

على أيدى الأشوريين ويقع السبى الأشورى ٧٢٢ ق. م وتنتهى مملكة الجنوب ويتم تدمير أورشليم على أيدى البابليين ويحدث السبى البابلى ٥٨٦ ق. م.

وما أن ينعمون بفترة من الهدوء فى العصر الفارسى حتى يفجعهم الاضطهاد اليونانى ويبدأ الشتات الهيلينى، ثم يجئ الاضطهاد الرومانى وتحرق اورشليم بهيكلها عام ٧٠ ثم تكون الإبادة الشاملة عام ١٣٥م ويبدأ الشتات الرومانى أو ما يعرف بالشتات الأخير.

فعاش اليهود أغلب حياتهم تحت سياط القهر والاستعباد، وعانوا مزيدًا من الذل والاضطهاد، وصحب كل ذلك تحريق وتخريب وتدمير وانتهى كل ذلك أيضًا إلى تيه وضياع، وإلى سبى وتشرد وشتات.

وقد أدى هذا كله إلى زلزلة كيان اليهودى وانهياره داخليًا وانهزامه نفسيًا، مما ساعد على تقبله الأفكار الوثنية واستغراقه الكامل فى عقائدهم، وعكوفه الدائم على طقوسها وعباداتها.

ولكن فى فترات السلم والهدوء التى تمتع بها اليهود سواء فى مصر أو فى كنعان وسواء ـ أكانوا فى أورشليم أو بابل تحت رعاية البابليين أو فى بابل وأورشليم تحت عناية الفرس أو فى فترة البطالمة والمكابيين فإنهم أيضا سرعان ما اختلطوا بالشعوب الوثنية واندمجوا فيهم مما أدى إلى الامتزاج بهم ثقافيًا والتأثر بهم دينيًا.

ففى مصر اتصل الإسرائيليون بالمصريين واختلطوا بهم وتمت بينهم مصاهرة ومجانسة، وبمرور الزمن اختلط الحابل بالنابل وأصبح الابن لأب مصرى وأم إسرائيلية أو لأم مصرية وأب إسرائيلي.

وإذا كان بنو إسرائيل يطلقون على ابن الصرى أنه ابن غريب، فقد كان أكثر الذين ولدو من آباء مصريين يتولون القيادة فى بنى إسرائيل لميزة الشجاعة والجرأة ـ

"وحيث أن التاريخ لم يثبت وجود سجلات لقيد بنى اسرائيل يبين فيها الأصل والفرع، فلا يمكن أن نتبين الخلاصة من بنى إسرائيل الذين لم يختلطوا بالمصريين

حيث أن مدة إقامة بنى إسرائيل بمصر كانت مدة طويلة جدًا يتوه فيها الأصل والفرع"[1].

ومن ثم فإن العلماء والمؤرخين ينتهون إلى أن بنى إسرائيل قد ذابوا فى البيئة المصرية[2].

وأما فى كنعان فإن الإسرائيليين حين دخلوا وجدوا الكنعانيين على مرحلة متقدمة من الحضارة فنقلوا عنهم وامتزجوا بهم وتشعبوا بثقافتهم وانصهروا فيهم، ولئن لم تستطع الآثار المعاصرة أن تقدم دليلًا ماديًا ينهض على وجود ثغرة بين المرحلة الكنعانية والمرحلة الإسرائيلية فليس ذلك إلا لأن الإسرائيليين استطاعوا أن يصطبغوا بصبغة الكنعانيين بمجرد الاتصال بهم[3].

وكما يقول بريستيد فغنه بعد زمان معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم ممكنا، لا فى المنظر الخارجى ولا فى المهنة ولا فى أسلوب المعيشة، لأنهم اقتبسوا الحضارة الكنعانية كما يقتبس المهاجرون إلى أمريكا فى هذه الأيام عادات الأميركان وأخلاقهم وملابسهم[4].

وقد كانت النتيجة أن أخذ الإسرائيليون يتكلمون لغة الكنعانيين ويتصاهرون معهم، ـ ونستطيع أن ندرك بسهولة ـ فيما يقول الأب ديلى ـ ما يجره عليهم مثل هذا التقرب إلى شعب وثنى من الأخطار[5].

---

(١) راجع محمد فؤاد الهاشمى: اليهود من الكتب المقدسة صـ٧ وصـ٨.

(٢) راجع د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٤٨٥.

(٣) راجع تفاصيل ذلك: د/ فيليب حنى: تاريخ سورية جـ ١ صـ ١٩١-٢٢١، موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٨٢ ـ ٨٤، تاريخ لبنان صـ١١٣، تاريخ العرب جـ١ صـ٥١، ٥٢، غوستاف لوبون: اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى صـ ٤٣-٤٤، دى بورج: تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٤٨، موسكاتى: الحضارة السامية القديمة صـ١٤٠، كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ ٤٢، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ ٢٨٩، حسين حمادة: آثار فلسطين صـ١٢٣.

(٤) العصور القديمة صـ ٢٢٢.

(٥) تاريخ شعب العهد القديم صـ ١٨٦.

وكان زواج الإسرائيليين بالوثنيات من أخطر الوسائل وأشدها أثرًا على عقائد اليهود وعباداتهم، ولعل ذلك هو السر فى أن الرب قد نهاهم عن فعله وحذرهم من ممارسته أكثر من مرة[1].

لكن الإسرائيليين منذ عهد أبيهم يعقوب لم يكفوا عن الزواج بالوثنيات ففيما عدا الآباء الثلاثة الأوائل (إبراهيم وإسحاق ويعقوب) الذين اتخذوا زوجات آراميات من جنسهم، نجد أسفار العهد القديم زاخرة بعد عهدهم بأخبار زواج اليهود من نساء الأمم الوثنية، فقد تزوج يهوذا بن يعقوب من امرأة كنعانية[2].

ولم تذكر لنا التوراة شيئًا عن زواج أبناء يعقوب الباقين، بيد أن الراجح ـ كما يقول الأستاذ زكى شنوده ـ أن أغلبهم تزوج من نساء يهوديات، كما أن الراجح أن اليهود طوال إقامتهم فى مصر لمدة أربعمائة وثلاثين عاما قد اختلطوا بالمصريين وتزوجوا من بناتهم وعبدوا معبوداتهم[3].

وحينما حارب بنو إسرائيل المديانيين كانت الوصية لهم من الرب ـ فيما يزعم كاتب سر العدد اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر

---

(١) ورد فى سفر الخروج أن الرب أوصى موسى قائلا: احترز من أن تقطع عهداً مع سكان ـ الأرض فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى من ذبيحتهم، وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزنى بناتهم وراء آلهتهم ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن" (خروج ٣٤: ١٥-١٦). وجاء فى سفر التثنية "متى أتى بك الرب الهلك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم لا تقطع لهم عهدًا ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك، لأنه يرد أبنك من ورائى فيعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً".
تثنية ٧: ١-٤

(٢) تكوين ٣٨: ١-٥ ومما يذكر أن يوسف قد تزوج مصرية بنت كاهن مصرى وأنجب منها ولدين: منسى وأفرايم (راجع تكين ٤١ : ٤٥، ٥٠-٥٢) ومن المعلوم أنه نبى معصوم فلا يستبعد أن تكون هذه الزوجة قد أسلمت وحسن اسلامها، لكن الإسرائيليين بعد أن طال عليهم الأمد تزوجوا بمصريات وثنيات انطلاقًا من زواج يوسف عليه السلام بمصرية.

(٣) المجتمع اليهودى صـ ١٢-١٣، راجع أيضا د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ٤٨٥، محمد فؤاد الهاشمى: اليهود من الكتب المقدسة صـ ٧-٨.

اقتلوها، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهم لكم حيات"[١].

وانتهى القتال بأن اغتنم الإسرائيليون منهم أعدادًا غفيرة، وكان عدد النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر اثنتين وثلاثين ألفًا، وهكذا نجد الإسرائيليين قد أسروا هذا ـ العدد من الوثنيات واتخذوهن زوجات لأنفسهم.

وفى عصر القضاة يذكر السفر أن بنى إسرائيل "سكنوا فى وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم"[٢].

وحتى القضاة أنفسهم الذين يزعم كتاب الأسفار أن الرب قد أقامهم كانوا يصاهرون الوثنيين[٣].

وفى عصر الانقسام ازداد التزاوج بين الإسرائيليين والوثنيات وبلغ ذروته فى عهد اخآب ـ حيث ايزابل الفينقية التى أدخلت عبادة البعل إلى المملكة الشمالية[٤] وتزوج يهورام ـ ملك يهوذا من ابنتها عثليا التى نقلت هذه العبادة إلى المملكة الجنوبية[٥].

---

(١) عدد ٣١: ١٧ ـ ١٨، ٣٢، وقد وردت فى سفر التثنية قاعدة الشريعة بالنسبة لزواج اليهود من السبايا الأجنبيات "راجع سفر التثنية ٢١ : ١٠-١٤، ولمعرفة مزيد من التفاصيل حول زواج اليهود بالأجنبيات وأثره على عقائد وأفكار اليهود راجع موسكاتى: الحضارات السامية القديمة صـ٥٥ ، ٦٥، قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٥٦، ٤٦٤، زكى شنودة المجتمع اليهودى صـ ١٣ـ ١٤، ثروت الأسيوطى: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين بنوا إسرائيل صـ ١٨٠-١٨١.

(٢) قضاة ٣: ٥-٦.

(٣) فعلى سبيل المثال نجد القاضى يفتاح كان له ثلاثون ابنا وثلاثون ابنة أرسلهن إلى الخارج وأتى من الخارج بثلاثين ابنة لبنيه) قضاة ١٢: ٩) والقاضى شمشون تزوج من بنات الفلسطينيين (قضاة ١٤: ٩-١)، وفى عصر القضاة أيضا تزوج الاسرائيليون من الموأبيات وخاصة المرأتين: عرفة وراعوث التى هى جدة داود فيما يزعمون (راجع راعوث ١-٤/ : ١٣-١٧).

(٤) ملوك أول ١٦: ٣١-٣٢.

(٥) ملوك ثان ٨: ١٨، ٢٧.

وحين سمح ملك الفرس لليهود بالعودة إلى فلسطين رفض الكثيرون منهم أن يعودوا وآثروا البقاء فى بابل لأنهم كانوا قد تزوجوا من بنات البابليين والأشوريين واستقر بهم المقام فى بلاد زوجاتهم[١].

وحتى الذين عادوا إلى فلسطين استمروا بعد ذلك يتزوجوه من الوثنيات حتى عاد عليهم نحميا ومن بعده عزرا فهالهما ذلك الأمر الخطير:

يقول نحميا "فى تلك الأيام رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات[٢] وعمونيات ومؤابيات، ونصف كلام بينهم باللسان الاشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب، فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناسًا ونتفت شعورهم واستحلفتهم بالله قائلا: لا تعطوا بناتكم لبنيهم لا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم"[٣].

ويذكر السفر أنه قال لهم "أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل ولم يكن فى الأمم الكثيرة ملك مثله وكان محبوبًا إلى إلهه فجعله الله ملكا على كل إسرائيل هو أيضا جعلته النساء الأجنبيات يخطئ [٤] فهل

---

(١) زكى شنودة: المجتمع اليهودى صـ ٢٠.

(٢) الاشدوديات: نسبة إلى اشدود وهى احدى مدن فلسطين الخمس فالمقصود بالاشدوديات الفلسطينيات (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٧٧).

(٣) نحميا ١٣: ٢٣-٢٥.

(٤) نحميا ١٣: ٢٦، ونحميا يشير إلى ما ورد فى سفر الملوك الأول "وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داود"(٣: ١).
"وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهو لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى، فأمالت نساؤه قلبه وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه آملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملًا مع الرب إلهه قلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتورت الاهة الصيدونيين ولمكوم رجس العمونيين...، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن" (ملوك أول ١١: ١-٨) =

نسكت لكم أن تعملوا كل هذا الشر العظيم بالخيانة ضد إلهنا بمساكنة نساء أجنبيات"[1].

ويذكر أنه طرد أحد أبناء الكهنة فعلوا ذلك وأنه توجه إلى الرب ليذكرهم لأنهم نجسوا الكهنوت وعهد الكهنوت واللاويين وأنه طهرهم من كل غريب[2].

ويبدو أن أسلوب نحميا لم يكن مجديا وصارمًا فى القضاء على الزواج من الأجنبيات والحد من خطورته، حيث أننا نجد عزرا يذكر أن الرؤساء قد تقدموا إليه قائلين "لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويين من شعوب الأراضى حسب رجاستهم من الكنعانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين، والعمونيين، والموآبيين، والمصريين والأموريين، لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضى، وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الخيانة أولًا[3].

يقول عزرا "فلما سمعت بهذا الأمر مزقت ثيابى وردائى ونتفت شعر رأسى وذقنى وجلست متحيرًا، فاجتمع إلى كل من ارتعد من كلام إله إسرائيل من أجل خيانة المسبيين وأنا جلست متحيرًا إلى تقدمه المساء"[4].

ويذكر أنه أخذ يتذلل للرب ويعتذر عما فعله اليهود[5].

ومما قاله "والآن فماذا نقول يا إلهنا بعد هذا لأننا قد تركنا وصاياك، التى أوصيت

= وقد سبق أن بينت بطلان هذا السخف وبراءة سيدنا سليمان مما نسب إليه، لكنه يمكن القول بأن سليمان عليه السلام قد تزوج فعلا من النساء الأجنبيات وليس هناك ما يمنع ذلك ولعله قد هداهن إلى الإسلام كما فعل بملكة سبأ حين قالت "وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين" أو على الأقل لم يتأثر اصلا بوثنيتهن أن هن بقين عليها أو بعضهن.

واننى ارجح أن الكهنة الذين اكثروا من الزواج بالأجنبيات وتأثروا بوثنيتهن أرادوا ـ أن يبرروا فعلهم هذا فعمدوا إلى الصاقه بالنبى سليمان عليه السلام

(١) نحميا ١٣: ٢٧.

(٢) المصدر السابق ١٣: ٢-٣١.

(٣) راجع عزرا ٩: ١-٢.

(٤) عزرا ٩: ٣-٤.

(٥) راجع عزرا ٩: ٥-٩.

بها عن يد عبيدك الأنبياء قائلًا أن الأرض التى تدخلون لتمتلكوها هى أرض نجسة بنجاسة شعوب الأراضى برجاساتهم التى ملأوها بها من جهة إلى جهة أخرى بنجاستهم، والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لأجل أعمالنا الرديئة وآثامنا العظيمة، لأنك قد جازيتنا يا إلهنا أقل من آثامنا وأعطيتنا نجاة كهذه، أفنعود ونتعدى وصاياك ونصاهر شعوب هذه الرجاسات، أما تسخط علينا حتى تفنينا فلا تكون بقية ولا نجاة"[1].

ثم يذكر الإصحاح العاشر من السفر:

"أنه لما صلى عزرًا واعترف وهو باك وساقط أمام بيت الله اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جدًا من الرجال والنساء والأولاد لأن الشعب بكى بكاء عظيمًا ومما قالوه لعزرا" أننا قد خنا إلهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض ولكن الآن يوجد رجاء فى إسرائيل فى هذا، فنقطع الآن عهدًا مع إلهنا أن نخرج كل النساء والذين ولدوا منهم حسب مشورة سيدى والذين يخشون وصية إلهنا وليعمل حسب الشريعة، قم فإن عليك الأمر ونحن معك تشجع وافعل[2].

فقام عزرا واستخلف رؤساء الكهنة واللاويين وكل إسرائيل أن يعلموا حسب هذا الأمر فحلفوا، ثم قام عزرا من أمام بيت الله وذهب إلى مخذع يهو حاثان بن الياشيب، فانطلق إلى هناك وهو لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء لأنه كان ينوح بسبب خيانة أهل السبى، وأطلقوا نداء فى يهوذا وأورشليم إلى جميع بنى السبى لكى يجتمعوا إلى أورشليم، وكل من لا يأتى فى ثلاثة أيام حسب مشورة الرؤساء والشيوخ يحرم كل ماله وهو يفرز من جماعة أهل السبي[3].

فاجتمع كل رجال يهوذا وبنيامين إلى أورشليم فى ثلاثة أيام، وجلس جميع

---

(١) عزرا ٩: ١٠-١٤.
(٢) عزرا ١٠: ١-٤.
(٣) عزرا ١٠: ٥-٨.

الشعب فى ساحة بيت الله مرتعدين من الأمر ومن الأمطار وقام عزرا الكاهن وقال لهم إنكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل، فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا مرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة.

فأجاب كل الجماعة وقالوا بصوت عظيم كما كلمتنا كذلك نعمل، إلا أن الشعب كثير والوقت وقت أمطار لا طاقة لنا على الوقوف فى الخارج والعمل ليس ليوم واحد أو لاثنين لأننا قد أكثرنا الذنب فى هذا الأمر.

فليقف رؤساؤنا لكل الجماعة وكل الذين فى مدننا قد اتخذوا نساء غريبة فليأتوا فى أوقات معينة ومعهم شيوخ مدينة فمدينة وقضاتهم حتى يرتد عنا حمو غضب إلهنا من أجل هذا الأمر....[1].

وفعل هكذا بنو السبى وانفصل عزرا الكاهن والرؤساء وجلسوا للفحص عن هذا الأمر وانتهوا من كل الرجال الذين اتخذوا نساء غريبة[2].

فوجد بين بنى الكهنة من اتخذ نساء غريبة[3].

وهكذا كان من عوامل تأثر اليهودية بالأديان الوثنية اختلاط اليهود بالشعوب والسلالات الوثنية التى أقامت معهم، واتخاذهم زوجات وثنيات كان لهن أثر كبير فى انحرافهم عن شريعة موسى وانسياقهم نحو الوثنية.

---

(١) عزرا ١٠: ٩-٤.

(٢) عزرا ١٠: ١٦-١٧.

ويذكر أن يونثان بن عسائيل ويحزينا أن بنقوة فقط قاما على هذا وساعداهما مشلام وشبيتاى اللاوي. (عزرا ١٠: ١٥).

(٣) يذكر السفر أنهم وجدوا بين الكهنة من اتخذ نساء غريبة، فمن بنى يشوع بن يوصاداق وأخوته معشيا واليعزرويا ريب وجدليا، واعطو أيديهم لإخراج نسائهم مقربين كبش غنم لاجل أثمهم وأخذ السفر يذكر أسماء الذين اتخذوا نساء غريبة وأن منهم نساء قد وضعن بنين (راجع عزرا ١٠: ١٨-٤٤).

الفصل الثانى

فقدان وتحريف اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وانتفاء قدسية أسفار العهد القديم

فقدان اليهود للتوراة المنزلة وتحريفهم لها وانتفاء قدسية أسفار العهد القديم

من العوامل التى ساعدت أيضًا على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية فقدان اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وتحريفهم لها وانتفاء قدسية بقية أسفار العهد القديم.

فلم يكن لديهم حفظ للوحى الصحيح، يصون عقائدهم وشرائعهم ويضمن لهم بقاءها واستمرارها، ويقيهم شر الوثنيات التى تسربت إليهم، واختلطت بأفكارهم وامتزجت بعباداتهم.

ولكى نبرهن على صحة ذلك ينبغى أن نقوم بدراسة سريعة لأسفار العهد القديم بما فيها الأسفار الخمسة التى يزعمون نسبتها إلى سيدنا موسى عليه السلام أو أنها نسبة خاطئة وباطلة، وكذلك الأمر فى بقية الأسفار هل هى منسوبة لأصحابها حقًا وهل هى وحى صحيح لم يتغير أو يتبدل أو أنها أهواء كتاب وأفكار بشر؟.

أولاً: التوراة أو الأسفار الخمسة:

سبق أن ذكرت فى المدخل أن التوراة أو الأسفار الخمسة تقع ضمن أسفار العهد القديم وتمثل الجزء الأول والأهم من أجزائه الرئيسية الثلاثة[1] أو الأربعة[2] ونريد

---

(١) حسب النسخة العربية الفلسطينية.

(٢) حسب النسخة اليونانية الإسكندرية.

الآن أن نعرف ما هى صلة هذه الأسفار الخمسة بسيدنا موسى عليه السلام، هل هو الذى كتبها؟ وهل هى التوراة حقا أو أن التوراة الأصلية شئ آخر فقدت وضاعت.

وكما يقول الدكتور نجيب ميخائيل: أم هى موجودة فى ثنايا التوراة التى بين أيدينا ولكنها لا تستطيع أن تطل علينا من بين صفحاتهم الكثيرة إلى جعلتها تضيع فى ثنايا هذا السفر الضخم[1].

وأخيرًا أين هى التوراة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم على أنها الكتاب السماوى الذى أنزله الله على النبى موسى عليه السلام وبعثه به إلى بنى إسرائيل؟ ثم جاء سيدنا عيسى عليه السلام بالإنجيل مصدقًا لما بين يديه من هذه التوراة، ثم أتى سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" خاتم الأنبياء بخاتم الكتب السماوية: القرآن الكريم: مصدقًا لما بين يديه من الكتاب (توراة موسى ، وإنجيل عيسى) ومهيمنًا عليه؟.

من الأفضل أن نجيب على هذا السؤال أولًا من واقع نصوص الأسفار التى يؤمن بها اليهود.

كتابة الأسفار الخمسة:

يشير سفر الخروج إلى أن موسى عليه السلام قد تلقى التوراة فى البداية مشافهة من ربه ثم سجلها كتابة بعد أن قرأها على قومه، وأخذ منهم الميثاق على إتباعها إذ يذكر أنه: حدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل، فكتب موسى جميع أقوال الرب.. وأخذ كتاب العهد وقرأ فى مسامع الشعب، فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع ليه وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقالوا هوذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع الأقوال[2].

---

(١) د. نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم: الجزء الثالث: سورية صـ ١٦٩.
(٢) راجع خروج ٢٤: ٣-٤، ٦-٨.

بيد أن هذا لم يكن كافيًا إذ أن الرب ـ أراد أن يسجل بيده التعليمات التى يريد للإسرائيليين أن يتبعوها فقال لموسى ـ فيما يذكر السفر ـ "أصعد إلىَّ إلى الجبل وكُنْ هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم"[١]، "ودخل موسى فى وسط السحاب وصعد إلى الجبل، وكان موسى فى الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة"[٢] "ثم أعطى (أى الرب) موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله"[٣].

ومن ثم فإن ما كتبه الله هو "لوحى الشهادة" وأما الوصية فلا يشار إليها هنا.

ويذكر السفر أن موسى قد انصرف ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده لوحان مكتوبان على جانبيهما، من هنا وهنا كانا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله والكتابة الله منقوشة على اللوحين[٤].

وحينما رجع إلى قومه وجدهم عاكفين على عبادة العجل[٥] ويرقصون حوله "فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما أسفل الجبل"[٦]، فما كان من الرب ـ فيما يذكر السفر ـ إلا أن قال لموسى "انحت لك لوحين من حجر الأولين، فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما، وأمره أن يصعد إلى جبل سيناء ولا يصعد معه أحد [٧]، ففعل موسى ما أمره به وأخذ يستغفره حتى ألقى عليه عدة وصايا وأمره بحفظها[٨]، وقال له: "اكتب لنفسك هذه الكلمات، لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهدًا معك ومع إسرائيل".

---

(١) خروج ٢٤ : ١٢.
(٢) خروج ٢٤: ١٨.
(٣) خروج ٣١ : ١٨.
(٤) خروج ٣٢: ١٥-١٦.
(٥) تفصيل الحديث عن اتخاذهم العجل فى الباب الثالث إن شاء الله.
(٦) راجع خروج ٣٢: ١٧-١٩.
(٧) خروج ٣٤: ١-٤.
(٨) راجع خروج ٣٤: ٤-٢٦ وفيها تفصيل لتلك الوصايا.

"وكان هناك عند الرب أربعين نهارًا وأربعين ليلة لم يأكل خبزًا ولم يشرب ماء فكتب على اللوحين كلمات العهد: الكلمات العشر[1]، وتعرف هذه الكلمات بالوصايا العشر[2].

ثم ورد بعد ذلك فى سفر التثنية "وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى ـ حاملى تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل وأمرهم موسى قائلًا: فى نهاية السبع سنين فى ميعاد سنة الإبراء فى عيد المظال حينما يجئ جميع إسرائيل لكى يظهروا أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل فى مسامعهم، اجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذى فى أبوابك لكى يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب إلهكم ويحرصوا أن يعلموا بجميع كلمات هذه التوراة..."[3].

"فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا أخذوا كتاب التوراة وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون شاهدا عليكم، لأنى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى.

اجمعوا إلىَّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم[4].

---

(١) خروج ٣٤: ٢٧-٢٨.

(٢) وردت الوصايا العشر فى سفر الخروج (٢٠: ١-٢١)، وفى سفر التثنية ٥: ١-٣٠، راجع الحديث عنها بالتفصيل: د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية: صـ٢٥ ـ ٢٨ جرهاردوس فوس علم اللاهوت الكتابى صـ ٢٠٧ـ ٢١٤ـ ترجمة د/ عزت زكى: الطبعة الأولى ١٩٨٢ دار الثقافة بالقاهرة، قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٢٩.

(٣) تثنية ٣١: ٩-١٢ راجع أيضاً ٣١: ١٣.

(٤) تثنية ٣١: ٢٤-٣٠.

والأمر هنا كما يقول الدكتور نجيب ميخائيل ـ واضح لا يحتاج إلى تعليق فالوصايا كتبها الله بخط يده والتعليمات ألقاها موسى مشافهة ثم سجلها كتابة ثم هو يدرى تماما نفسية قومه وفساد سرائرهم ويقدر ما سوف يحل بهم بعد موته وما سوف يرتكبونه من معصية وزيغ.

وإذن فالتوراة هنا محدودة لا تحتمل لبسا أو تأويلا، هى ما كتبه الله وما سجله موسى وما أمر أن يوضع فى تابوت العهد وإلى جانب تابوت العهد ما طلب إليهم أن يسجل على لوحى الحجر اللذين يصنعونهما بعد عبور النهر[1].

وحينما تولى يشوع بن نون زعامة إسرائيل بعد وفاة موسى يذكر السفر أنه بنى مذبح حجارة صحيحة ـ كما هو مكتوب فى سفر توراة موسى ـ وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التى كتبها أمام بنى إسرائيل[2].

"وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة، البركة واللعنة حسب كل ما كتب فى التوراة، لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأ يشوع قدام كل جماعة إسرائيل[3].

ولكن يشوع جمع الشعب فى أواخر حياته[4] وكما يذكر السفر "وقطع يشوع عهدا للشعب فى ذلك اليوم وجعل لهم فريضة وحكما فى شكيم وكتب يشوع هذا الكلام فى سفر شريعة الله[5].

ومعنى هذا أن يشوع أضاف من عنده فرائض وأحكام جديدة إلى سفر شريعة الله.

---

(١) مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ سورية صـ ١٧٧. وينتهى الدكتور نجيب ميخائيل إلى القول بأن التوراة هنا شئ محدد المعالم وأنها مع ذلك ليست الشئ الذى يعرف اليوم بـ"العهد القديم" وإن كانت موجودة بداخله فى التثنية ٢٩-٣١ وأكدها موسى فى ٣٢: ٤٤-٤٧ (المصدر السابق صـ ١٧٧).

(٢) راجع يشوع ٨: ٣٠-٣٢.

(٣) يشوع ٨: ٣٤-٣٥.

(٤) راجع يشوع ٢٤: ١.

(٥)يشوع ٢٤: ٢٥-٢٦.

ولعل هذه هى أول إضافة أو زيادة للتوراة التى أسلمها موسى إليهم[١].

ولم يرد فى الأسفار ذكر لقراءة التوراة بعد هذه القراءة التى قام بها يشوع فقد بدأ عصر القضاة بما فيه من فوضى وارتداد ووثنية[٢] إلى أن استصحب الإسرائيليون معهم التابوت الذى كان محفوظًا فى شيلوه[٣] فى حربهم ضد الفلسطينيين[٤]، ولما خسر المعركة استولى الفلسطينيون على التابوت ولوحى الحجر ونسخة التوراة وظل التابوت فى بلادهم سبعة شهور[٥].

ثم تم استرجاعه ووضع فى قرية يعاريم[٦]، وظل بها عشرين عاماً سقط خلالها بطريقة غير مفهومة فى غياهب النسيان ربما لأنه كان قد فقد مكانته بعد أن سلبه الفلسطينيون، ومن ثم فقد أصبح يعيش حوله عدد ضئيل من الكهنة أو الحفاظ الذين لا مكانة لهم[٧].

---

(١)سبينوزا: رسالة اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٢ ترجمة د/ حسن حنفى، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ ١٧٨، د/ محمد مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٩ صـ ٢١.

ويذكر اسبينوزا أن أحد شراح التوراة واسمه يوناتان تعسف فى تأويل الكلمات حسب هواه فترجم إلى الكلدانية هذه الكلمات من سفر يشوع، وكتب يشوع هذا الكلام فى سفر توراة الله بقوله: وكتب يشوع هذا الكلام وحفظه مع سفر توراة الله" فلقد فضل أن يحرف الكتاب بعد أن اقلقته إضافة يشوع لتوراة موسى (رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٢)

(٢) راجع عصر القضاء فى الفصل الأول من الباب الأول وسيتبين لنا فى الفصل الثالث من هذا الباب كيف أنه كان عصر وثنية وارتداد.

(٣) مدينة شمال بيت ايل فى منتصف الطريق بين بيتين وشكيم (أى نابلس) ويرجح أنها المسماة الآن سيلون التى تبعد ١٧ ميلا شمالى أورشليم، راجع: قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٣٥ ـ ٥٣٦.

(٤) راجع تفاصيل احداث هذه الحروب فى فصل قنوات الاتصال التاريخية

(٥)راجع صموئيل أول: ٤: ٣-٧/ ٥: ١-١١

د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ٣ صـ ١٧٠

(٦)يعاريم: جبل فى تخم يهوذا الشمالى وقرية يعاريم معناها مدينة الغابات وهى إحدى مدن الجبعونيين الأربع، ويرجح أنها الآن قرية العنب التى تقع على مسافة ٩ أميال من غربى القدس.

(راجع تفاصيل الحديث عنها: قاموس الكتاب المقدس صـ ٧٢٨ ـ ٧٢٩، ١٠٧٢)

(٧) صموئيل أول ٦: ١/ ٧: ١-٢.

د/ إسماعيل الفاروقى: أصول الصهيونية فى الدين اليهودى صـ ٤٦

د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٩ صـ٢٣

وفى عهد داود تم نقل التابوت إلى مدينته فى احتفال عظيم[1].

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد بين لنا أن التابوت لم يكن فيه إلا بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وكان ذلك فى عهد شاول (طالوت فى القرآن الكريم).

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[2].

ويبدو أن هذه البقية هى ما يشير إليها السفر حين ذكر أن سليمان جمع شيوخ إسرائيل لإصعاد التابوت إلى الهيكل "لم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر"[3].

وورد على لسان سليمان أيضًا قوله "ووضعت هناك التابوت الذى فيه عهد الرب الذى قطعه مع بنى إسرائيل"[4].

وعلى ذلك فالتابوت فى هذه المرحلة لم يكن به سوى لوحى الحجر، أما التوراة فلم يرد لها ذكر ولم يعلم مصيرها أحد، وتفيد عبارة الأسفار أنها قد فقدت[5].

---

(١) راجع تفاصيل هذا الاحتفال فى سفر صموئيل الثانى ٦: ١-٢٠ (وفيه يذكر أن داود كان يرقص بكل قوته أمام تابوت الرب وأن زوجته ميكال بنت شاول حين رأته يفعل ذلك احتقرته فى قلبها) (صموئيل الثانى ٦: ١٤-١٦).

(٢) سورة البقرة: ٢٤٨ (وتشير الآيات الكريمة السابقة والتالية لهذه الآية إلى أن الذى استرد التابوت من الفلسطينيين إنما كان "طالوت" المذكور فى التوراة باسم شاول وتؤكد رواية التوراة هذه الحقيقة وذلك عندما تروى كما قلنا أن داود وجد التابوت فى قرية "بعاريم" بعد أن بقى بها عشرين عاما قبل أن ينقله داود إلى عاصمته "أورشليم".

(راجع د/ محمد بيومى مهران جـ٩ صـ٢٥، راجع تفسير المنار جـ٢ صـ ٣٧٣ وما بعدها).

(٣) ملوك أول ٨: ٨.

(٤) أخبار ثان ٦: ١١.

(٥) راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ١٧١، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل صـ٢٠.

ويؤكد ذلك الشيخ رحمت الله الهندى فيذكر أن نسخة التوراة الموضوعة فى جنب الصندوق قد ضاعت ولا يعلم جزما متى ضاعت[1].

وقد اعترف علماء اللاهوت من النصارى بفقدان توراة موسى الأصلية التى هى أصل دينهم وأساسه، قال صاحب كتاب "خلاصة الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية": والأمر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الأصلية فى الوجود إلى الآن ولا نعلم ماذا كان من أمرها، والمرجح أنها فقدت مع التابوت"[2] بل إن اللوحين قد انقطع خبرهما أيضًا بعد ذلك فلم يرد إشارة إليهما حيث يرجح أنهما قد فقدا أيضًا بعد سليمان.

وخلاصة الأمر أن التوراة فقدت فلم يطلع عليها الملوك أو الأنبياء ولم يعرفوا ما بها من أحكام[3].

إذ بدأ عصر الانقسام بعد وفاة سليمان وشاع فيه الارتداد وغلبت عليه الوثنية وعاش اليهود خلاله ـ فى كل من المملكتين إسرائيل ويهوذا ـ يعانون مرارة الانقسامات الداخلية والتهديدات الخارجية كما سبق آنفًا[4].

ولم ترد أدنى إشارة للتوراة فى الأسفار بعد سليمان[5] واختفت حتى ورد أنه تم

---

(١) إظهار الحق جـ٢ صـ٥٩٩ دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد ملكاوى طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالرياض السعودية ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(٢) راجع السيد محمد رشيد رضا: تفسير المنار الجزء الثالث من المجلد الثانى صـ١٣٠ـ ١٣١ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣.

(٣) د/ نجيب ميخائيل: المصدر السابق صـ ١٧١ محمد عزة دروزة: المصدر السابق صـ٢٠.

(٤) راجع احداث عصر الانقسام فى الفصل الأول من الباب الأول والفصل الأول من الباب الثانى وسيتبين لنا فى الفصل الثالث من هذا الباب كيف أن عصر الانقسام كان عصر وثنية وارتداد.

(٥) كما أشرت من قبل إلى أن الأسفار قد أرجعت الانقسام إلى انحراف سليمان المزعوم (راجع ملوك أول ١١: ١-١٣)، وطبعًا نحن كمسلمين يستحيل علينا أن نصدق هذا البهتان العظيم فى حق سيدنا سليمان عليه السلام، إلا أن الشيخ رحمت الله الهندى يقول: "ثم وقع الانقلاب العظيم فى آخر سلطنة سليمان عليه السلام على ما تشهد به أسفارهم المقدسة بأن ارتد سليمان والعياذ بالله تعالى فى آخر عمره بترغيب الازواج وعبد الأصنام وبنى المعابد لها ويقول الشيخ رحمت الله" وإذا صار مرتدًا وثنيا ما بقى له غرض بالتوراة" (إظهار الحق صـ ٢٨٢ طبعة دار التراث العربى) وطبعاً هو يذكر =

العثور عليها فجأة وبمحض الصدفة فى عهد يوشيا[1] (٦٤١ ـ ٦١١ ق.م) أى بعد وفاة موسى بأكثر من سبعمائة سنة.

السفر الذى طالعه يوشيا:

فقد جاء فى سفر الملوك الثانى أن هذا الملك قد أرسل فى السنة الثامنة عشرة من ملكه (حوالى عام ٦٢٣ ق.م) شافان بن أصليا الكاتب إلى بيت الرب ليحسب مع كاهنة الأعظم حلقيا النقود التى دخلت الهيكل من الزائرين لكى تصرف على ترميمه[2] فلما ذهب إليه قال له حلقيا "قد وجدت سفر الشريعة فى بيت الرب"، وهذا يشير إلى أنه كان قد فقد من زمن طول وأن العثور عليه تم أثناء عملية ترميم البيت كما ورد فى سفر الأخبار[3].

وعلى أى حال فإن حلقيا سلم السفر لشافان فقرأه وعاد شافان إلى الملك يوشيا وقال له "قد أعطانى حلقيا الكاهن سفرًا وقرأه أمامه، فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه وأرسل إلى حلقيا وقال له مع غيره من الكهنة" اذهبوا أسألوا

= هذا من باب محاجة اليهود بما فى كتبهم، ولكن الحقيقة أنه بصرف النظر عن هذه المحاجة والزامهم بما فى اسفارهم فإننى لا أجد فى القرآن الكريم ما يشير إلى أن سليمان عليه السلام كان يعتمد على توراة موسى عليه السلام بل إن داود قد آتاه الله الزبور، ولم يرد فى القرآن ما يشير إلى الارتباط بين موسى وسليمان عليهما السلام، ومعنى ذلك أن عصر داود وسليمان فيما أحتمل كان بعيدًا عن توراة موسى، ويقول الدكتور فؤاد حسنين "الملاحظة الجديرة بالذكر أن المزامير تتحدث احيانا عن شريعة (يهوه) أو شريعة الله ولا تذكر شريعة موسى التى كثيراً ما نجدها فى الأسفار التاريخية" (التوراة الهيروغليفية) صـ١ ٤.

(١) ملك يهوذا فى عصر الانقسام (راجع الفصل الأول من الباب الأول) فى الأصل (الرسالة المخطوطة).

(٢) راجع ملوك ثان ٢٢: ٣-٧.

(٣) أورد سفر الأخبار أن يوشيا قام بعملية تطهير من المعبودات الأجنبية وقام بتكسير ما فيه من الأوثان والأصنام فى السنة الثانية عشرة من ملكه أى قبل العثور على السفر بست سنوات ويذكر انه فى العام الثامن عشر من ملكه أوفد رسلا لترميم البيت وانه عند اخراجهم الفضة المدخلة إلى بيت الرب وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى فقال لشافان قد وجدت سفر الشريعة فى بيت الرب.
(راجع أخبار الأيام الثانى ٣٤: ٣-١٥)

الرب لأجلى ولأجل الشعب ولأجل كل يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذى وجد لأنه عظيم هو غضب الرب الذى اشتعل علينا من أجل أن آباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعلموا حسب كل ما هو مكتوب علينا[1].

وهنا يبدو واضحًا أن التوراة لم تكن نسيًا منسيا على أيام يوشيا فقط ولكن فى عهد أسلافه أيضًا كما تصرح بذلك الجملة الأخيرة، تضيع التوراة وفى أورشليم هيكل يرعاه جمع من المسئولين على رأسهم كاهن أعظم هو حلقيا!!! وأغرب من ذلك أن تكون بين اليهود فى داخل مدينة أورشليم مع ضياع التوراة منها وفى هذا الوقت عينه امرأة (نبية) يبدو أنها لم تكن تدرى عن موسى شيئًا ولا تذكر كلمة من توراته[2].

وتذكر الأسفار أن الملك قد أرسل إلى كل شيوخ يهوذا وأورشليم وجمعهم مع كل رجال يهوذا وسكان أورشليم والكهنة واللاويين وكل الشعب من الكبير إلى الصغير وقرأ فى آذانهم كل كلام سفر العهد الذى وجد فى بيت الرب، وقطع معهم عهدا أمام الرب لإقامة كلام هذا العهد المكتوب فى هذا السفر[3].

ويرفض المحققون من العلماء والباحثين ادعاء حلقيا الكاهن بعثوره على سفر شريعة موسى.

---

(١) راجع الملوك الثانى ٢٢: ٨-١٣ أخبار الأيام الثانى ٣٤: ١٦-٢١.

(٢) وكان اسم هذه المرأة النبية: خلدة وهى امرأة شالوم وكانت نبية شهيرة سكنت القسم الثانى من أورشليم فى عهد الملك يوشيا، (قاموس الكتاب المقدس صـ٢٤٤).

وتذكر الأسفار أن حلقيا ومن معه من الكهنة ذهبوا إليها فقالت لهم "قولوا للرجل الذى ارسلكم إلى هكذا قال الرب اننى جالب شرًا على المكان وعلى سكانه من كل كلام الكتاب الذى قراه ملك يهوذا لانهم تركونى وأحرقوا الألهة غريبة لاجل اغضابى بكل أعمال أيديهم، فاحتدم سخطى على هذا المكان....

وخلاصة القول أن النبيه خلدة تنبأت بخراب أورشليم ولكنها أضافت انه نظرًا لتقوى الملك فإنه سيموت قبل أن يشهد بعينيه هذه الكارثة.

(راجع الملوك الثانى ٢٢: ١٤-٢٠ الأخبار الثانى ٣٤: ٢٢-٢٨).

(راجع أيضًا د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الاسرائيلى صـ٢٥-٢٦)

(٣) راجع سفر الملوك الثانى ٢٣: ١-٣.

أخبار الأيام الثانى ٣٤: ٢٩-٣١

فيرى الشيخ رحمت الله الهندى أنه "لا يعتمد على هذه النسخة (المعثور عليها) ولا على قول حلقيا لأن البيت نهب مرتين قبل عهد أخزيا، ثم جعل بيتا للأصنام، وسدنة يوشيا أيضًا اسم التوراة ولا رآها مع أن السلطان والأمراء والرعايا كانوا فى غاية الاجتهاد لاتباع الملة الموسوية، وكان الكهنة يدخلون كل يوم إلى هذه المدة، فالعجب كل العجب أن تكون النسخة فى البيت ولا يراها أحد.

ويقرر الشيخ رحمت الله الهندى أن هذه النسخة ما كانت إلا من مخترعات حلقيا، فإنه لما رأى توجه السلطان يوشيا إلى اتباع الملة الموسوية جمعها من الروايات اللسانية التى وصلت إليه من أفواه الناس سواء كانت صادقة أو غير صادقة، وكان إلى هذه المدة فى جمعها وتأليفها، وبعد ما جمع نسب ما جمعه إلى موسى عليه السلام، ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة وإشاعة الحق وكان من المستحبات الدينية عند متأخرى اليهود وقدماء المسيحيين[1].

ويذهب ول ديورانت إلى أن الكهنة حينما وجدوا الشعب قد ارتد عن عبادة يهوه إلى الآلهة الأجنبية رأوا أن يعزو إليه ما يجىء فى صدورهم من عواطف يؤمنون بها فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة من الله نفسه فى صورة سنن الهية تبعث النشاط والقوة فى حياة الأمة الخلقية ويضمنون بها معونة الأنبياء، وسرعان ما ضموا إلى جانبهم الملك يوشيا[2]، الذى يرجح الدكتور نجيب ميخائيل أنه تأثر بهم وبما وجده من الانحلال الشامل للإسرائيليين فاصطنع هذا السفر ليخفيهم به وليمنع الشرور ويوقف عبادة الأصنام.

ذلك لأن العثور عله بعد ما حل بالبيت من خراب ومن غزوات فى مختلف عهود الملوك من فراعنة وملوك بابليين لأمر يدعو للشك[3].

---

(١) إظهار الحق جـ ٢ صـ ٦٠٤ ـ ٦٠٥.

(٢) قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول: الشرق الأدنى صـ ٣٥٦.

(٣) مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ سورية ١٧١، (ويستبعد محمد عزة دروزة العثور على هذا السفر لأنه لم يظهر فى التابوت حينما نقله سليمان إلى المعبد فكيف وجد فى المعبد وبعده (تاريخ بنى إسرائيل صـ٢٠) راجع أيضًا د/ أحمد شلبى: اليهودية صـ٢٥٩ .

ويذكر الدكتور سامى سعيد الأحمد أن الحاخام حلقيا قد ادعى أنه رأى فى أثناء منامه النبى موسى وأنه أخبره بأن إسرائيل قد ضلت سواء السبيل وأن الكتاب الحقيقى الذى كتبه بيديه من كلمات الخالق موجودة فى المحل الفانى من المعبد، وعندما استيقظ وحفر فى المكان المذكور وجد كتابا، فصدق الكل حتى الملك يوشيا أعداء هذا الحاخام وأخذوه مأخذ الحقيقة[1].

وسواء أكان حلقيا صادقًا فى إدعائه أم كاذبًا فإننا لا ندرى على التحقيق، أو كما يقول ول ديورانت: لا نعلم علم اليقين ماهية هذا السفر الذى قرأه يوشيا على الشعب وأطلق عليه سفر الشريعة.

وعلى أية حال فهو لا يمكن أن تكن التوراة التى نعرفها اليوم فى صورتها المتداولة وربما يكون منه شئ فى سفر الخروج من الإصحاح العشرين إلى الإصحاح الثالث والعشرين، وربما فى سفر التثنية أو جانب منه ومهما يكن من أمر فهو سفر صغير يتضمن ملخصًا للتعاليم والوصايا دون أن يتعرض للسرد التاريخى.

وأيا كان مصدر هذه التعاليم فإن الذين استمعوا لها وهى تقرأ عليهم أو سمعوا بها ولم يكونوا حاضرين وقت قراءتها قد تأثروا بها أشد الأثر واغتنم الملك يوشيا هذه الفرصة السانحة فاستعان بهذه العواطف الجياشة على تحطيم مذابح الآلهة الأجنبية وتطهير الهيكل من العبادات الوثنية[2].

ومهما ترجح كفة رأى من الآراء فإن السؤال يظل حائرًا دون جواب ـ إلا الترجيح مع الحذر ـ حتى العثور على وثيقة لا يرقى إليها الشك هى ما كتبه موسى فعلا وعرف باسم "سفر الشريعة" الذى كان يصحب عهد الرب والذى طالعه يوشيا الملك، وفيما عدا ذلك فالأمر لا يعدو مرحلة الحدس والترجيح[3].

---

(١) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية صـ٢٥ رقم (١) من سلسلة منشورات تاريخية إصدار الجمعية العراقية والآثار، بغداد ١٩٦٩م.

(٢) راجع قصة الحضارة: الجزء الثانى من المجلد الأول صـ ٣٥٧.
د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ٣ صـ١٨٠

(٣) د/ نجيب ميخائيل: المصدر السابق صـ١٨٠.

ويذكر سفر الملوك الثانى أو يوشيا أقام كلام الشريعة المكتوب فى السفر الذى وجده حلقيا الكاهن بقية حكمه وتقدر بثلاثة عشر عاما[1]، وأنه لم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قوته حسب كل شريعة موسى وبعده لم يقم مثله[2].

فالملوك الذى جاءوا بعد يوشيا عطلوا الحكم بما عرف بسفر الشريعة، ولا ندرى أن نُذهب به، كل ما يمكن أن يقال إن يوشيا قد قتل على يد فرعون مصر وبدأت سيطرة المصريين على مملكة يهوذا ثم انتقلت السيطرة بعدهم إلى الكلدانين الذى حاصرت جيوشهم أورشليم مرتين ونهبت فيهما الهيكل وفى المرة الثانية قامت بتدميره وتخريب أورشليم عام ٥٨٦ وسبوا اليهود إلى بابل[3] وظل اليهود فى السبى مدة خمسين عاما حتى سمح لهم ملك الفرس بالعودة إلى أورشليم[4].

وبعد أن عادوا لم يكن فى وسعهم أن يقيموا لهم دولة حربية، ذلك أنهم لم يكن لهم من العدد ومن الثروة ما يمكنهم فى إقامة الدولة ولما كانوا فى حاجة إلى نوع من الإدارة يعترفون فيه بسيادة الفرس عليهم ويهيئ لهم فى الوقت نفسه سبيل الوحدة القومية والنظام، فقد شرع الكهنة فى وضع قواعد حكم دينى يقوم كما كان يقوم حكم يوشيا على المأثور من أقوال الكهنة وتقاليدهم وعلى أوامر الله.

السفر الذى قرأه عزرا:

ثم عاد عزرا الكاهن والكاتب فى عام ٣٩٨ ـ على أرجح الآراء كما ذكرت[5] ـ إلى أورشليم ودعا اليهود إلى اجتماع خطير وشرع يقرأ عليهم من مطلع النهار إلى

---

(١) لأن مدة حكمه كما يذكر السفر إحدى وثلاثين سنة (ملوك ثان ٢٢: ١).

(٢) ملوك ثان ٢٣: ٢٤-٢٥.

(٣) راجع تفاصيل ذلك فى فصل السبى والاضطهاد التى تعرض لها اليهود، ومما يذكر أن الملوك الذين جاءوا من بعد يوشيا شجعوا على الوثنية وأعادوا حياة الارتداد والكفر.

(٤) راجع الفصل الخاص بقنوات الاتصال التاريخية (اتصال اليهود بالفرس).
والفصل الخاص بفترات السبى والاضطهاد (السبى البابلى).

(٥) راجع فصل قنوات الاتصال التاريخية (اتصال اليهود بالفرس).

منتصفه "سفر شريعة موسى" وظل هو وزملاؤه اللاويون سبعة أيام كاملة يقرءون عليهم ما يحتويه ملفات هذا السفر.

ولما فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستورًا يتبعونه ومبادئ خلقية يشيرون على هديها ويطيعونها إلى أبد الآبدين، وظلت هذه الشرائع ـ كما يقول ول ديورانت ـ منذ تلك الأيام النكدة إلى يومنا هذا المحور الذى تدور عليه حياة اليهود ولا يزال تقيدهم بها طوال تجوالهم ومحنهم من أهم الظواهر فى تاريخ العالم[1].

ولنا أن نتساءل الآن: ماذا كان سفر شريعة موسى هذا الذى كان يطالعه عزرا؟.

والجواب أنه لم يكن هو بعينه كتاب العهد الذى قرأه يوشيا من قبل لأن هذا العهد قد جاء فيه بصريح العبارة أنه قرئ على اليهود مرتين كاملتين فى يوم واحد.

على حين أن قراءة الكتاب الآخر قد احتاجت إلى أسبوع كامل، وكل ما فى وسعنا أن نفعله هو أن نحذر أن الكتاب الكبير كان يحتوى على جزء هام من أسفار العهد القديم الخمسة الآن، التى يسميها اليهود "تورة" ويسميها غيرهم البنتاتوس أو الأسفار الخمسة[2].

وهكذا يتضح لنا من خلال هذا العرض السريع أن ما يطلق عليه الآن فى الأسفار (سفر توراة موسى أو توراة الرب) يختلف عن السفر الذى ادعى حلقيا العثور عليه وأنهما معا يختلفان أيضًا عن السفر الذى طالعه عزرا بعد عودته إلى أورشليم.

ويزيد سبينوزا ذلك الأمر وضوحًا فيذكر أننا إذا أردنا أن نبحث بمزيد من الدقة فى الأسفار التى كتبها موسى نفسه والمذكور فى الأسفار الخمسة فسنجد من الثابت

---

(١) نحميا: الاصحاح الثامن كله ٩: ١-٣.
ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول صـ ٣٦٦
وراجع أيضًا د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ صـ١٦٦
(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول الشرق الأدنى صـ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

أولا فى سفر الخروج أن موسى كتب بأمر الله عن الحرب ضد عماليق ١٧ : ١٤ ولا يقول لنا هذا الإصحاح نفسه أى سفر كتب بل ترد فى سفر العدد ٢١ : ١٤ إشارة إلى سفر يسمى حروب الرب.

كما جاء فى سفر الخروج ٢١ : ١٤ أن هناك سفرًا آخر يعرف باسم "سفر العهد"[١]، قرأه موسى أمام الإسرائيليين عندما عقدوا عهدًا مع الله.

ولا يحتوى هذا السفر الرسالة إلا على أشياء قليلة أى أنه لا يحتوى إلا على شرائع الله ووصاياه الموجودة فى سفر الخروج فى الإصحاح ٢٠ الآية ٢٢ حتى الإصحاح ٢٤.

ولا يمكن أن ينكر ذلك من يقرأ هذا الاصحاح المذكور بشئ من الفهم السليم دون تحيز.

ففيه يروى أنه بمجرد أن عرف رأى الشعب فى العهد المبرم مع الله كتب على التوراة كلمات الله ووصاياه، ثم قرأ أمام المجمع العام للشعب شروط العهد فى الصباح بعد إقامة بعض الطقوس، وبعد هذه القراءة دخل الشعب فى هذا العهد بمحض رضاه بعد أن عرف الناس كلهم بلا شك هذه الشروط.

ونظرًا إلى ضيق الوقت الذى استغرقته كتابة العهد المبرم، وكذلك نظرًا إلى طبيعة هذا العهد، كان حتمًا ألا يحتوى هذا السفر أكثر مما قلته الآن[٢].

وأيضًا فمن الثابت أن موسى قد شرح جميع الشرائع التى سنها فى السنة الأربعين بعد الخروج من مصر[٣] وأخذ من الشعب وعدًا جديدًا بأن يظلوا خاضعين لهذه الشرائع[٤].

---

(١) تعنى كلمة سفر فى اللغة العبرية رسالة أو ورقة.

(٢) رسالة فى اللاهوت والسياسة: ترجمة وتقديم د/ حسن حنفى صـ٢٧١.
ويقصد سبينوزا ما قاله فى الصفحة السابقة من أن هذا السفر لا يحتوى إلا على الشرائع والوصايا الموجودة فى سفر الخروج (من الآية ٢٢ فى الاصحاح ٢٠ حتى الاصحاح ٢٤)

(٣) تثنية ١ : ٥.

(٤) تثنية ٢٩: ١٤.

ثم كتب سفرًا يحتوى على هذه الشرائع التى تشرح هذا العهد الجديد[١]، وقد سمى هذا السفر سفر توراة الله وقد أضاف إليه يشوع بعد ذلك بمدة طويلة رواية العهد الذى قطعه الشعب على نفسه من جديد فى أيامه، وهو ثالث عهد يقيمونه مع الله[٢].

وينتهى سبينوزا إلى أنه لما لم يكن لدينا أى سفر يحتوى فى الوقت نفسه على عهد موسى وعهد يشوع فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فقد[٣].

ويستنتج أن سفر توراة الله هذا الذى كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة بل كان سفرًا مختلفًا، أدخله مؤلف الأسفار الخمسة فى سفره فى المكان الذى ارتآه.

ويظهر ذلك بوضوح تام مما سبق ومما يروى فى سفر التثنية من أن موسى كتب سفر التوراة ثم أعطاه للأحبار وطلب إليهم قراءته أمام الشعب فى أوقات معلومة.

وهذا يدل على أن السفر كان أقل حجمًا من الأسفار الخمسة، إذ كان من الممكن قراءته كله فى مجمع عام بحيث يفهمه الجميع.

ويقول "ولا ننسى أنه من بين جميع الأسفار التى كتبها موسى، لم يأمر بالمحافظة دينيا إلا على سفر واحد وبالحرص على الإبقاء عليه وهو سفر العهد الثانى والنشيد (الذى كتبه بعد ذلك لكى يعلمه لجميع أفراد الشعب)[٤].

ويخلص سبينوزا إلى القول بأنه لم يكن من الثابت أن موسى قد كتب أسفاراً أخرى سوى هذه الأسفار، ولم يوص بنفسه بالمحافظة دينيا للأجيال

---

(١) تثنية ٣١: ٩.

(٢) يشوع ٢٤: ٢٥-٢٦ رسالة فى اللاهوت صـ ٢٧١-٢٧٢.

(٣) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٢.

(٤) فبالنسبة إلى العهد الأول كان الحاضرون وحدهم هم الملتزمين به، وأما العهد الثانى فكان ملزماً للخلف (تثنية ٢٩: ١٤-١٥) لذلك أمر بالمحافظة دينيًا على "سفر العهد الثانى للأجيال المقبلة، وكذلك بالمحافظة على النشيد الذى يخص القرون التالية (رسالة فى اللاهوت صـ٢٧٣).

القادمة إلا على سفر التوراة الصغيرة والنشيد، وأنه لما كانت توجد نصوص كثيرة فى الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى كاتبها فإن أحدا لا يستطيع أن يؤكد عن حق، أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة[1].

نسبة الأسفار الخمسة إلى سيدنا موسى والقول ببطلانها:

وهذه النسبة كانت إحدى العقائد الأساسية والتقاليد الثابتة لدى اليهود والمسيحيين إلى فترة طويلة ولا يزال يعتنقها الكثيرون منهما، فما الذى أدى إلى التشكيك فى هذه النسبة وانتفاء قدسيتها؟

لعل من الأجدر أولا أن نشير إلى أنه منذ ترميم المعبد وإعادة العبادة عن طريق نحميا وعزرًا بدأ اليهود يعتبرون الأسفار الخمسة (النتاتوك) ـ وهى أساس الدين اليهودى كأنما هى من عمل مسى متضمنة فى ذلك "الناموس والأنبياء"[2].

ومع ذلك فإن هذا القول لا يمكن أن يؤخذ بحرفيته لأن ذلك لا يعنى أكثر مما يعنى قولنا إن نابليون هو واضع أسس القانون الفرنسى إذ أنه عرف بين سلالة إسرائيل أن عزرا هو جامع الكتابات والتراث الموسوى الذى كان قد تناوله التدمير عند خراب مملكة يهوذا[3].

إلا أن اليهود قد اعتقدوا نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى واعتباره هو مؤلفها منذ عهد فيلون الاسكندرى (القرن الأول ق.م والأول الميلادى) ويوسيفوس

---

(١) سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٣.

(٢) راجع عزرا ١ : ١-١١/ ٦: ٣-٥، نحميا ٨: ١-١٨ حجى ١: ١-٢. ونوث وروث وكوك نقلا عن د/ مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم صـ٩، إسرائيل صـ١٣٦، راجع أيضا د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ٣ صـ١٨٦.

(٣) راجع عزرا ٨: ١٠-١١، مرقس ١٢: ١٩، لوقا ٢٠: ٢٨، يوحنا ١: ٤٥، رومية ١٠: ٥، راجع أيضا د/ نجيب ميخائيل المصدر السابق جـ ٣ صـ ١٨٦ .

اللذين عاصرا المسيح وأعلنا أن موسى هو مؤلف التوراة وأخذا يدافعان عن ذلك الاعتقاد[١].

وكان طبيعيا أن يميل اليهود إلى إرجاع الفضل فى شرائعهم ونظمهم إلى الزعيم الذى ـ حسبوه أعلى سلطة فى تاريخهم المبكر، ولما تناول المسيحيون العهد القديم من اليهود أخذوا عنهم فى الوقت عينه نظريتهم عن الأداء التى كتبت بها الأسفار واعتقادهم الراسخ بأن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة، وظل هذا الاعتقاد قائما أجيالًا طويلة لم يتعرض له أحد[٢] ولم يكن ذلك الاعتقاد نتيجة بحث تاريخى بل كان عقيدة عامة لا أساس لها من الواقع واعتمادًا على آراء تقليدية نقلها الخلف عن السلف[٣].

والأسفار الخمسة بالصورة التى وصلت بها إلينا تعتبر هى القاعدة الأساسية للعهد القديم والدين اليهودى بأسرها، ولكنها كما يقول موسكاتى تنطوى على أخطر المشاكل النقدية.

وتفسير أقدم تاريخ سياسى ودينى للعبريين يعتمد كله أخيرا على تاريخ تأليفها وتحديد مصادرها وتاريخها والقيمة التى تعلق عليها، فلا عجب إذا كانت موضوع جدل معقد طويل[٤].

---

(١) د/ فؤاد حسنين على التوراة الهيروغليفية صـ ٤٠ مقدمة العهد العتيق من الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك صـ ٣ طبعة ٤٩٨٦، موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة فى ضؤ المعارف الحديثة صـ ٢٧ دار المعارف بمصر.
ويدعى اليهود أن التوراة التى بين أيدينا (الأسفار الخمسة) كتبت أيام موسى فيقول موسى بن ميمون ـ فى العقيدة الثامنة من الثلاثة عشرة عقيدة "أنا أؤمن إيمانا تاما أن الشريعة (التوراة) الموجودة بأيدينا هى المعطاة لسيدنا موسى عليه السلام وفى العقيدة التاسعة يقول: أنا أؤمن إيمانا تاماً أن هذه الشريعة لا تتغير لا تكون شريعة أخرى من لدن الخالق تبارك اسمه. (د/ محمد بحر عبد الحميد: اليهودية صـ ٣٦ ويذكر سبينورا أن فرقة الفريسيين قد أيدت هذا الرأى ـ نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى ـ بإصرار شديد حتى إنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين (رسالة فى اللاهوت صـ ٢٦٦)

(٢) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس صـ٧٠ مورس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٦ مقدمة العهد العتيق من الكتاب المقدس الطبعة الكاثوليكية صـ٣.

(٣) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ٣ صـ١٨٧. د/ محمد بحر عبد الحميد: اليهودية صـ ٣٦.

(٤) الحضارة السامية القديمة صـ١٥٦..

وتنسب الرواية اليهودية والمسيحية القديمة ـ كما رأينا ـ تأليف الأسفار الخمسة فى صورتها الحالية إلى موسى، وهذا يجعلها فى صدر العهد القديم من حيث ترتيب التأليف والترتيب الزمنى لمادتها أيضًا، وكذلك ظن أن بقية أسفار العهد القديم ألفت بالترتيب الذى نراه عليه الآن. ولكن صعوبة قبول هذا الترتيب فى التأليف أدت قرب نهاية القرن الثامن عشر إلى فحص نقدى شامل للمسألة[1].

وقبل أن نصل إلى هذه الفترة يحسن بنا أن نرجع كثيرًا إلى الوراء حتى نطلع على المحاولات النقدية الأولى للتوراة.

فقد بدأت هذه المحاولات منذ العصور الأولى لنشأة المسيحية ربما تسبب ترجمتها إلى اليونانية، وكان القديس "أوريجين" (١٨٥ ـ ٢٥٤م) الفيلسوف المسيحى المصرى ـ من رواد هذا الميدان، كما يبدو ذلك واضحا فى الـ "هكسبلا" حيث تناول نص التوراة ـ نقدًا ودرسًا، وإن كان قد تجنب نقد العقيدة واقتنع بدراسة النص لإدراك المعنى الحقيقى للكلمة الإلهية الحقيقية، فكان النقد ينصرف غالبًا إلى الأسفار والحكم عليها من حيث مكانتها[2].

ولذلك فإن نقده لم يتعد تطبيق المبادئ اللغوية التى كانت معروفة فى ذلك الوقت فى مدرسة الإسكندرية، ووضع لأول مرة التوراة فى ستة عواميد لمقارنة النص العبرى بالنصوص اليونانية المختلفة، كما أنه وضع عدة شروح لتأويل النصوص[3].

ابن عزرا:

ولكن المبادرة الحقيقية ربما تعود إلى العالم اليهودى الكبير إبراهام بن عزرا، الذى يكاد المرء أن يتلمس الشكوك فى كتاباته فيما بين السطور ولكن صاحبها أحكم لفها

---

(١) المصدر السابق صـ ١٥٦.

(٢) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية صـ٥٣، د/ حسن حنفى فى مقدمته، وترجمته لكتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ١٨ د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى جـ٩ صـ ١٣٧-١٣٨.

(٣) مقدمة الكتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ١٨-١٩.

بمداراة ـ ومداورة فلا تثير غلاة المتعصبين ـ عن صحة نسبة أسفار الشريعة إلى موسى عليه السلام[1].

فقد كان ابن عزرا ـ فيما يرى اسبينوزا ـ أول من تنبه إلى خطأ نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى ورغم أن فكره كان حرًا إلى حد ما ولم يكن علمه يستهان به إلا إنه لم يجرؤ على الإفصاح عن رأيه صراحة واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة.

فقال فى شرحه على "التثنية" فيما وراء نهر الأردن الخ لو كنت تعرف سر الأثنى عشرة.. كتب موسى شريعته أيضًا.. وكان الكنعانى على الأرض.. سيوحى به على جبل الله.. ها هو ذا سريره سرير من حديد، حينئذ تعرف الحقيقة.

وابن عزرا بهذه الكلمات القليلة يبين يثبت فى الوقت ذاته أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل وأن موسى كتب سفرًا مختلفًا ويذكر للبرهنة على ذلك:

أ ـ لم يكتب موسى مقدمة سفر التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن.

ب ـ كان سفر موسى مكتوبًا على حائط المعبد الذى لم يتجاوز اثنى عشر لوحًا، أى أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن.

ج ـ قيل فى سفر التثنية "وقد كتب موسى التوراة (ولا يمكن أن يقول موسى ذلك أن كان هو كاتبها).

---

(١) راجع حسين ذو الفقار صبرى: توراة اليهود بين أصول متشعثة وسعى إلى انعقاد صـ٧ مجلة المجلة عدد يناير ١٩٧٠ ناقلا عن مصادر أجنبية

وابراهام بن عزرا شخصية فذة أبدعها المجتمع الاندلسى المتفتح فقد نشأ فى طليطلة حيث ولد عام ١٠٩٢ وانطلق منها فتعرف على علماء العصر فى كل مكان مسهما بنصيب فى شتى العلوم والفنون واستقر بعض الوقت فى روما حيث عكف على كتابة التفاسير الدينية ثم وضع كتبا ربما هو أول ما الف باللغة العبرية على النحو العبرى تميزت بابتكار ودقة ضبط عن المراجع التى اعتمد عليها وهى الدراسات التى كان ألفها بالعربية بعض بنى ملته مهتدين بالكتب الأصول فى النحو العربى وقيل أنه ولد عام ١٠٨٩، وتوفى عام ١١٦٤م.

(راجع المصدر السابق صـ٧ د/ عبد المنعم الحفنى: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية صـ ٣٣ ـ ٣٤ د/ إبراهيم موسى هنداوى: الأثر العربى فى الفكر اليهودى صـ ١٥-١٦ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣م.

د ـ فى سفر التكوين يعلق الكاتب قائلًا "وكان الكنعانيون فى هذه الأرض" مما يدل على أن الوضع قد تغير وقت تدوين الكاتب هذا السفر أى بعد موت موسى وطرد الكنعانيين "وبذلك لا يكون موسى هو الراوي".

هـ ـ فى سفر التكوين سمى "جبل موريًا" جبل الله، ولم يسم بهذا الاسم إلا بعد بناء المعبد، وهو ما تم بعد عصر موسى.

و ـ فى سفر التثنية وضعت بعض الآيات فى قصة أوج، توحى بأن الرواية كتبت بعد موت موسى بمدة طويلة إذ يروى المؤلف أشياء حدثت منذ زمن بعيد[١].

حتى إذا ما بدأ عهد الإصلاح الديني[٢] فى العصور الوسطى نلتقى بكارلتشات الذى يبدأ فى المناداة بأن موسى ليس كاتب الأسفار الخمسة وأنه يستحيل أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات[٣].

وبعد قرابة قرن من الزمان نرى "هوبز" يقول أن الأسفار الخمسة كتبت عن موسى ولم يكتبها هو.

وعند هذه المرحلة بدأت دراسات جدية لتمحيص هذه الأفكار الجديدة ومناقشتها على ضوء دراسة عميقة للتوراة ثم البحث عن مصادرها[٤].

---

(١) من هذه الآيات قول كاتب سفر التثنية "ولقد بقى عوج ملك باشان وحده من بين العمالقة الآخرين وها هو سريره، سرير من حديد، هذا السرير الذى طوله تسعة أذرع الموجود فى الرباط عند أطفال أمون...

هذه الإضافة تدل بوضوح تام على أن من كتب هذه الأسفار عاش بعد موسى بمدة طويلة. فطريقته فى الحديث عن الأشياء طريقة مؤلفة يروى قصصا قديمة جداً، ويذكر بعض الآثار التى مازالت باقية من هذا الزمن البعيد ليجعل كلامه موثوقاً به.. إلى غير ذلك من الاضافات.

راجع شرح سبينوزا لأقوال ابن عزرا بالتفصيل فى كتابه رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٢٢، ٢٦٦ ـ ٢٦٨)

(٢) يذكر الدكتور فؤاد حسنين أن مارتن لوثر كان من رواد نقاد الكتاب المقدس وقد هاجم شريعة موسى وقسمها إلى شريعة شعبية وأخرى رسمية ثم شريعة العقيدة الحب.

(التوراة الهيروغليفية صـ٥٣)

(٣) موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة صـ٢٧.

د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ ١٨٧.

(٤) د/ نجيب ميخائيل: المصدر السابق.

وكان من أوائل من عرضوا لهذه الدراسة رجلان من أبرز رجالات الجالية اليهودية بأمستردام كلاهما يمت إلى أصول برتغالية تسنى لها أن تنهل من تراث الحضارة الإسلامية الأندلسية المتفتحة.

أولهما: أوربيل اكوستا (١٥٨٥ ـ ١٦٤٠م) الذى اتهم الأحبار بتحريف عقيدة موسى وبدأ ما يسمى فى تاريخ الكتب المقدسة بحركة تفسرها تفسيرًا تاريخيًا، وشكك فى صدق نسبتها لله أو صدورها عمن صدرت عنهم بإلهام من الله للتناقض الواضح بين نصوصها، ولكن الأحبار تألبوا عليه، فقاموا بإحراق كتاباته واستنزلوا عليه اللعنات فعاش منبوذًا حتى من أقرب أقربائه فى عزلة قاتلة[١].

سبينوزا:

أما ثانيهما: فهو الفيلسوف ذائع الصيت باروخ سبينوزا (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧) الذى فرض نفسه على الحياة الفكرية بعد دراسات متعمقة فى أبواب الفقه اليهودى جميعًا وضاق بسيطرة الفكر التلمودى الخانقة فتجاسر وتعرض لنصوص التوراة ذاتها فحلت به هو الآخر لعنة التحريم[٢].

---

(١) يضرب بأكوستا جبريل أو أوربيل أكوستا المثل فى الثورة على الجمود الدينى اليهودى، وكان من يهود المارانوا البرتغاليين إلى أن تنصروا تحت ضغط الاضطهاد الكنسى ولكنه عاد إلى اليهودية بعد أن هاجر إلى امستردام (١٦١٥م) وفيها اصطدام بتعصب ـ الأحبار ووجد منهم تعنتا أدهى وأمر من التزمت المتفشى بين اساقفة الكاثوليك بالبرتغال فأخذ يعرض بهم تعريضًا عنيفًا وينقد الأسفار نقدًا تاريخيًا ألبو عليه الحكومة فصادروا ـ كتبه وأحرقوها وطردوه من مجتمعهم وكانوا يبصقون فى وجهه ويلقون على بيته القاذورات والجيف، ولم يحتمل الرجل سؤ المعاملة والفقر فندم وأعلن توبته بعد خمس عشرة سنة من المهانة ولكنه لم يقبل الطقوس اليهودية، ومنع اثنين من المسيحيين من اعتناق اليهودية فجددوا اتهامه بالكفر ولم يقبلوا منه التوبة مرة أخرى إلا بعد أن جلدوه امام جمهور اليهود تسعا وثلاثين جلدة.

(راجع الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية صـ ٥١، ٥٢)

(حسين ذو الفقار صبرى: توراة اليهود صـ ٧ نقلا عن مصادر أجنبية).

(٢) أ. وف. توملين: فلاسفة الشرق صـ١٠٠ ترجمة عبد الحميد سليم دار المعارف ١٩٨٠م حسين ذو الفقار صبرى: توراة اليهود صـ٧ نقلا عن مصادر أجنبية. وباروخ سبينوزا من عائلة برتغالية يهودية أيضا ولكنها كانت هاجرت منذ زمن، وقد ولد بأمستردام قبل وفاة أكوستا بقليل ولكنه كان أصلب عوداً منه (توراة اليهود صـ٧).

ويعتبر سبينوزا من أشهر نقاد العهد القديم وأعظم من تصدى لقومه بالنقد فى أشهر كتبه "البحث اللاهوتى السياسي" أو رسالة فى اللاهوت والسياسة ١٦٧٠م الذى يعتبر بحق البحث الرائد للدراسات النقدية لأسفار التوراة فى العصر الحديث[١].

ففى هذا الكتاب وضع نقدًا شاملا للعهد القديم على أنه كتاب أدبى قومى ونقده نقدا تاريخيا وفلسفيا فعرض للغته ونصه وزمن تأليفه ومستوى مؤلفيه.

وأدت حركة النقد هذه إلى زعزعة الثقة فى الكتاب المقدس كما انتهى إلى تحويل كبير فى عقيدة الوحى وأصبح النقد لا يوجه إلى الموضوع بقدر اهتمامه بالإنسان الذى ألف هذه الأسفار والذى يقال أنه أقدم على ما أقدم عليه بوحى، حتى أصبحت أسفار الكتاب المقدس ليست وحيًا إلهاميًا مباشرًا بل وثائق بشرية تاريخية موحى بها[٢].

فقد قام سبينوزا بشرح ملاحظات ابن عزرا وذكر أنه قد فاته ذكر ملاحظات أخرى ـ متعددة أكثر خطوة على الأسفار الخمسة وهى:

١- لا يتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما يعطى عنه شهادات عديدة مثل "تحدث الله مع موسى" "كان الله مع موسى وجها لوجه"، "وكان موسى رجلاً حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس"[٣]، "فسخط موسى على

---

(١) حسين ذو الفقار صبرى: توراة اليهود صـ٧، د/ عبد المنعم الحفنى: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية صـ١١٩، وسبينوزا فى هذا الكتاب يتضح تأثره من جهة بكتابات موسى أبن ميمون تأثراً كبيرًا وليفى بن جرشوم وشهرته "لاتينيا جرسونيدس) ومن حيث النقد التوراتى بآراء ابراهام ابن عزرا ولكنه طبعاً أضاف إليه وزاد عليه وجهر بما لم يجرؤ على الجهار به.
ثم أن فكرة المتوقد وجرأته الفلسفية انساحت به مكتسحة الحواجز والقيود فأصبح من أعلام الفكر الأوربى كما أن مكانته بعد وفاته إلى ارتقاء مستمر، وكانت آراؤه الفلسفية أقوى من أن تحتويها أغلال من أى نوع كان.

(٢) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية صـ٥٤. راجع توراة اليهود صـ٧، د/ إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته صـ١٣٩ الطبعة الأولى لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٥/ ١٩٣٦م.

(٣) عدد ٢٥: ٣.

وكلاء الجيش"[1] "موسى رجل الله"[2] لقد مات موسى خادم الله ولم يقم من بعد نبى فى إسرائيل كموسى[3] وعلى العكس يتحدث موسى ويقص أفعاله بضمير المتكلم فى سفر التثنية التى كتبت فيها الشريعة التى شرحها موسى ويقص أفعاله بضمير المتكلم فى سفر التثنية الرب ورجوت الرب الخ. إلا فى آخر السفر حيث يستمر المؤرخ بعد أن نقل أقوال موسى ويحكى فى روايته كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة (التى شرحها) كتابة ثم أعطاها تحذيرًا أخيرًا وبعد ذلك انتهت حياته.

كل ذلك ـ كما يقول سبينوزا ـ ويعنى طريقة الكلام ومجموع نصوص القصة كلها يدعو إلى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار بل كتبها شخص آخر.

٢- يجب أن نذكر أيضًا أن هذه الرواية لا تقص فقط موت موسى ودفته وحزنه الأيام الثلاثين للعبرانيين بل تروى أيضًا أنه فاق جميع الأنبياء إذا قورن بالأنبياء الذين عاشوا بعده ـ ولم يقم من بعد نبى فى إسرائيل كموسى الذى عرفه الرب وجها لوجه[4].

ويرى سبينوزا أن هذه شهادة لم تكن من الممكن أن يدلى بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة بل شخص عاش بعده بقرون عديدة لاسيما أن المؤرخ استعمل صيغة الفعل الماضى ولم يقم إلخ، ويقول عن القبر ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا[5].

٣- يجب أن نذكر أيضا ـ كما يقول سبينوزا ـ أن بعض الأماكن لم تطلق عليه الأسماء التى عرفت بها فى زمن موسى بل أطلقت عليه أسماء عرفت بعده بوقت

---

(١) راجع عدد ١٢: ٣.
(٢) تثنية ١٣: ١.
(٣) تثنية ٣٣: ١٠.
(٤) تثنية ٣٤: ١٠.
(٥) تثنية ٣٤: ٦ رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٢٦٩.

طويل إذ يقال إن إبراهيم تابع أعداده حتى دان[١] وهو اسم لم تأخذه المدينة التى تحمله إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة[٢].

٤- تمتد الروايات فى بعض الأحيان إلى ما بعد موت موسى فيروى فى سفر الخروج أن بنى إسرائيل أكلوا المن أربعين يومًا حتى وصلوا إلى أرض مسكونة على حدود بلاد كنعان[٣] أى حتى هذه اللحظة التى يتحدث عنها سفر يشوع[٤] وكذلك يخبرنا سفر التكوين "وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل أن يملك ملك فى بنى إسرائيل"[٥] ولاشك أن المؤرخ يتحدث عن الملوك الذين كانوا يحكمون الآدوميين قبل أن يخضعهم داود لحكمه ويضع حاميات ضده فى اديميا[٦].

وينتهى سبينوزا إلى أنه من هذه الملاحظات كلها يبدو واضحًا وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة، بل كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بقرون عديدة[٧] وأنه لما كانت توجد نصوص كثيرة أخرى فى الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى كاتبها فإن أحدًا لا يستطيع أن يؤكد عن حق أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة[٨].

ومن الذين حملوا لواء النقد أيضا بعد سبينوزا: القس الفرنسى ريتشارد سيمون، ـ والطبيب جان استروك، ولكن الأعمال النقدية لـ "ريتشارد سيمون" تعد فاتحة على النقد الحديث[٩].

---

(١) تكوين ١٤ :١٤ ودان اسم مدينة ويرجح أنها تقع على بعد ثلاثة أميال غربى بانياس وهى المعروفة بتل القاضى (راجع تفصيل الحديث عنها: قاموس الكتاب المقدس صـ٣٥٧).

(٢) قضاة ١٨: ٢٩.

(٣) خروج ١٦: ٣٥.

(٤) ٥: ١٢.

(٥) تكوين ١٦: ٣١.

(٦) صموئيل الثانى ٨: ١٤.

(٧) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧١.

(٨) المصدر السابق صـ٢٧٣.

(٩) هذا الأعمال النقدية هى:

ريتشارد سيمون:

فقد أصدر عام ١٦٧٨م كتابه عن "التاريخ النقدى للعهد القديم) نفى فيه نفيًا قاطعًا نسبة أسفار الشريعة إلى موسى، وأكد ما فيها من الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب.

وتوصل إلى أنها عبارة عن مجموعة من مدونات مختلفة الأصول، كل منها تعود إلى جميل بعينه من الأجيال المتعاقبة لأنبياء اليهود يستخلصون لنبوءات من واقع تفسيرات متمايزة لأحداث الماضى، فكأنهم أيضا مؤرخون عكف كل باجتهاد وهوى على إعادة تقييم ما دونه الأسلاف ـ تحويرًا وحذفًا وإضافة حتى توفر عليها آخر الأمر عزرا ومريدوه فجمعت أسفار الكتاب على الوجه الذى تطالعنا به اليوم[١].

وقد أثار الكتاب ضجة وسخطًا وقوبلت دراسة ريتشارد سيمون بفورة غضب واستنكار، فتصدى لها ـ ولما أن جرأت على ذلك جاليات اليهود ـ المفكرون المسيحيون ـ فإنها انتهاك أيضا لقدسية عهدهم القديم ـ وتزعم الحملة الكاتب الفرنسى الكبير "بوسييه" فهو من كبار أساقفة الكنيس الكاثوليكى، واستصدر قرارا بإعدام نسخ الكتاب جميعًا إلا من بضعة معدودات أفلتت فهربت إلى الخارج[٢].

(أ) التاريخ النقدى لنصوص العهد القديم ودرس فيه تاريخ النصر العبرى منذ نشأته حتى الآن وشك فى نسبة التوراة إلى موسى.

(ب) التاريخ النقدى لترجمات العهد العتيق وشرح فيه ظهور الترجمات ونقلها واختلافاتها.

(ج) التاريخ النقدى لنصوص العهد الجديد.

(د) التاريخ النقدى لنصوص العهد الجديد.

(هـ) التاريخ النقدى لنصوص العهد الجديد.

(راجع د/ حسن حنفى مقدمة كتاب سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ١٨ ـ١٩)

(١) موريس بو كاى: دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٧-٢٨.

(٢) حسين ذو الفقار صبرى: توراة اليهود صـ ٧ نقلا عن مصادر أجنبية موريس بوكاى: دراسة الكب المقدسة صـ٢٨.

جان استروك

أما الطبيب جان استروك[1] فقد كان أول الباحثين الذى فتحوا بابا جديدًا وطرقوا الموضوع من زاويته. إذ أنه عالج "البنتاتوك" من زاوية المعبود الذى يتردد ـ مرة تحت اسم "يهوه" وأخرى تحت اسم "الوهيم".

واستنتج من ذلك أن كلا من المجموعتين صادر عن أصل مختلف عن المجموعة الأخرى وأن هناك مجموعة ثالثة لا ترجع إلى الأصلين، وبعد دراسة طويلة نراه يقرر أن المجموعة الألوهيمية تكون الجانب الأكبر من سفر التكوين وأن المجموعة "اليهودية" ليست سوى ـ تكملة لها. كما أن الاصحاحات الأولى من سفر الخروج ذات أصول ألوهيمية كذلك[2].

ما بعد (استروك):

ودفع هذا البحث غير "استروك" للنزول فى الميدان، فاتفق معه ايخهورن (١٧٨٠ ـ ١٧٨٢) وأضاف إليه أن الكتابات ذات الأصول الألوهيمية واليهوية لا

وكان ريتشارد سيمون قد تعمق فى دراسة اللاهوت بانجلترا محاولا استخلاص سمة من اتساق للمتناقضات التى تعج بها اليهوديات، ثم أصدر فى فرنسا مؤلفات فى الفلك والحساب ترجمت فيما بعد إلى اللاتينية، وقد راجت مؤلفاته فى أنحاء أوربا، ذخراً للباحثين يهودًا كانوا أم مستشرقين حسين ذو الفقار: توراة اليهود صـ٧.

(١) جان استروك: كان طبيباً للملك لويس الخامس عشر وكان يعمل استاذًا للطب فى جامعات مونبلييه وباريس وتولوز وكان ابن واعظ بروتستنى من أصل يهودى. (موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة صـ٢٨) (د/ بحر عبد المجيد: اليهودية صـ٣٨).

(٢) ويذكر موريس بوكاى: أننا ندين لجان استروك بالبرهان الحاسم الذى قدمه فى تدحيض خرافة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى فقد نشر فى بروكسل عام ١٧٥٣. دراسة بعنوان "قرائن عن المذكرات الأصلية التى استخدمها كاتب سفر التكوين" وأكد فيها على تعدد المصادر. ويرى موريس بوكاى أنه لم يمكن أول من أشار إلى هذا إلا أنه كانت لديه الشجاعة فى أن ينشر على الملأ ملاحظة أساسية هى وجود نصين جنبا إلى جنب فى سفر التكوين المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ ٢٨. د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ صـ ١٩١. راجع أيضا ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد/ ١ جـ٢ ص،٣٦٧).

تختلف فقط من ناحية اسم الرب تحت عنوان "يهوه" أو "الوهيم" بل أن هناك اختلافا بينا كذلك فى الكلمات والجمل وطبيعة العقيدة نفسها[1].

وأضاف باحث ثالث هو "فاتر" إلى ذلك رأيا مؤداه أننا لا نلتقى بهذه الظاهرة اليهودية والألوهيمية فى التكوين وإصحاحى الخروج الأولين فحسب بل فى كافة الأسفار الأربعة الأخرى ويرى أن الأسفار الخمسة تراث بدائى من مجموعتين منفصلتين متشابهتين فى الوقت نفسه ورما كانت من عصرين متباعدين عرف الرب فى احداهما تحت اسم "يهوه" وفى الأخرى تحت اسم "الوهيم".

وأخذ "فاتر" يعالج الأسفار الخمسة على ضوء هذه النظرية فذهب إلى أن بالتكوين مجموعة من المتناقضات وأما الخروج فيميزه تباين المصادر اليهودية والألوهيمية وأما اللاويون فمجموعة من أشياء متباينة أما العدد فذو أصول يهويه فى معظمه، وأم التثنية فالسلسلة محبوكة فيه أكثر منها فى الأسفار السابقة[2].

ثم جاء ايلجين (١٧٩٨م) ولاحظ أن أحد النصين اللذين ميزهما استروك، هو النص الذى يسمى فيه الب بألوهيم ينقسم هو أيضًا إلى قسمين.

وبهذا ـ كما يقول موريس بوكاى ـ تفتت تماما كتاب أسفار موسى الخمسة[3].

أما بحاثة القرن التاسع عشر فقد كرسوا جهودهم فى بحث عن مصادر أكثر دقة للأسفار الخمسة، وأوفى بيان لنتائج الأبحاث التى قاموا بها هو إلى صدر عن العالم الألمانى المشهور يوليوس فلهاوزن.

ويمكن أن نقول دون أن نخوض فى تفاصيل آراء فلها وزن ومؤيديه أنهم عكسوا الترتيب التقليدى لتأليف أسفار العهد القديم، فنسبوا إلى زمن يلى موت

---

(١) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ١٩١ – ١٩٢. د/ حسن حنفى: مقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٢٣. قارن موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة صـ٢٨.

(٢) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ صـ ١٩٣ .

(٣) موريس بو كاى: دراسة الكتب المقدسة صـ٢٨.

موسى بعدة قرون وتكرار بعض القصص، والفروق البيئة فى اللغة والأسلوب بين أجزاء مختلفة من هذه المجموعة.

كل هذا أقنع العلماء الناقدين بأن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى مركبة النشأة وأنها كانت فى الواقع نتيجة تصنيف من مصادر مختلفة[١].

المصادر الأربعة للتوراة:

وفى عام ١٨٥٤ كانت هناك أربعة مصادر مقبولة[٢] وظلت مقبولة حتى الآن وكما يقول الدكتور صبرى جرجس "والرأى يتجه الآن إلى أن الأسفار الخمسة هى مجموع أربع وثائق أدمجت بعضها فى بعض بواسطة الأحبار وصيغت فى صورتها الحالية فى القرن الرابع ق. م ـ وإن كانت كتابتها قد بدأت فيما يعتقد الكثيرون من الثقات أثناء فترة السبى البابلى فى القرن السادس ق.م[٣].

وهكذا يثبت العلماء أن التوراة ترتد إلى أربعة ينابيع مختلفة: اثنان منها جوهريان قديمان، والثالث منفصل عنهما فى زمانه ومضمونه، وأما الرابع والأخير فإنه ينبثق فى مواضع معينة بصورة تكميلية وتوضيحية وهو أحدث هذه الينابيع تاريخًا[٤].

---

(١)موسكاتبى: الحضارة السامية القديمة صـ ١٥٦ ـ ١٥٧، موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة صـ ٢٨، د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى صـ٥٨. وقد أعلن فلهاوزن نظريته المشهورة القائمة على المصادر الأربعة للتوراة وتتلخص فى مبادئ ستة:

١- مجموعات أولى مثل كتاب أثر وكتاب حروب يهوه.

٢- ظهور النص الألوهيمى فى الشمال قبل النص الياهوى.

٣- ظهور النص الياهوى فى الجنوب الفه شخص أو جماعة.

٤- ضم النصين معا بعد سقوط السامرة.

٥- ظهور سفر التثنية من وضع أحد الأحبار وضمه للمجموعة الأولى.

٦- ظهور نص يحتوى على قوانين الرهبنة أو القداسة، ومازالت هذه النظرية هى السائدة فى كل الدراسات النقدية عن العهد القديم (موسكاتى: الحضارات السامية صـ١٥٧ ـ ١٥٨، د/ حسن حنفى: مقدمة كتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) موريس بوكاى: المصدر السابق صـ ٢٨-٢٩.

(٣) التراث اليهودى الصهيونى صـ٥٨.

(٤) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى صـ ٢٨.

وهذه الوثائق الأربع أو المصادر الرئيسية أطلق عليها:

١ـ المصدر اليهُوَوِى:

وسمى بهذا الاسم لأنه يستعمل اسم العلم (يهوه) على الرب ويرمز لهذا المصدر بالحرف (j)[١] ويرجع تأليفه إلى القرن التاسع ق.م وحدده البعض بعام ٨٥٠ ق.م وتم هذا التأليف فى مملكة الجنوب يهوذا[٢].

٢ـ المصدر الألوهيمى:

ويسمى بذلك لأنه يستعمل اسم العلم (الوهيم) على الرب ويرمز له بالحرف (E)[٣] ويرجع تأليفه إلى القرن الثامن ق.م أى حوالى ٧٧٠ ق.م فى المملكة الشمالية (إسرائيل)[٤].

وهذان المصدران (اليهووى والألوهيمى) يتفقان فى الخطوط العريضة للموضوع ـ الذى يتناولانه، كما يتفقان فى طابع القصص وأسلوبه وربما كان قد حدث مزج بين الروايتين "اليهودية والألوهيمية" على ألسنة الناس فى القرون التالية على القرنين التاسع والثامن ق.م[٥].

ويرى العلماء أن هذين المصدرين القديمين قد تم دمجهما فى مجموعة واحدة، وأن

---

(١) وهو الحرف الأول من Jahuist (اليهووى) (هوامش موسكاتى صـ ٣٣٦).

(٢) موسكاتى: الحضارات السامية القديمة صـ ١٥٧، ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ ٣٦٧، موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة صـ٢٧.

(٣) وهو الحرف الأول من Elahist (هوامش موسكاتى صـ٣٣٦ د/ السيد يعقوب بكر).

(٤)موسكاتى: الحضارات السامية القديمة صـ ١٥٧ موريس بوكاى: المصدر السابق صـ٢٩، د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى صـ ٢٩.

ويبدو أن الرواة الذين نقلوا عن هذا المصدر قديمًا كانوا يعتقدون أن تسمية الرب "الوهيم" هى التسمية التقليدية القديمة للعبرايين إلى ظهور موسى.

وأن اسم "يهوه" لم يظهر إلا مع الدعوة الموسوية نفسها لذلك حرصوا على تمييز المعبود باسم "الوهيم" لقدمه فى الأمة ولأن دلالته أعم فهو ليس اسم علم فى الأصل ومعناه إله أو آلهة أو الله.

(د/ حسن ظاظا: المرجع السابق صـ٢٩).

(٥) د/ حسن ظاظا: المصدر السابق صـ٢٩.

القصص الخاصة بهما قد امتزجت فى قصة واحدة ويذكر ول ديورانت أن ذلك تم بعد سقوط السامرة عام ٧٢٢ ق.م[١].

ويرى موسكاتى أن ذلك تم فى عام ٦٥٠ ق.م[٢]، وعلى أى حال فإنهما قد امتزجا قبل أن تنبثق بقية المصادر الأربعة[٣].

٣ـ المصدر التثنوى:

ويرمز لهذا المصدر بالحرف (D) [٤]، وقد أعلن العثور عليه فى عهد الملك يوشيا (ملك يهوذا) فى القرن السابع ق.م أى حوالى ٦٢٣ ق.م[٥].

٤ـ المصدر الكهنوتى:

ويرمز له بالحرف (P) [٦] وهو عبارة عن حواش أو فصول أضافها الكهنة إلى نص التوراة على عهد نحيما وعزرا.

والرأى الغالب أن هذه الفصول تكون الجزء الأكبر من سفر الشريعة الذى أذاعه عزرا، وترجع هذه الفصول أو تلك الحواشى إلى عصر ما بعد النفى أى القرن السادس ق.م، وقيل إنها ترجع إلى القرن الخامس ق.م وإلى النصف الأخير منه على التحقيق[٧].

---

(١) قصة الحضارة مجلد ١١ جـ ٢ صـ ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٢) الحضارة السامية القديمة صـ ١٧٥.

(٣) لوسيان جوتييه نقلاً عن د/ حسن ظاظا: المصدر السابق صـ٢٩-٣٠، وتقول كاترين هنرى "يعتقد كثيرون من العلماء أن مجموعات ووثائق هذين المصدرين كانت أول الأمر أحاديث سماعية متواترة ثم نسجت نسيجاً واحدًا فى قصة واحدة كما تنسج الخيوط المختلفة فى قطعة واحدة من القماش (التاريخ فى الكتاب صـ٥٠).

(٤) وهو الحرف الأول من (Deterenomy) أى التثنية (د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتى صـ ٣٣٦).

(٥) راجع موسكاتى: الحضارات السامية صـ ١٥٧.
د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى صـ٣٠.
د/ فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية صـ ٥١-٥٢.

(٦) وهو الحرف الأول من (Priestly) (الكهنوتى) (هوامش موسكاتى صـ٣٣٦).

(٧) راجع دول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٦٨، موسكاتى: الحضارات السامية صـ١٥٧، موريس بو كاى: دراسة الكتب المقدسة صـ٢٩، د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية صـ ٤٧ ـ ٤٩، د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى صـ٣٠، د/ سامى سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية صـ ٢٨.

بهذا أذن ومن خلال التواريخ المذكورة للمصادر الأربعة يتضح لنا أن تحرير نص الأسفار الخمسة قد امتد أكثر من ثلاثة قرون على أقل تقدير، ولكن المشكلة فيما يقول موريس بوكاى أكثر تعقيداً من هذا ففى سنة ١٩٤١ استطاع لوذز أن يميز فى الوثيقة اليهووية ثلاثة مصادر وفى الوثيقة الألوهيمية أربعة وفى سفر التثنية ستة وفى النص الكهنوتى تسعة وهذا "دون حساب الإضافات الموزعة بين ثمانية محررين"[١].

وقد أدى تعدد مصادر الأسفار الخمسة إلى تنافر وتكرارات وتداخلات عديدة فى نصوصها.

ويعطى الأب ديفو أمثلة على تعقد هذه الموروثة الخاصة بالخلق وأنسال قابيل والطوفان واختطاف يوسف وما جرى له بمصر والاختلافات الخاصة بأسماء شخص واحد والتصورات المختلفة للأحداث الهامة[٢].

وبذلك يتضح أن الأسفار الخمسة قد تكونت من أقوال موروثة مختلفة جمعها بشكل يقل أو يزيد حذفاً، محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنبا إلى جنبا إلى جنب وطورا غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للعين أمورا غير معقولة وأخرى متنافرة كان من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعى عن المصادر[٣].

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ ٢٩.
وسيتضح لنا فى الفصل الأول من الباب الثالث اكتشاف لودز وغيره لمصادر أخرى استقت منها الأسفار وهى مصادر سومرية وبابلية وكنعانية.

(٢) لقد تداخلت المصادر الأربعة بعضها فى البعض الآخر والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج الذى تبين للعلماء انه ليس وحدة متماسكة وإنما يتألف من أجزاء كانت مستقلة فى الأصل ثم أدمج بعضها فى بعض وخاصة البيات ٢١-٢٧ التى تتناول عيد الفصح، وأما عن تداخل وامتزاج ثلاثة مصادر وهى: اليهووى والألوهيمى والكهنوتى، فأوضح الأمثلة على ذلك الإصحاح السابع والثلاثون من سفر التكوين الخاص بفصل من فصول قصة يوسف، وقد قام الدكتور حسن ظاظا ببيان ذلك تفصيليًا فى كتابه الفكر الدينى الإسرائيلى صـ ٣١-٣٥.
وأما بخصوص قصتى الخلق والطوفان فتفصيل الحديث عنهما فى الباب الثالث عند بيان مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية فى القصص الدينى والأساطير.

(٣) موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ٢٩.

واستدل بعض الباحثين المعاصرين للبرهنة على أن الأسفار الخمسة ليست هى التوراة المنزلة على سيدنا موسى من حيث اللغة التى كتبت بها الأسفار.

فذكر الدكتور فؤاد حسنين على ـ فى رأى لم يسبق إليه كما يقول ـ أن التوراة العبرية التى هى بين أيدينا (الأسفار الخمسة الحالية) ويؤمن بها اليهود وغيرهم ليست توراتنا التى أنزلت على موسى لسبب جوهرى صحيح هو أنها جاءتنا فى اللغة العربية.

والعبرية لم يعرفها موسى ولم يعرفها الإسرائيليون طيلة حياة موسى، فموسى عاش وتوفى قبل أن توجد العبرية يعرفها الإسرائيليون فكما تذكر المصادر اليهودية وغيرها ولد فى مصر وتسمى باسم مصرى وتهذب بكل حكمة المصريين.

وينتهى الدكتور فؤاد حسنين إلى أن صحف موسى وتوراته لم تدون فى العبرية بل فى المصرية القديمة، فتوراة موسى إذن هيروغليفية الأصل[1].

ويذهب الدكتور حسن ظاظا إلى أننا لا نعرف معرفة يقينية اللغة التى كتب بها موسى رسالته، ومهما يكن من شئ حتى على افتراض أنها العبرية فلاشك أنها كانت تختلف اختلافاً بيناً جدًا عن عبرية النص المقدس الذى بين أيدينا اليوم.

فلابد أنه مع جمع نصوص العهد القديم العبرى وكتابتها، حدث طوعًا أو كرهًا "تنسيق" لا فى السياق والترتيب فحسب بل فى اللغة أيضًا فبين موسى وتجميع الأسفار الخمسة ما يقرب من ألف عام لاشك أن اللغة ككل تطورت تطورًا كبيرًا[2].

وهكذا ـ كما تبين لنا ـ وكما يقول الدكتور على عبد الواحد وافى ـ ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التى كتبت بها الأسفار الخمسة وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع، والبيئات الاجتماعية والسياسية

---

(١) راجع تفصيل هذا الرأى: التوراة الهيروغليفية صـ ٣-٨، صـ ٥٧ـ٥٩.
(٢) الفكر الدينى الإسرائيلى صـ٢٧-٢٨.

التى تنعكس فيها، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت فى عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير[1].

وأن معظم سفرى التكوين والخروج ألف حوالى القرن التاسع ق.م وأن سفرى العدد واللاويين قد ألفا فى القرنين الخامس والرابع ق. م أى بعد النفى البابلى، وأنها جميعًا مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة لديهم فى مختلف أدوار تاريخهم.

فهى إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التى يذكر القرآن الكريم أنها كتاب سماوى مقدس أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام[2].

يقول تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾[3].

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[4].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[5].

القرآن الكريم وتحريف التوراة:

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم كان أول من نبه إلى أن اليهود قاموا بتضييع التوراة المنزلة على سيدنا موسى وتحريفها، وأن فريقًا منهم قام بتأليف أو بكتابة الكتاب بأيديهم ثم زعموا نسبته إلى الله وما هو من عند الله، وأنهم قاموا بإخفاء وكتمان أجزاء كثيرة من التوراة الصحيحة.

يقول الله تعالى فى بيان تضييع اليهود المنزلة وإهمالهم لها، وقلة مبالاتهم بها وبأحكامها:

---

(١) يقع عصر موسى على الأرجح فى القرن الثالث عشر ق.م.
(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام صـ١٧.
(٣) هود: ١٧.
(٤) الإسراء: ٢.
(٥) آل عمران: ٢، ٣، ٤.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1].

وبين سبحانه أنهم فقدوا أجزاء منها، ونسوا أجزاء أخرى، وأن الأجزاء التى لم يفقدوها والتى نسوها قاموا بكتمانها وإخفائها، يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾[2].

﴿ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾[3]

﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾[4].

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[5].

---

(١) الجمعة: ٥ (ويذكر المفسرون أن اليهود حملوا التوراة أى كلفوا أمانة العمل بها أو هى من الكفالة بمعنى أنهم ضمنوا أحكامها ولكنهم لم يحملوا أى لم يعملوا بها ولم ينفذوا أحكامها فصاروا كالحمار الذى يحمل الكتب الضخام وليس له منها إلا ثقلها وهو ليس صاحبها وليس شريكًا فى الغاية منها وهى صورة رزيه بائسة ومثل سئ شائن).

(راجع الفخر الرازى فى التفسير الكبير جـ٢٠ صـ٤-٦ الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربى بيروت).

القرطبى: الجامع لأحكام القرآن جـ١٨ صـ٩٤-٩٥ نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر وزارة الثقافة بمصر ١٩٦٧م.

سيد قطب: فى ظلال القرآن المجلد السادس صـ٣٥٦٧ دار الشروق ١٩٨٢م.

(٢) النساء: ٤٤.

(٣) المائدة: ١٣ تعبير القرآن الكريم (أوتوا نصيبا من الكتاب) إشارة إلى أنهم لم يحفظوا الكتاب كله، بل فقدوا حظاً ونصيبًا آخر منه بجانب الحظ الذى نسوه وكان ذلك لعدم حفظهم للكتاب فى صدورهم وعدم كتابتهم أكثر من نسخة منه، والظاهر أن التنكير فى قوله تعالى (نصيبا، وحظاً) للتعظيم أى ما نسوه واضاعوه كثير وما أوتوه وحفظوه كثير أيضًا.

(راجع تفسير المنار جـ٣ صـ١٢٩ ـ ١٣١ جـ٥ صـ١١١ ـ ١١٢ من المجلد الثالث والجزء السادس صـ ٢٣٤ ـ ٢٣٥، ٢٣٨.

(٤) الأنعام: ٩١.

(٥) المائدة: ١٥.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[1].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[2].

ثم بين سبحانه أن الأجزاء التى لم ينسوها ولم يخفوها قاموا بتحريفها.

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[3].

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[4].

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾[5].

---

(١) البقرة: ١٥٩.

(٢) البقرة: ٧٤: ١٧٥.

(ولعل القرآن الكريم يشير هنا إلى ما يعرف بالأسفار الخفية لدى اليهود ويذكر الدكتور وافى أن بعض هذه الأسفار غير مقدس ولا معتمد فى نظرهم بينما بعضها الآخر مقدس ومعتمد فى نظرهم ولكن رأى أخبارهم وجوب اخفائه وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور ولا أن يدرج فى أسفار العهد القديم، ومن هذا يظهر أن السفر قد يكون خفيا ومقدسا فى آن واحد عند اليهود.

(الأسفار المقدسة صـ ١٢٣)

(٣) النساء: ٤٦.

(٤) المائدة: ١٣.

(٥) المائدة: ١٤ (والتحريف هو التغيير والتبديل وأصله من الانحراف عن الشئ فمعنى يحرفونه: يبدلون معناه وتأويله ويغيرون والتحريف يكون فى اللفظ والمعنى، وقد وقع النوعان معا من اليهود).

(راجع تفسير الطبرى جـ٢ صـ ٢٤٨ ـ ٢٤٩ الفخر الرازى جـ٣ صـ ٢٣٤ـ ١٣٥)

وأشار القرآن الكريم إلى أن فريقًا منهم هو الذى قام بالتحريف وأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وما هو من عندا لله.

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[2].

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

ويبين القرآن الكريم أن هناك مجموعة أمية من اليهود تتلقى هذا التحريف وهذا التبديل دون أن تعلم إلا الأوهام والأمانى والظنون.

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[4].

وقد أشار الرسول "صلى الله عليه وسلم" إلى عبث اليهود بالتوراة وقيامهم بتحريفها وتغييرها إذ أنه رأى ورقة من التوراة فى يد عمر فأمره بإلقائها وأن لا يضيع وقته فى قراءة ما بها من كذب وتحريف ثم قال

---

(١) البقرة: ٧٥.

(٢) البقرة: ٧٩.

(٣) آل عمران: ٧٨.

والفريق المشار إليه فى الآية الكريمة هم أعلم اليهود وأعرفهم بالحقيقة هم الأحبار والربانيون الذى حرفوا الكلام لا عن جهل ولكن عن عمد للتحريف وعلم به يدفعهم الهوى وتقودهم المصلحة ففى تلك الآية نص فى التعمد وسوء القصد.

(راجع تفسير الطبرى جـ٢ صـ ٢٤٩، تفسير الفخر الرازى جـ٣ صـ١٣٥-١٣٦، تفسير النار جـ١ صـ ٢٩٤-٢٩٦، سيد قطب: فى ظلال القرآن جـ ١ صـ٨٤.

(٤) البقرة: ٧٨.

"ألم آتكم بها بيضاء نقية؟ والله لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا اتباعي"[1].

أى أن هذه التوراة المزعومة ملطخة بسواد التحريف والتغيير وقد أنزل الله على رسوله "صلى الله عليه وسلم" فى القرآن ملخصًا لما كانت تشتمل عليه التوراة من عقيدة وشريعة وقصص، فأحياها فى صورتها الصحيحة نقية بيضاء، وأن موسى لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع القرآن الذى أنزل على سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم"[2].

ولعل من الأهمية أيضًا أن أشير إلى أن المنهج النقدى للتوراة لا يرجع الفضل فى حدوثه إلى الكتاب الغربيين كما قد يظن، وإلى أنه ليس منهجًا مستحدثًا فى العصر الحديث وإنما الحقيقة أنه يعود إلى المسلمين فى عصور الإسلام الأولى.

ابن حزم ونقد التوراة:

ومن أبرز العلماء المسلمين الذين تعرضوا لنقد التوراة بل من أوائلهم الإمام ابن حزم الظاهرى المتوفى عام ٤٥٦هـ.

ويعتبر كتابه "الفصل فى الملل والأهواء والنحل" بما اشتمل عليه من نقد علمى للتوراة أول دراسة نقدية لنصوص الكتاب المقدس تسبق بآماد طويلة تلك الدراسة التى ظهرت بوادرها فى أوربا فى القرن السابع عشر وازدهرت فى القرن التاسع عشر كما ذكرت[3].

---

(١) (أورد ابن كثير نصوص عدد من الأحاديث فى هذا المعنى عن الإمام أحمد) (راجع تفسير القرآن العظيم جـ٢ صـ٤٦٧-٤٦٨. راجع أيضاً فتح البارى لابن حجر جـ١٣ صـ٥٢٢-٥٢٦ وجـ٥ صـ٢٩١-٢٩٢ المطبعة السلفية محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب.

(٢) راجع د/ على وافى: الأسفار المقدسة صـ١٨.

(٣) مما يشهد بسبق ابن حزم فى نقد نصوص الكتاب المقدس ما ذكره مرجليوث فى موسوعة الدين والأخلاق المجلد التاسع صـ٤٨٢ إذ قال "إن دراسات ابن حزم للأسفار الخمسة فى العهد القديم أدت به إلى السبق فى إيراد بعض الاعتراضات التى أدلى بها النقاد الحديثون من أمثال الأسقف ج. كولنسو، ولهذا الأسقف كتاب ضخم عنوانه (الفحص النقدى للأسفار الخمسة) وقد هاجم فيها

وفى هذا الكتاب اهتم ابن حزم بنقد التوراة التى بأيدى اليهود اهتماما كبيرا وأثبت أنهم حرفوها وبدلوها واعتمد فى إثبات تحريفها على نظريتين أساسيتين:

١- النظرة إلى النصوص ذاتها من حيث كذبها وتناقضها ومغايرة الواقع الذى كشف عنه من داخل التوراة نفسها وأماط عنه اللثام ليكون برهانًا لكل ذى عينين على أنه لا يمكن أن يكون من عند الله ـ عز وجل ـ وبذلك استطاع أن يجعل التوراة نفسها تحمل بين جنبيها دليل هدمها وبرهان بطلانها[١].

٢- النظرة إلى عوامل تاريخية: ويقصد بها الظروف التى مرت بها التوراة منذ أن توفى موسى إلى وقت كتابتها بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم، فبين أن بنى إسرائيل قد ارتدوا سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وجاهروا بالكفر وعبادة الأوثان[٢].

ثم يتساءل بحق: أى كتاب يبقى مع تمادى الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال فى بلد صغير مقدار ثلاثة أيام فى مثلها فقط ليس على دينهم وإتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم؟![٣].

دعوى تأليف موسى للأسفار الخمسة ونشره فى سبعة أجزاء من سنة ١٨٦٢-١٨٧٩م، وأيضًا فإن د/ فيليب حتى يقول عن ابن حزم "أما أنفس كتبه الباقية إلى الآن وأفيدها هو "الفصل فى الملل والأهواء والنحل" الذى يؤهل مؤلفه لاحتلال مركز الأولية بين العلماء الذين عنوا بدراسة الأديان على سبيل النقد والمعارضة، وفى هذا الكتاب لفت ابن حزم الانظار إلى بعض مشاكل فى قصص التوراة لم يتنبه لها فكر أحد من العلماء حتى ظهور مدرسة نقد التوراة العلمى فى القرن السادس عشر (راجع بيان ذلك بالتفصيل: د/ فيليت حنى: العرب: تاريخ موجز صـ ١٨١ الطبعة الرابعة ١٩٦٨ دار العلم للملايين بيروت، عبد العزيز عبد الحق حلمى: مقدمة كتاب الرد الجميل للإمام الغزالى صـ٧٩-٨٣، نشر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، د/ محمود على حماية: ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان صـ ١٤٩-١٥١ دار المعارف الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

(١) راجع كتابة الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ ٩٨ ـ ١٧٦ نشر مكتبة الخانجى القاهرة د/ محمود على حمايه: المصدر السابق صـ ٢٥٤-٢٦٠.

(٢) راجع الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ ١٨٧-٢١٠، د/ محمود على حماية المصدر السابق صـ ٢٦٠-٢٦٢.

(٣) د/ محمود على حماية: المصدر السابق صـ٢٦٠.

فكان منهج ابن حزم فى نقده للتوراة يتمثل فى بيان معارضة نصوصها بعضها ببعض وإظهار ما فيها من اضطراب وتناقض واختلاف، ورد الروايات التاريخية التى تصادم مقررات العلوم على ما وصلت إليه فى عصره من الحساب والهندسية والجغرافيا والحيوان والنبات، وبالجملة كل ما يتعارض مع القوانين اليقينية الثابتة المطردة التى يسير العالم والمجتمع الإنسانى حسب مقتضياتها.

وقد كان هذا عند ابن حزم كذبا ومجالا من باب ما يتسلى به العجائز من الخرافات والأسمار[1].

وكان من أقوى ما استدل به ابن حزم على أن الأسفار الخمسة ليست لموسى عليه السلام حديث سفر التثنية عن وفاة موسى عليه السلام وأنه لم يعرف موضع قبره إلى اليوم.

فقد قال ابن حزم "هذا آخر توراتهم وتمامها وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة فى أن توراتهم مبدلة وأنها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تخرص بجهله أو تعمد بفكره، وأنها أيضا غير منزلة من عند الله تعالى إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلًا على موسى فى حياته فكان يكون إخبارًا عنهما لم يكن بمساق ما قد كان.

وهذا هو محض الكذب تعالى الله عن ذلك، وقوله ولم يعرف قبره آدمى إلى اليوم بيان لما ذكرنا كاف وأنه تاريخ ألف بعد دهر طويل ولابد[2].

---

(١) عبد العزيز عبد الحق: مقدمة الرد الجميل للإمام الغزالى صـ ٨٤-٨٤.
وجدير بالذكر أن العلامة الأنثروبولوجى السير جيمس فريزر (٨٥٤-١٩٤١) قد عالج هذا الموضوع فى كتابه (الفولكلور فى العهد القديم) ترجمة: د/ نبيلة إبراهيم، وسأرجع إليه فى الباب الثالث إن شاء الله.

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ ١٨٦.
ويقول ابن حزم بعد نقده للتوراة "ها هنا انتهى ما وجدنا من التوراة التى اتفق عليها اليهود والنصارى - من الكذب الظاهر فى الأخبار وفيما يخبر به عن الله تعلى ثم عن ملائكته ثم عن رسله عليهم السلام، ولو لم يكن فيها إلا فصل واحد من الفصول التى ذكرنا لكان موجباً ولابد لكونها موضوعة محرفة

القرطبى ونقد التوراة:

وكان ذكر وفاة موسى فى التوراة اليهودية من أظهر البراهين التى استدل بها أيضًا الإمام القرطبى ت(٦٧١هـ) على أنها ليست المنزلة على سيدنا موسى وقد ناقش هذا الأمر مناقشة موضوعية وقيمة فى كتابه "الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام"[١].

فهو يقول "إنها ـ أى التوراة التى بأيدى اليهود ـ لم تترك على ما كانت فى الألواح التى كتبها الله تعالى لموسى، ولا على ما انتسخها لهم موسى بل زيد فيها، ولابد، ما ليس منها، ولا كان فى الألواح التى كتبها الله لموسى.

ويدل على ذلك أن فى آخر السفر الخامس أن "موسى توفى فى أرض مؤاب... ولا يشك الواقف على هذا التاريخ وهذه الوفاة: أنها ليست مما أنزل الله على موسى ولا مما كتبها موسى عن نفسه، وإنما هى من إثبات من أراد أن يثبتها بعد وفاة موسى بزمان.

ويدلك على ذلك قوله "ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم "يريد به: اليوم الذى كتب فيه هذا، وهذا بين عند المنصف، ومع بيانه، فليس أحد من اليهود والنصارى فيما أعلم يقول: إن التوراة زيد فيها شئ بعد موسى، ولا يفرق بين هذا الكلام وغيره، بل هى كلها عندهم كلام الله، وهذا جهل عظيم، وخطب جسيم.

فهم بين أمرين: إما أن يقولوا: إن هذا الكلام هو مما كتبه الله لموسى وأخبر به موسى أو يقولوا: إنه ليس مما أخبر الله به موسى، ولم يخبر به موسى.

فإن قالوا: الأول: كذبهم مساق الكلام، فإنه المفهوم منه على القطع: أنه كتب بعد وفاة موسى بزمان.

مبدلة مكذوبة، فكيف وهى سبعة وخمسون فصلا من جملتها فصول تجمع الفصل الأول منها سبع كذبات أو متناقضات فأقل سوى ثمانية عشر فصلا لتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الأخبار بأعينا عند النصارى والكذب لائح ولابد فى إحدى الحكايتين فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب، والتناقضة فى مقادر توراتهم (راجع الفصل جـ ١ صـ ١٨٦ـ١٨٧)

(١) تقديم وتحقيق وتعليق د/ احمد حجازى السقا ـ نشر دار التراث العربى بالقاهرة ١٩٨٠م.

وإن قيل بالقول الآخر قيل لهم: فلأى شئ خلطتم كلام الله بكلام غيره، وأجريتموها فى نسق واحد، وزدتم على كلام الله ولم تشعروا بذلك، بل نسبتم كل ذلك إلى أن الله أنزله؟.

وإذا جاز مثل هذا، ولم يتحرز منه، جاز أن يكون كل حكاية منها لا يصح نسبتها إلى الله زائدة، ولاسيما الحكايات الركيكة التى تحكى فيها عن الأنبياء التى لا يليق ذكرها بسفلة الناس، وغالب الظن ـ ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى ـ أن السفر الأول هو سفر البدء والانساب (يقصد سفر التكوين) مما زيد على كلام الله تعالى ولم يشعروا بزيادته[1].

ونستطيع أن نستخلص من خلال هذا العرض السريع من دراسات العلماء والباحثين القدماء منهم والمحدثين المسلمين منهم وغير المسلمين إلى أن كتبة التوراة أو الكهنة ما فتئوا يلحون فى العبث بتوراة موسى فلم تقف أسفارها عند وضع ولا استقر قرارها حتى عهد الاسكندر الأكبر[2]، فأصبحت تنطوى على أمور لا يسوغ أن تكون قد أوحى بها إلى موسى ولا أن يكون موسى قد جاء بها من عنده أو بلغت مسمعه[3].

بل إن الناظر فيها لا يجد فيها دليلاً على نسبتها إلى موسى عليه السلام فكما يقول

---

(١) راجع الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام صـ١٤٨-١٤٩.
راجع أيضًا فى هذا الموضوع الفقيه علاء الدين البابجى الشافعى المتوفى ٧١٤هـ فى كتابه على التوراة والذى نقد فيه التوراة اليونانية صـ١٤٨ ـ ١٤٩
تحقيق الدكتور/ أحمد حجازى السقا ـ نشر دار الأنصار ١٩٨٠.

(٢) يذكر العلماء أن التوراة على شكلها الحالى قد مرت من غير شك بمراحل متعددة تطورت خلالها مادتها من رواية إلى اختيار وتنقيح وحذف ثم تدوين ولم يبق من النسخة المنقولة على ألسنة هؤلاء الكهنة إلا ما علق بالأذهان مما لا يعتمد عليه حتى ظهرت التوراة العبرية المتداولة الآن، وأن الأسفار الخمسة أخذت صورتها التى نعرفها خلال سبى اليهود فى بابل على الأرجح بين عامى ٥٨٦-٥٣٨ ق.م ثم تناولها التنقيح منذ هذه المرحلة حتى قيام الاسكندر (مدى قرنين من الزمان)، ويذكر ـ ول ديورانت أنها قد اتخذت هذه الصورة الحاضرة حوالى عام ٣٠٠ ق.م (راجع قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٣٦٨ د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ صـ١٦٥).

(٣) عصام الدين حفنى ناصف: محنة التوراة على أيدى اليهود صـ٦٧.

قاموس الكتاب المقدس "وليس فى الأسفار ذاتها آية واحدة تؤكد أن موسى هو كاتبها كلها"[١].

وإذا ما وجدنا فيها خبرًا يفيد ذلك فإنه ينسحب إلى تأليف عبارات بعينها[٢] فهى قاصرة عليها ولا تعنى التوراة كلها، وحتى هذه العبارات التى قد يفهم منها أنها لموسى تشير فى الواقع إلى أن المؤلف قد يشير على أنها لموسى ولا تفيد أن موسى هو الذى كتب هذه التوراة[٣].

وما نجده فى العهد الجديد بخصوص التوراة أو الشريعة أو الناموس لا يختلف كثيراً عما جاءنا فى العهد القديم أعنى لا يقوم دليلًا على صحة نسبة تأليف هذه التوراة إلى موسى[٤].

ولذلك فقد هجر ـ كما يقول موريس بوكاى ـ فرض نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى تمامًا والكل يتفق على تلك النقطة[٥].

ولم يبق أى من العلماء التوراتيين من يقبل بنظرية تأليف موسى لهذه الأسفار[٦].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ٣٤٨.

(٢) مثلاً: كتاب العهد (خروج ٢٤: ٧٢٤) و"عبادات العهد" (خروج ٣٤: ٢٧-٢٨) والتقرير الخاص بحرب العمالقة (خروج ١٧: ٤) (ووصف المعسكر) عدد ٣٣: ٢) وشريعة التثنية) تثنية ٣١.

(٣) د/ فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية صـ ٤١.

(٤) انجيل لوقا ٢: ٢٢/ ٤٤: ٤٤ انجيل يوحنا ٧: ٢٣ د/ فؤاد حسنين: المرجع السابق صـ٤١.

(٥) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة صـ١٣.

(٦) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد صـ١٣.

ويكفى هنا أن أنقل ما ورد فى مقدمة الطبعة الكاثوليكية للعهد العتيق عن أسفار الشريعة الخمسة "لقد كان اليهود، أقله فى بدء التاريخ المسيحى يسندون إلى موسى تأليف هذه المجموعة الواسعة وقد جاراهم المسيح ورسله ـ فى نظرهم ـ فى هذا الاصطلاح والواقع أن خلاصة البانتاتيك أى جوهر التقاليد المدونة فيه ونواة التشريع تتصل دون ريب بالزمان الذى فيه بدا إسرائيل كشعب منظم وذلك الزمان تسوده شخصية موسى الكبيرة فهو وسيط الوحى الإلهى ومنظم الشعب المختار والمشترع الأول انما مصنفة المهلم لم يحتفظ به وديعة ميتة فى دار المحفوظات بل كان مندمجاً فى حياة الشعب مما يوجب على الشريعة أن تتطابق والحاجات الجديدة.

ولنا أن نتساءل الآن: إذا كان قد تبين لنا أن سيدنا موسى عليه السلام لم يكتب الأسفار الخمسة ولم يقم بتأليفها فمن الذى كتبها أو من هو جامعها؟

لقد ذهب سبينوزا إلى أن الأسفار الخمسة ـ وما بعدها من أسفار: يشوع والقضاة وصموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى ـ إذا نظرنا إلى تسلسلها والى محتواها رأينا بسهولة أن الذى كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروى تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة[1]، ويرى أن طريقة تسلسل هذه الأسفار تكفى وحدها لإثبات أنها تضم رواية لمؤرخ واحد.

فمجموع النصوص والترتيب الذى تتعاقب به الروايات يدل على أن كاتبها مؤرخ واحد له غرض محدد[2].

وورد فى المقدمة أيضا أن كثيراً من علامات التقدم تظهر فى روايات هذا الكتاب وشرائعه مما حمل المفسرين من كاثوليك وغيرهم على التنقيب عن أصل الأسفار الخمسة الأدبى فما من عالم كاثوليكى فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البانتاتيك منذ قصة الخلق إلى قصة موته. كما أنه لا يكفى أن يقال أن موسى أشرف على وضع النص الذى دونه كتبه عديدون "فى غضون اربعين سنة، بل يجب القول مع لجنة الكتاب المقدس البابوية (١٩٤٨) أنه يوجد "ازدياد تدريجى فى الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية، تقدم يظهر أيضا فى الروايات التاريخية" صـ ٣-٤.

(١) يقصد هدمها بواسطة البابليين فى عام ٥٨٦ق.م مع وقوع السبى البابلى.

(٢) فهو يبدأ بقصة النشأة الأولى للأمة العبرية ثم يخبرنا بعد ذلك بالترتيب ما المناسبة وفى أى الأوقات أقام موسى الشرائع وأقام تنبؤاته العديدة للعبرانيين، بعد ذلك يخبرنا كيف استولوا على الأرض الموعودة كما تنبأ لهم موسى (انظر التثنية: ٧ ثم كيف تركوا الشرائع بعد أن استولوا على الأرض (التثنية ٣١: ١٦، وما نتج عن ذلك من مصائب (نفس الإصحاح: ١٧)، وكيف أرادوا بعد ذلك انتخاب ملوك (تثنية ٧: ١٤ كانوا بدورهم يزدهرون أو يتدهورون بمقدار طاعتهم للشرائع أو تركهم لها (تثنية: ٢٨: ٣٣)، والآية الأخيرة حتى انهيار الدولة الذى وقع كما تنبأ موسى به.
أما ما عدا ذلك مما لا يمكن استخدامه لتأييد الشريعة، فإن الراوى أما يتجاهله تماما وأما يحيل القارئ إلى مؤرخين آخرين. فهذه الأسفار إذن تستلهم كلها فكراً واحدا وترمى إلى غاية واحدة هى تعليم الشريعة التى أملاها موسى والبرهنة بالحوادث على صدقها (رسالة فى اللاهوت صـ ٢٧٦ ـ ٢٧٧)

ويقول "إذا أخذنا فى اعتبارنا هذه الخصائص الثلاث: وحدة الغرض فى جميع هذه الأسفار، وطريقة رطها فيما بينها وتأليفها بعد الحوادث المروية بقرون عديدة نستنتج كما قلنا من قبل أن مؤرخًا واحدًا هو الذى كتبها"[1].

أما من هو هذا المؤرخ فإن سبينوزا لا يستطيع أن يحدده بوضوح وإنما يرتاب فى أن يكون عزرًا.

ويقوم افتراضه هذا ـ فيما يقول ـ على أسباب وجيهة إلى حد بعيد[2].

ومما قاله فى هذا الشأن "أن سفر التثنية لا يحتوى على شريعة موسى فحسب أو على أكبر جزء منه على أقل تقدير بل يتضمن أيضًا شروحًا كثيرة أضيفت إليه" عزرا والذى ـ يحتوى على عرض الشريعة وشرحها الذى قرأه هؤلاء الرجال الذين يتحدث عنهم جميعًا.

ويذكر أنه قد تبين لنا فى شرحنا لفكر ابن عزرا أن هناك شروحًا كثيرة قد أدخلت فى ثنايا سفر التثنية[3].

ولنضف إلى ذلك مقدمة السفر وكل النصوص التى تتحدث عن موسى بضمير الغائب، ـ بالإضافة إلى عدد كبير من الإضافات والتغيرات فى النص لا نستطيع

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٧٧.

(٢) من هذه الأسباب: انه لما كان المؤرخ يمتد بروايته حتى تحرير يهو يايكين ويضيف أن الراوى ـ كان جالساً طيلة حياته على مائدة الملك فلا يمكن أن يكون الراوى سابقاً على عزرا، ولكن الكتاب لا يذكر أحداً ازدهر فى ذلك الوقت سوى شهادة الكتاب الوحيد بعزرا (عزراً ٧ : ١٠) الذى عكف بحماس بالغ على دراسة شريعة الله وعرضها وأنه كان كاتبًا ملما كل الإلمام بشريعة موسى وإذن فنحن ـ كما يقول سبينوزا ـ لا نجد شخصًا آخر سوى عزراً يمكن الاشتباه فى أن يكون مؤلف هذه الأسفار، ومن ناحية أخرى يشهد سفر عزرا بأن عزرا لم يعكف بحماسة على دراسة شريعة الله فقط بل عكف أيضا على عرضها (٧: ٦).
رسالة فى اللاهوت صـ ٢٧٧-٢٧٨)

(٣) وقد ذكر سبينوزا أمثلة أخرى تبرهن على إدخال شروح كثيرة على سفر التثنية (راجع صـ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

التعرف عليها، وهى إضافات أدخلت دون شك حتى يسهل على الناس فى عصره إدراك الأمور.

ويقول: "والحق أنه لو كان لدينا سفر موسى لوجدنا فيما أعتقد اختلافات كبيرة سواء فى التعبير عن الوصايا أم فى ترتيبها والبراهين عليها"[1].

لذلك فإن سبينوزا يعتقد أن عزرا هو الذى أجرى كل هذه التغييرات هنا وهناك لأنه شرح شريعة الله لمعاصريه.

وبالتالى يكون سفر التثنية هو سفر توراة الله كما شرحه عزرا وعرضه، وفى رأى سبينوزا ـ أن سفر التثنية هو أول سفر من الأسفار الخمسة التى كتبها عزرا[2].

ويعتقد سبينوزا أن عزرا بعد أن أكمل سفر التثنية وعلم الشرائع للشعب شرع فى رواية تاريخ الأمة العبرية كله منذ خلق العالم حتى التدمير الأعظم للمدينة، ثم أدخل فى هذا التاريخ سفر التثنية فى موضعه[3].

ويرى ريتشارد سيمون أن العناصر التى تتكون فيها الأسفار الخمسة بالغة القدم وان بعضها يرجع لموسى نفسه الذى سن اغلب القوانين، وان بعضها لأصحاب حوليات سجلوا بها الأحداث المعاصرة على التتابع، وليست "البنتاتوك"

---

(١) يقول سبينوزا "والواقع اننى عندما أقارن ـ الوصايا العشر وحدها فى التثنية بالوصايا العشر فى الخروج (وفيه تروى قصتها صراحة) أجد اختلافات من جميع النواحى (راجع تفاصيل ذلك: رسالة فى اللاهوت صـ ٢٧٩-٢٨١).

(٢) ويقوم افتراضه ـ فيما يقول ـ على أساس أن هذا السفر يحتوى على قوانين الأمة التى يحتاج إليها الشعب خاصة، وكذلك لأن هذا ـ السفر يحتوى على قوانين الأمة التى يحتاج إليها الشعب خاصة، وكذلك لأن هذا ـ السفر لا يرتبط بسابقة كما هى الحال فى الأسفار الأخرى جميعًا، بل يبدأ فجأة: هذه هى أقوال موسى.. الخ (رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٨١).

(٣) المصدر السابق صـ ٢٨١.

ويذكر سبينوزا أنه ربما كان سبب تسمية الأسفار الخمسة الأولى باسم موسى هو أنها تدور أساسا حول حياته، فأخذت اسم الشخصية الرئيسية، ولهذا السبب نفسه سميت الأسفار التالية بأسماء اصحابها (يشوع، القضاة، راعوث) الخ.

(المصدر السابق صـ ٢٨١)

فى صورتها الحالية سوى ـ تجميع متأخر لوثائق متباينة ثم بعد العودة من السبى البابلى على يد عزرًا المكمل الحقيقى لأعمال موسى وهو ـ بمعنى آخر ـ موسى ثان"[1].

وإذا كان الكتاب الغربيون بما فيهم سبينورا اليهودى قد رجحوا أن عزرًا هو الذى كتب التوراة أو قام بتأليفها من المصادر المختلفة، فإن الإمام ابن حزم كان سباقا فى ذلك إذ انه عرض لحال التوراة عند بنى إسرائيل من بعد موت موسى إلى رجوعهم إلى بيت المقدس حتى كتبها لهم وأملاها عليهم من حفظه عزرا الوراق الهاروني[2].

وينبغى أن لا يفوتنا فى هذا الشأن ما ذكره الحبر السابق صموئيل بن يهوذا (ت ٥٧٠هـ)[3] ، من أن علماء وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التى بأيديهم لا يعتقد أحد منهم أنها المنزلة على موسى البته وأن موسى صان التوراة عن بنى إسرائيل ولم يبثها فيهم.

---

(١) نقلا عن د/ نجيب ميخائيل/ مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ سورية صـ ١٩٠-١٩١ ويرى فاتر أن جميع الأسفار الخمسة تراث بدائى من جميع رجل واحد جهد فى ترتيبها ترتيباً زمنيا وأنه بدأها بالتكوين وانتهى بالتثنية ويرجح أن جانبا كبيراً من هذه المادة كان تحت يدى موسى، ولكنه لم يصنع هذا التراث بل أن ذلك من عمل جيل بعيد عن حوالى عصر السبى البابلى، وأن السامريين لم يعرفوا الأسفار الخمسة إلا بعد دمار مملكة يهوذا بقليل وربما خلال السبى وأن ترتيبها تم من الحقب التالية مباشرة نقلا عن المصدر السابق صـ ١٩٢-١٩٣.

(٢) ويذكر أن ذلك بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم وأنهم مقرون أيضا انه قد وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه وأنه يم يكتبها لهم ويصلحها إلا بعد أربعين عاما من رجوعهم إلى بيت المقدس، ولم يكن فيهم حينئذ نبى أصلاً ولا القبة ولا التابوت وأنه منذ ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت وظهرت ظهوراً ضعيفاً.

(راجع الفصل جـ ١ صـ ١٨٧-١٩٧)

(٣) الحبر صموائيل بن يهوذا بن آبوان كان يهوديا ثم اهتدى إلى الإسلام وسمى بالإمام المهتدى: السمؤال ابن يحى المغربى، وألف كتاباً سماه: افحام اليهود وقام بتقديمه وتحقيقه والتعليق عليه: د/ محمد عبد الله الشرقاوى ـ نشر دار الهداية بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوى أولاد هارون[1]، وأن هؤلاء الأئمة الهارونيين الذين كانوا يعرفون التوارة ويحفظون أكثرها، قتلهم بختنصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس، ولم يكن حفظ التوراة فرضا ولا سنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة.

فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التى يحفظها الكهنة، ما لفق منه هذه التوراة التى بأيديهم الآن.

وينتهى إلى أن هذه التوراة التى بأيدى اليهود ـ على الحقيقة ـ (كتاب عزرا) وليس كتاب الله[2].

هذا وقد استدل القرافى (ت ٦٨٤هـ) على تبديل التوراة بواسطة عزرا بنفس كلام السموأل ولعله يكون قد نقله بنصه[3].

وهكذا وجدنا أن جمهور العلماء والباحثين من القدماء والمحدثين يرجحون أن عزرا هو الذى قام بكتابة الأسفار الخمسة وتلفيقها وتجميعها من المصادر المختلفة والوثائق المتباينة.

لكنه لابد من الإشارة إلى أمرين: الأمر الأول أن عزرا لم يكن وحده، وإنما كان معه طائفة من الكهنة يعملون تحت يده وهو يقوم بالإشراف عليهم والإرشاد لهم.

---

(١) ونستدل على ذلك بقول التوراة "وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة بنى ليوي" وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامها لأن الإمامة وخدمة القرابين وبيت المقدس ـ كانت موقوفة عليهم، ولم يبذل موسى من التوراة لبنى إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها "هاأزنيو" فان هذه السورة هى التى علمها موسى بنى إسرائيل وقال الرب لموسى ـ وتكون لى هذه السورة شاهدًا على بنى إسرائيل" وقال أيضًا "لان هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم" يعنى أن هذه السورة مشتملة على ذم طباعهم وأنهم سيخالفون شرائع التوراة وان السخط يأتيهم بعد ذلك، ويدل على أن الله تعالى علم أن غيرها من السور تنسى (افحام اليهود صـ ١٣٥-١٣٨).

(٢) افحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبى "صلى الله عليه وسلم" صـ ٣٨-٤٠.

(٣) راجع كتابه: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة صـ ٢٣٧ ـ ٢٣٩. تقديم وتحقيق وعليق د/ بكر زكى عوض سلسلة مقارنة أديان (١) كلية أصول الدين القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧-١٩٨٦م.

الأمر الثانى: أن الأسفار الخمسة فى صورتها الحالية قد اعتراها بعض الإضافات والتنقيحات بعد عزرا وأن هناك من جاء بعده وقام بإتمام وإكمال ما كان عزرا قد اعتزم عليه لكن الأجل قد وافاه كما يرجح سبينوزا.

ولذلك فإن العلماء كما سبق يرجحون أن الأسفار الخمسة فى صورتها الحالية ترجع إلى عصر الاسكندر الأكبر الذى توفى عام ٣٢٣ ق. م ويذكر ول ديورانت أنها تعود إلى عام ٣٠٠ ق. م.

وبناء على ذلك فإن عزرا يعتبر هو أول من قام بتحريف وتبديل توراة موسى عليه السلام.

ويذكر الدكتور إسماعيل الفاروقى أن عدم إتقان عملية التحريف من قبل عزرا هو الذى جعل العلماء يكتشفونه"[١].

ويقول الدكتور سامى سعيد الأحمد "وعندما ذكر القرآن الكريم قبل زهاء أربعة عشر قرنا أن اليهود قد حرفوا التوراة الأولى، نجد الآن وبعد كل ما سمعنا به ونلمسه من البحث الدقيق والتقدم العلمى الكبير الذى سهل على علماء الآثار ثم المؤرخين عملهم أن هذا الكلام هو عين الحقيقة[٢].

فهذا (أبا هليل سلفر) العالم اليهودى يقول بالحرف (حتى الوصايا العشر التى يكاد يجمع العلماء أنها الشئ الوحيد المتبقى من التوراة الأصلية، لم تكن بكمالها وعلى هيئتها الحالية كالتى أتى بها موسى)[٣].

---

(١) راجع تفاصيل ذلك فى كتابه أصول الصهونية فى الدين اليهودى صـ ٢، ٩٥، ٩٨.

(٢) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية صـ ٨.

(٣) المصدر السابق صـ ٨.

ولمعرفة مزيد من التفاصيل عن أقوال العلماء والباحثين حول الوصايا العشر وما اعتراها من إضافات وتغييرات راجع (سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٩-٢٨١ جرهاردوس فوس: علم اللاهوت الكتابى صـ ٢٠٧٤-٢١٤.

د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية صـ ٢٦

فقد أثبت العلماء أن الوصايا العشر بصورتها الحالية لا يمكن أن ترجع إلى عهد موسى وإنما هى تمثل أكثر من عقلية.

وهكذا قد تبين لنا بوضوح تام أن التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام قد فقدت وضيعها اليهود ثم قام عزرا الكاهن ومجموعة معه من الكهنة بتجميع وتلفيق الأسفار الخمسة من المصادر المختلفة والوثائق المتباينة، وزعم نسبتها إلى موسى عليه السلام وهو زعم باطل حيث أن سندنا منقطع تماما به، وأما بعض الفقرات المبعثرة التى عثر عليها عزرا ومن معه فقد حشروها داخل الأسفار الخمسة، فالتبس الحق بالباطل واختلط الوحى بالهوى حيث قاموا بتحريفها وتغييرها حتى انتفت عن الأسفار الخمسة كلية صفة القدسية وزالت عنها الصبغة السماوية.

لقد كان فقدان اليهود للتوراة الأصلية وتحريفهم ما عثروا عليه فيها من العوامل التى ساعدت على تأثرهم بالأديان الوثنية حيث لم يكن لديهم وحى صحيح ثابت يحول دون تسرب الوثنيات فى ثنايا عقائدهم وعباداتهم.

وبعد أن تحدثت عن الجزء الأول والأهم من الأجزاء أو الأقسام الرئيسية للعهد القديم وهو الأسفار الخمس، وتبين لنا بطلان نسبتها إلى موسى عليه السلام، ينبغى أن ـ نتحدث عن بقية الأسفار أو عن القسمين الآخرين وهما: أسفار الأنبياء، وأسفار الكتابات:

ثانيا: أسفار الأنبياء:

١ـ سفر يشوع:

يتصل سفر يشوع اتصالا وثيقا بالأسفار الخمسة، ويكون فى الواقع معها وحدة مؤتلفة مما حدا بالكثيرين من العلماء إلى اعتبار أسفار التوراة ستة (هكساتوس) لا خمسة (بنتاتوس).

ففى هذا السفر نجد سائر المصادر المختلفة ـ والتى أشرت إليها آنفا ـ التى تعتمد عليها التوراة وقد مزجت جميعها فى هذا السفر مزجا يجعل من العسير على الدارس تحليله إلى عناصره الأولية[1].

---

(١) راجع تفاصيل ذلك: د/ فؤاد حسنين/ التوراة الهيروغليفية صـ ٦٣-٦٤.
د/ حسن حنفى: مقدمة كتاب سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٥.

"يشوع" هو اسم البطل فى السفر وليس كاتبه، ولو أن بعض المصادر اليهودية تدعى انه هو الذى كتبه لأنه يحمل اسمه[١].

وقد برهن سبينوزا على بطلان هذا الادعاء وانتهى إلى أن هذا السفر ليس من وضع يشوع وإنما من وضع شخص آخر وأنه كتبه بعد يشوع بقرون عديدة حيث أن رواياته تمتد إلى الوقائع التى حدثت بعد موته[٢].

أما من هو هذا الشخص فقد اختلف فيه العلماء فقيل فينحاس وقيل العازار وقيل صموئيل وقيل ارميا.

ووقوع هذا الاختلاف الفاحش ـ كما يقول الشيخ رحمت الله الهندى ـ دليل كامل على عدم صحة هذا السفر عندهم، وعلى أن كل قائل منهم يقول بمجرد الظن رجما بالغيب بلحاظ بعض القرائن التى ظهرت له أن مصنفه فلان وهذا الظن هو سند عندهم[٣].

وقد اختلف أيضا فى الزمن الذى كتب فيه: فقيل إنه كتب بعد السبى البابلى ويرجح البعض أنه قد كتب أو على الأقل جمع فى القرن الخامس ق. م بالرغم من وجود بعض النصوص القديمة فيه والتى ترجع إلى القرن التاسع ق. م[٤].

٢ـ سفر القضاة:

أما سفر القضاة فيقول عنه سبينوزا "لا أظن أن شخصًا سليم العقل يعتقد أن القضاة أنفسهم قد كتبوه لأن نهاية القصة كلها فى الإصحاح الحادى والعشرين، تبين بوضوح أن مؤرخا واحدًا هو الذى كتبه كله"[٥].

---

(١) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٩٢.

(٢) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٥-٢٧٦ راجع فيهما. تفاصيل البرهان الذى ـ استدل به.

(٣) إظهار الحق صـ ٩١ راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٧٠.

(٤) راجع اظهار الحق صـ ٩١ التوراة الهيروغليفية صـ ٦٤ د/ مهران جـ ٩ صـ ٣٥.
ولمعرفة مزيد من التفصيلات عن سفر يشوع راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٧٠ ،١٠٨٠ ل.
توماس هولد كروفت: الأسفار التاريخية صـ٧ وما بعدها ترجمة أدبية شكرى يعقوب عن سلسلة الدراسات الكتابية للكنيسة الرسولية ١٩٨٥م.

(٥) قضاة ٢١: ٣٥. رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٦.

أما من هو هذا المؤرخ فتذهب تقاليد أحبار اليهود إلى أنه صموئيل، ولكنهم قالوا ذلك رجما بالغيب، ودون أن يقدموا أى دليل يثبت ذلك[١].

وهناك من قال إنه حزقيال، وقيل عزرا، وقيل أرميا.

ولو كان عندهم سند ـ كما يقول الشيخ رحمت الله ـ ما وقعوا فى هذا الاختلاف الفاحش[٢]، والواقع ـ كما يقول حبيب سعيد ـ أننا لا نقدر أن نجزم بقول فاصل عن اسم أو أسماء الكتّاب الذين جمعوا وقائع هذا السفر، ولا التاريخ الذى ظهر فيه. وإن كان الباحثون يرجحون أن جمعه قد تم بين سنة ٦٠٠، ٤٠٠ ق. م[٣].

٣ـ سفرا صموئيل:

ينسب التلمود كتابة هذين السفرين إلى صموئيل النبي[٤] لكنَّ العلماء والمؤرخين قد أثبتوا خطأ هذه النسبة.

فذكر سبينوزا أنه قد كتب بعد صموئيل بقرون عديدة[٥].

وعرض "ايشهورن" لنقدهما ضمن أسفار العهد القديم فانتهى إلى أنهما يرجعان إلى مصادر كثيرة متعددة متفاوتة الموضوع والزمن، ولا وحدة تجمع بين محتوياتهما حتى يستطيع الباحث أن يقرر أنها مؤلفة بعينه[٦].

---

(١) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٩٣ـ ٩٤ ول توميا‌س كروفت: الأسفار التاريخية صـ ٥٠ رحمت الله الهندى: إظهار الحق صـ ٩٣.

(٢) إظهار الحق صـ ٩٣.

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٩٤ راجع أيضا د/ ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٢٩٠ موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة صـ ٣٣-٣٤ ويذكر محمد عزة دروزه أن سفر القضاة قد اختلطت فيه الحقائق بالخيال والمبالغة والتناقض (تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ ١٢٢).

(٤) التوراة الهيروغليفية صـ ٦٨، ٧٨.

(٥) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٦، وأما اطلاق اسم صموئيل عليهما فيرجع إلى اهتمامها بشخصيته (الهيروغليفية صـ ٦٨).

(٦) راجع تفاصيل ذلك: التوراة الهيروغليفية صـ ٦٨، ٦٩، ٧٧، ٧٨، حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٩٦-٩٧، د/ حسن حنفى: مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ ٢٦.

ويذهب الأب ديلى إلى أن مؤلفهما قد استخدم عدة وثائق بعضها معاصر للحوادث فصنع منها رواية متصلة وأنه عاش ولاشك بعد عام ٦٢١ ق. م[١].

ويرجح البعض أن وضعهما قد تم فى الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والسادس ـ ق. م[٢].

٤ـ سفر الملوك:

ترجع التقاليد اليهودية كتابة هذين السفرين إلى أرميا، ولكنه زعم لا يستند إلى دليل وخاصة أن السفر الثانى تمتد حوداثه إلى ما بعد عصر أرميا فلا يعقل أن يكون هو كاتبه[٣].

والصحيح كما ذكر العلماء والمؤرخون أن السفرين عبارة عن مجموعة من المدونات التاريخية جمعت ونسقت معا، واستقى كاتبهما مواده من سجلات البلاط وسجلات الهيكل وسير الأنبياء، واعتمد على كثير من الروايات الشفهية والحكايات الشعبية[٤].

ويذهب العلماء إلى أن السفرين قد تم تأليفهما مرتين وبصيغتين مختلفتين فقد صيغ فى المرة الأولى أواخر القرن السابع أو ما بين ٦٢٢ ـ ٦٠٩ ق. م أى ما قبل السبى.

أما الصيغة الثانية فقد وضعت فى السبى حيث جاء مؤلف ثان وأعاد تأليفه من جديد، ويستدل على ذلك بعبارات كثيرة جاءت فى السفرين[٥].

---

(١) تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٠٦.

(٢) التوراة الهيروغليفية صـ ٧٨.

(٣) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٩٩.

(٤) راجع الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٠٦.
سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٧٦-٢٧٧
كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ ١٠٩-١١٠.
حبيب سعيد: المدخل صـ ١٠١-١٠٢
د: حسن حنفى: مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ ٢٦.

(٥) ملوك أول ٨: ٤٤-٥١/ ٩: ١-٩، ملوك ثان ١٧: ١٩-٢٠/ ٢١: ١-١٥/ ٢٢: ١٦-١٨.

ويرجح أن هذا التأليف قد تم بين عامى ٥٦١-٥٣٨ أى حوالى عام ٥٥٠ ق. م[١] ويذكر موريس بوكاى أن أسفار صموئيل والملوك قد شك العلماء فى قيمتها التاريخية حيث تختلط الأحداث بالأساطير[٢].

هذا وقد سبق أن ذكرت أن سبينوزا قد رجح أن الأسفار الخمسة ومن بعدها أسفار: يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى قد كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروى تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة وأن هذا المؤرخ هو عزرا[٣].

ثانيا: الأنبياء المتأخرون:

١ـ الأنبياء الكبار: اشعيا، ارميل، حزقيال

سفر اشيعا:

اختلفت آراء الشراح والباحثين حول هذا السفر اختلافا لا نظير له فى أى سفر آخر.

وقد أجمع النقاد على أن اشعيا كتب جزءا من هذا السفر، على أن بعضهم قد ذهب إلى أنه كتب السفر كله، وذهب البعض الآخر إلى أن السفر كتبه اثنان، وقال آخرون أن الكُتَّابَ ثلاثة، ولعل الرأى الأخير هو الأرجح.

هذا وقد أطلق على هؤلاء الكتاب الثلاثة: أشعيا الأول (من الإصحاح ١-الإصحاح ٣٩) وتنسب إلى اشعيا النبى اشعيا الثانى (٤٠-٥٥) اشعيا الثالث (٥٦-٦٦) واتفق العلماء على أن السفر قد جمع من مصادر متعددة ووثائق متباينة[٤].

---

(١) راجع الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ٢٠٦.
التوراة الهيروغليفية صـ ٨١. ـ كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ١١٠. المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١٠٢.

(٢) دراسة الكتب المقدسة صـ ٣٤.

(٣) راعوث حسب الترتيب الذى اتبعه يأتى فى القسم الثالث (الكتابات).

(٤) راجع ذلك بالتفصيل: تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٦٠، ارنولد توينبى: تاريخ ـ البشرية جـ١ صـ ٢٢٩ ترجمة د/ نقولا زيادة الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٥، ـ التوراة الهيروغليفية صـ ٨٧-٩٤، المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٠٢ مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ٣٠-٣١.

ولذلك فإنه من الصعب أن نجزم بقول فاصل عن تاريخ كتابته وان هناك من يرجح أنه كتب بعد السبى وقبل مجئ عزرا إلى اورشليم أى ما بين ٥٠٠-٤٠٠ ق. م[١].

وقيل أن أشعيا الأول يرجع إلى القرن الرابع والثالث ق. م واشعيا الثانى يرجع إلى حوالى ٥٤٠ ق.م والثالث يرجع إلى القرن الخامس ق. م[٢].

سفر ارميا:

يذهب العلماء إلى أن السفر كما هو بأيدينا اليوم، وبشهادة كاتبه ليس من وضع النبى ارميا، ولا من تأليفه، بل دبجه وصاغه، صديقه وكاتبه باروخ بن نيريا[٣].

وهذا السفر عبارة عن مجموعة مأخوذة من كتب أحرى متعددة، ويكون خليطا من نصوص بلا ترتيب ودون مراعاة للأزمنة.

وبعض الاصحاحات مستمد من سفر باروخ، وذلك يدل على أنه لم يكن هناك فصل حاد بين أسفار الأنبياء، كما يدل على وجود مصادر أخرى تشتمل روايات توضع فى هذا السفر أو فى ذاك، وهو ما يفسر تكرار النصوص فى الأسفار المختلفة[٤]

ونصوص السفر ذاته تحدثنا عن كيفية جمع أجزائه المختلفة، والأسباب والعوامل التى لعبت دورها فى صياغته، والزمن الذى جمعت فيه هذه الأجزاء المتناثرة، وماذا حل ببعضها، وأكبر الظن أن باروخا هذا أو مؤلفا غيره فيما بعد، هو الذى أضاف الفصول التاريخية عن حياة النبى وعن الحوادث السياسية التى جرت فى ذلك العصر[٥].

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١١١.

(٢) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى صـ٥١.

(٣) حبيب سعيد/ المدخل إلى الكتاب المقدس صـ١١٢ راجع التوراة الهيروغليفية صـ٩٩.

(٤) سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٣١، ٣١١-١١٣.

(٥) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١١٢، ولمعرفة مزيد من التفصيلات راجع المصدر السابق صـ ١١١-١١٥ تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٩٩ قاموس الكتاب ـ المقدس صـ ٥٤-٥٥.

سفر حزقيال:

يبدو لنا من قراءة سفر حزقيال ـ كما يقول حبيب سعيد ـ أن السفر كله من صنع النبى حزقيال.

على أن الرأس السائد بين الخبراء وعلماء الكتاب أن بعض أجزاء هذا السفر كتبتها أيد فى تاريخ متأخر، وأن حزقيال لم يضع السفر كله فى وضعه الحالى الذى بين أيدينا، وفى بعض المواضع القليلة نرانا أمام أساليب مختلفة من الكتابة مما يثبت أن أكثر من كاتب واحد اشترك فى صياغته[1].

هذا ويجمع النقاد الآن تقريبا على أن السفر قد دون فى مكانين مختلفين وعلى فترتين مختلفتين، وأنه كتب على مراحل متفاوتة ثلاث: فترة المقطوعات المنفصلة، ثم فترة المجموعات المتصلة ثم فترة السفر.

وأما تاريخ السفر فيصح القول أن أكثر أجزائه يمكن وضعها تاريخيا بين سنة ٥٩٣ و٥٧٢ ق. م[2].

ب ـ الأنبياء الصغار (الاثنا عشر)

١ـ سفر هوشع:

يذكر العلماء أن نص سفر هوشع مضطرب نظرًا لتعرضه لكثير من الحذف والإضافة، حيث أنه قد كتب بعد موت هوشع بمدة طويلة وكان عصر رسالته يمتد ما بين ٧٨٥٠-٧٢٥ ق.م ومن المرجح أن تدوين السفر كما وصلنا قد تم قبل القرن السادس ق. م[3].

---

(١) حبيب سعيد: المدخل: صـ ١١٦، ويعتبر هولشر) ١٩٢٤، أن سدس السفر وحده صحيحة من وضع حزقيال وهو الجزء الشعرى فيه فقط، والباقى أى الجزء النثرى من وضع شخص آخر، ويرى أرون (١٩٤٣) أن مؤلف السفر اثنان: فلسطينى وآخر من المنفى، فى حين أن هربترس (١٩٣٢) وهرفورد (١٩٣٥) يريان انه قد كتب فى فلسطين قبل سقوط اورشليم، ثم حسنة كاتب آخر فى المنفى حوالى القرن السادس ق.م (راجع رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣٢، ٣١٣-٣٣٤).

(٢) رسالة فى اللاهوت والسياسة ٣٢ المدخل صـ ١١٧ الهيروغليفية صـ١٠٣ ولمزيد من التفاصيل راجع المدخل صـ ١١٦-١٢٠ قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٠١-٣٠٥.

(٣) راجع رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣٢، ٣١٤، ٣١٥ الهيرغليفية صـ ١٠٧، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع المدخل صـ١٢١-١٢٣ وتفسير هوشع تأليف متى هنرى تعريب القمص داود.

٢ـ سفر يوئيل:

من قراءة السفر يتبين لنا أنه قد خلا من أى تاريخ إلا أنه يمكن الاسترشاد بالأدلة التاريخية على أنه قد كتب بعد السبى ويرجح أن يكون فى نهاية القرن الخامس ق. م[١].

ويذهب كثير من الباحثين إلى أن السفر ليس من تأليف شخص واحد وأن الإصحاح الثالث على وجه الخصوص لا يمكن أن يكون "يوئيل" هو كاتبه، ومن ثم فالوحدة مفقودة فى السفر[٢].

٣ـ سفر عاموس:

ينسب هذا السفر إلى النبى عاموس الذى بدأت فترة نبؤته ٧٦٠ ق. م[٣] (فى القرن الثامن ق. م) لكن من المرجح أن هذا السفر لم يصلنا فى لغة المؤلف ولا فى أسلوبه بل فى لغة أخرى وأسلوب آخر[٤].

ومن ثم فإن هناك من يرى أنه قد كتب بعد السبى البابلى أى فى القرن السادس ق. م[٥].

٤ـ سفر عوبديا:

ينسب هذا السفر إلى نبى يسمى (عوبديا) ولا يعرف عنه شئ سوى أن اسمه يعنى (عبد يهوه) وقد يطلق على أى شخص.

ولذلك فإنه لا يعرف أيضا تاريخ كتابة السفر، وإن كان هناك من يخمن أنه قد كتب فى القرنين السادس أو الخامس ق. م[٦].

---

(١) راجع المدخل إلى الكتاب المقدس ١٢٣-١٢٤ الهيروغليفية صـ١٠٩ راجع أيضا قاموس الكتاب المقدس صـ ١١٠٣ د/ وزة تاريخ بنى إسرائيل صـ٢٦٨.

(٢) د/ محمد بيومى مهران جـ ٩ صـ ٥٠ نقلا عن مصادر أجنبية.

(٣) التوراة الهيروغليفية صـ١٠٩ المدخل صـ ١٢٦-١٢٧.

(٤) الهيروغليفية صـ ١١٢.

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٢٦، د/ محمد بيومى مهران جـ ٩ صـ ٥١، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع عاموس عبد المسيح: دراسة فى عاموس.

(٦) راجع المدخل صـ ١٢٧ قاموس صـ ٦٤٥، تاريخ شعب العهد القديم صـ ٣٣٩-٣٤٣ـ ٣٢٨، ٣٢٩، الهيروغليفية صـ ١١٢-١١٤.

٥ـ سفر يونان:

يؤرخ سفر يونان عادة بحوالى عام ٣٥٠ ق. م ولا يعرف على وجه التحقيق من الذى كتبه، وليس هناك ما يثبت أن يونان والذى كانت نبؤته فى نينوى فى الفترة (٧٦٥ ـ ٧٥٩ ق.م) هو كاتب السفر[١].

ومن المرجح أن مؤلفه هو أحد قصاصى اليهود وكان ذلك فى القرن الرابع ق.م[٢].

٦ـ سفر ميخا:

ينسب هذا السفر إلى النبى (ميخا) الذى تنبأ من سنة ٧٥١-٦٩٣ ق.م[٣] لكن ينقصه الترتيب ويعتريه بعض التناقض، ولعل مصدر هذا بعض الإضافات التى أضيفت إليه فيما بعد.

وفى ثنايا السفر نجد بعض النبؤات التى ترجع إلى ما قبل عصر السبى أو بعده، ولا يمكن تأريخها تماما، أمَّا خاتمة السفر فقد ترجع إلى عصر السبى أو بعده[٤].

٧ ـ سفر ناحوم:

ينسب هذا السفر إلى نبى اسمه (ناحوم) ولا يعرف شئ عن حياة هذا النبي[٥] ولا عن العصر الذى عاش فيه[٦].

وإن البعض يرجح أن هذا السفر قد ظهر حوالى ٦١٢ ق.م[٧].

---

(١) راجع المدخل إلى الكتاب المقدس، التوراة الهيروغليفية صـ ١١٤-١١٥ د/ محمد مهران جـ ٩ صـ ٥٣.

(٢) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية صـ ١١٦.

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ ٩٣٦.

(٤) التوراة الهيروغليفية صـ ١١٧-١١٨، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع قاموس صـ ٢٩٦-٢٣٧، المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٢٩-١٣١.

(٥) الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ ٣٠١.

(٦) التوراة الهيروغيليفية صـ ١١٩.

(٧) المصدر السابق صـ ١٢٠ قاموس صـ ٩٤٤ المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٣١-١٣٢.

٨ـ سفر حبقوق:

ينسب هذا السفر إلى نبى اسمه حبقوق، ولا يمكن تعيين التاريخ الذى ظهر فيه بالضبط، على أن كثرة الشراح يذهبون إلى أنه قد كتب هذا السفر فى الفترة ما بين (٦٠٩ ـ ٥٩٨ ق.م[١].

وهناك من يحدد ذلك بعام ٦١٥ ق.م[٢].

وذلك فيما عدا الإصحاح الثالث منه الذى يجب أن ينسب إلى مؤلف آخر من عصر ما بعد السبى البابلى ربما فى القرن الرابع أو الثالث ق.م[٣].

٩ـ سفر صفنيا:

ينسب هذا السفر إلى صفنيا الذى عاش أوائل القرن السابع ق. م وتنبأ حوالى عام ٦٣٠ أو ٦٣٥ ق.م[٤].

إلا أن الباحثين يشكون فى هذه النسبة وذلك لعدم توافق عباراته واضطرابها مما يدل على أنها ليست لمؤلف واحد بعينه[٥].

حيث أن السفر كما وصلنا فى ترتيبه الحالى يدلنا دلالة واضحة على أن يدا متأخرة امتدت إليه فقامت بترتيبه[٦].

١٠ ـ سفر حجى:

ينسب هذا السفر إلى النبى حجى الذى لا نعرف شيئًا عن تاريخه، إلا أن تقاليد

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٣٢.

(٢) التوراة الهيروغليفية صـ ١٢١.

(٣) د/ محمد بيومى مهران ناقلا عن مصدر اجنبى جـ ٩ صـ ٥٩، ولمزيد من التفاصيل راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٨٧-٢٨٨.

(٤) تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٧٥ موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة صـ ٣٥، الهيروغليفية صـ ١٢٣.

(٥) التوراة الهيروغليفية صـ ١٢٣.

(٦) المصدر السابق صـ ١٢٢، ولمزيد من التفاصيل راجع المدخل صـ ١٣٤ ـ ١٣٥، قاموس صـ ٥٤٤-٤٤٥.

اليهود تقول أنه ولد فى بابل، وعاد من السبى فى فوج زر بابل فى القرن السادس ق.م[1].

ويعتبر هذا السفر أحد الأسفار الثلاثة (حجى ـ زكريا ـ ملاخى) التى تصور لنا عودة اليهود من السبى البابلي[2].

ويرجح أنه وضع مباشرة بعد عام ٥٢٠ ق.م ويختلف موضوعًا عن تلك الأسفار التى دونت قبل السبى وأحيانا نجد شخصا آخر يروى لنا عبارات حجى فيقدم لها ويعرضها جيدًا[3].

١١ـ سفر زكريا:

ينسب هذا السفر إلى زكريا الذى كان معاصرًا لحجى حسبما يذكر التقليد اليهودي[4]، لكن طريقة إعلاناته وأسلوبه يدلان على أنها ليست من عمله.

ولهذا يرجح علماء الكتاب المحدثون أنها لم تتخذ شكلها الحالى إلا بعد الاسكندر الأكبر (٣٢٣ ق.م)[5].

١٢ـ سفر ملاخى:

ينسب هذا السفر إلى نبى يسمى ملاخى الذى لا يعرف عنه إلا ما هو مدون فى سفره، وقيل أن الاسم "ملاخي" هو لقب لاسم كاتب آخر كعزرا مثلًا[6].

وقد انتهت أبحاث العلماء إلى أن مؤلف هذا السفر مجهول وغير معروف[7].

---

(١) المدخل صـ ١٣٥، قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٩١.

(٢) التوراة الهيروغليفية صـ ١٢٣.

(٣) المصدر السابق صـ ١٢٤.

(٤) قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٤٨.

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٣٨، ولمزيد من التفصيلات راجع التوراة الهيروغليفية صـ ١٢٥-١٢٩، قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٢٨-٤٢٩ المدخل صـ ١٣٦-١٣٨.
وجدير بالذكر أن زكريا هذا غير النبى زكريا عليه السلام الذى تحدث عنه القرآن الكريم.

(٦) قاموس الكتاب المقدس صـ ٦١٣-٦١٤.

(٧) المدخل صـ ١٣٩ الهيروغليفية صـ ١٢٩.

هذا وقد ذكر سبينوزا أن أسفار الأنبياء على وجه العموم رتبت ترتيباً غير الترتيب الذى سار عليه الأنبياء فى أقوالهم أو فى كتاباتهم، وأنها لا تتضمن جميع النبوات بل تحتوى على ما أمكن العثور عليه هنا وهناك.

وينتهى إلى أن هذه الأسفار ليست إلا مجرد شذرات من الأنبياء بالإضافة إلى أن معلوماتها قد أخذت من كتب أخرى[1].

ويذهب كثرة علماء الكتاب فى العصر الحديث إلى أن الأنبياء الذين تحمل الأسفار أسماءهم هم الذين بدأو كتابة أسفارهم، إلا أنهم لا يجزمون بقول فصل فى هذا الشأن، لأن الرسائل انتقل كثير منها بالسماع، بالإضافة إلى أن أتباع الأنبياء ومريديهم كانوا يجمعون أحاديث النبى بعد موته، ولا يرون غضاضة فى أن يعلقوا من عندياتهم على الحوادث الجارية فى يومهم، ليجعلوا كتاباتهم عصرية جذابة للأجيال المقبلة.

وقد يرى بعض أولئك المعلقين أن يدخل فى أحاديث النبى ورسائله أقوالاً لنبى آخر أقل شأنًا، وفى عصور لاحقة قد يتولى مصنف آخر هذه الكتابات بالصقل والتهذيب ويضيف إليها تعليقًا من عنده أو يشرح تاريخ بلاده فى عصر النبى.

وهكذا تنتهى إلينا مجموعة من الرسائل والأحاديث يطلق عليها اسم النبى الأصلى تتألف من كتابات مؤلفين مختلفين فى تواريخ مختلفة، ولذلك يصعب جدًا الجزم بقول فصل فى تعيين الجزء أو الأجزاء التى كتبها النبى ذاته فى أى سفر من أسفار الأنبياء[2].

ثالثاً: الكتابات:

تشتمل الكتابات كما سبق على أحد عشر سفرًا: المزامير، الأمثال، أيوب، نشيد

---

(١) راجع رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣١٠، ٣١١.

(٢) راجع كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ ١١٥.

الأناشيد، راعوث، المراثى، الجامعة، استير، دانيال، عزرا ونحميا، أخبار الأيام الأولى والثانى.

فأما أسفار: المزامير، والأمثال، وأيوب، ونشيد الأناشيد، وراعوث، والجامعة واستير، ودانيال فسأتحدث عنها بالتفصيل فى الباب الثالث[١].

وأما بقية أسفار الكتابات فيمكن الحديث عنها بإيجاز:

سفر المراثى:

لم يذكر فى الكتاب (المقدس) اسم مؤلف هذا السفر غير أن التقليد اليهودى جرى على أن أرميا هو مؤلف هذه المراثى[٢].

لكن هذا الرأى لا يعتمد على حقيقة سواء فى نص المراثى أو موضوعها[٣] ومن ثم فقد رأى كثيرون من العلماء أن أسلوب كتابتها يختلف عن أسلوب أرميا اختلافًا تامًا وأنها تضمنت أفكارًا لا يقرها هذا النبى[٤] وإنما نسبت إليه نظراً لشهرته وقت كتابتها[٥].

والواقع أنها عبارة عن مجموعة من القصائد ليست لمؤلف واحد بل لمؤلفين عديدين وأنها تمثل رأيين مختلفين لمدرستين مختلفتين[٦].

وأما تاريخ تأليفها فيرجح أنه يرجع إلى ما بعد خراب أورشليم على

---

(١) حيث سأبين تأثر بعض نصوصها بالأديان الوثنية.

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٦.

(٣) التوراة الهيروغليفية صـ ٦٨.

(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٨.

(٥) راجع التوراة الهيروغليفية صـ ١٦٩-١٧٠.

(٦) المصدر السابق صـ ١٧٠ د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية صـ ٩٧.
ويرى معظم النقاد المحدثين أن أرميا لم يكتب المراثى فنرى أيسفلت وهالر (١٩٤٠) أن المراثى قد ألفها كتاب عديدون حتى أدولف (١٩٣٩) الذى يؤمن بوحدانية المصدر اضطر إلى الاعتراف بوجود مصدر فرعى آخر للميراث.
د/ حسن حنفى: مقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣١

يد الكلدانيين أعنى عام ٥٨٦ ق.م وقبل العودة من السبى أى عام ٥٣٨ ق. م[١].

سفرا عزرا ونحمياً:

يكون السفران عزرا ونحميا سفرا واحدا كملحق لسفر أخبار الأيام ولم ينفصلا إلا فى وقت متأخر[٢].

وإذا كان هذا السفر ـ أو السفران ـ ينسب إلى كل من عزرا ونحميا فإنه فى وضعه الحالى لم تكتبه يد عزرا ولا يد نحميا وإن تكن بعض أجزائه من صنعهما، فهما قد دونا الحوادث التى وقعت لهما بواسطتهما، واستخدمها ذلك الكاتب الذى نسق السفر وصاغه على الصورة التى بين أيدينا[٣].

أما من هو ذلك الكاتب فيرى سبينوزا أن هناك مؤرخًا واحدًا قد كتب أسفار: عزراً ونحميا واستيرودانيال، وانه استمد معلوماته من سجلات الأحبار ووثائق القضاة والأمراء الذين كانوا يحتفظون فيها بأخبارهم كما يفعل الملوك. ولكن سبينوزا لا يستطيع حتى مجرد التخمين به[٤].

إلا أن الحقيقة التى يجب أن نذكرها ـ كما قال الدكتور فؤاد حسنين ـ أن جميع هذه

---

(١) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية صـ ١٦٩، راجع أيضا قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٦. (ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع القاموس صـ ٥٥-٥٦، المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٥٨، التوراة الهيروغليفية صـ ١٦٨-١٧٠.

(٢) سفر عزرا ونحميا كانا فى الأصل سفرا واحدا يطلق عليه سفر عزرا لكن ما كان ينتهى عصر (هيرونيموس) ويأتى (أورنجنيس) حتى قسم السفر إلى سفرين: عزرًا الأول وعزرا ـ الثانى أو نحميا، وقد استخدمت الترجمة اللاتينية المعروفة باسم الفولجاتا والتى وضعها هيرونيموس حوالى أوائل القرن الخامس الميلادى هذه القسمة وحوالى ١٤٤٨ أخذت ـ المخطوطات العبرية بهذا الرأى، وبذلك فإن سفر (عزرا ونحميا) لا يأتى فى موضعه الصحيح سواء من الناحية الموضوعية أو الزمنية وذلك لأنه كما نتبين من خاتمة سفر أخبار ـ الأيام ومن مطلع سفر عزراً هو امتداد لأخبار الأيام. (راجع التوراة الهيروغليفية صـ ١٨١ د/ حسن حنفى: مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ ٣٤).

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٧٠.

(٤) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٣٤-٣٥/ ٣١٦-٣١٩.

المصادر التى اعتمد عليه هذا المؤرخ لا تخلو من الأخطاء والتضارب[1] ويرجح أن وضع السفر فى صورته الأخيرة يرجع إلى منتصف القرن الرابع ق.م أو بعده[2].

ويقول علماء الكتاب المقدس إن السفر لم يكمل إلا بعد زمن الاسكندر الأكبر (توفى عام ٣٢٣ ق.م) ولذلك يكاد يكون مؤكدًا أن السفر انتهى إلينا فى وضعه الحالى حوالى سنة ٣٠٠ ق.م[3].

سفر الأخبار الأيام الأول والثانى:

يذهب علماء التقليد اليهودى إلى أن عزرا هو الذى قام بتأليف وكتابة سفرى أخبار الأيام الأول والثاني[4] اللذين كانا فى الأصل سفرًا واحدًا مثل سفرى صموئيل والملوك.

لكن سبينوزا يذكر أن سفر أخبار الأيام قد كتب بعد موت عزرا بمدة طويلة، وربما بعد إعادة بناء المعبد فى عصر المكابيين، وأن المؤلفين الحقيقيين لهذا السفر لا يعلم عنهم شيء يقينى ولا عن سلطتهم وفائدتهم وعقيدتهم[5].

وإن كان الدكتور فؤاد حسنين على قد لاحظ أن فى سفر الأخبار وحدة تكاد تكون شاملة توحى إلى أنها من وضع مؤلف واحد لكنه لا ينكر أن بعض أجزائه قد تعرضت لتغييرات متأخرة ولعل مؤلفا آخر جاء فيما بعد وأعاد تأليف هذا السفر[6].

---

(١) الهيروغليفية صـ ١٨٧.

(٢) المصدر السابق صـ ١٨٧.

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٧٠-١٧١.

(٤) الأسفار التاريخية صـ ٣٠٥ د/ بحر: اليهودية صـ ٨٣ قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٣٥.

(٥) هذان السفران كانا فى الأصل العبرى سفرا واحدا ولم ينفصلا إلا فى الترجمة السبعينية وانتقل ذلك إلى الترجمات اللاتينية والطبعات العبرية الحديثة.
(راجع تفاصيل ذلك: الهيروغليفية صـ ١٨٩، قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٣٤-٣٣٥ المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٧١، د/ حسن حنفى: مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ٢٩

(٦) التوراة الهيروغليفية صـ ١٩٠.

ويذهب د/ المسلى إلى أن كاتب سفر عزرا ونحميا هو نفسه جامع سفر أخبار الأيام، ومعلوماته التاريخية عن بعض الفترات مبتورة مشوشة ولا يمكن الاعتماد عليه فى روايته للأحداث ـ التى = عاصرها نحميا[١].

وقد استقى كاتب أو كتّاب سفر الأخبار معلوماته من مصادر ووثائق قديمة ومن بعض المأثورات الشفهية أشير إلى بعض منها فى ثنايا السفر[٢] ولكنه لم ينقل منها مجرد نقل، بل كان يغير ويبدل ويعدل ويضيف ليصل إلى هدف معين كمؤرخ كهنوتى يخدم وجهة نظر الكهنة[٣].

أما زمن تأليف سفر الأخبار فيرجح أنهما قد أُلفا فى القرن الرابع ق. م[٤]، ويقول علماء الكتاب إنهما كتبا حوالى سنة ٣٢٥ ق.م[٥].

وهكذا تبين لنا بوضوح ـ من خلال هذا العرض السريع لأسفار العهد القديم ـ أن نسبة الأسفار إلى أصحابها نسبة خاطئة وغير صحيحة، وأن دعوى هذه النسبة قائمة على الظن والزعم بلا دليل، فهؤلاء الذين نسبت إليهم تلك الأسفار لم يكتبوها، وإذا ما كتبوا جزءا منها فإنه قد حرف أو زيد عليه أو تم تبديله، فليس هناك أدنى ثقة فى تلك النسبة المزعومة بل إننا وجدنا العلماء والمؤرخين يجهلون تماما مؤلفى أغلب هذه الأسفار، بل أنهم لا يعرفون زمن تأليفها.

يقول سبينوزا "الواقع أننا نجهل تماما مؤلفى كثير من هذه الأسفار، أو نجهل الأشخاص الذين كتبوها (إذا كنا نفضل هذا التعبير) أو نشك فيهم، ومن ناحية أخرى لا ندرى فى أية مناسبة وفى أى زمن كتبت هذه الأسفار التى نجهل مؤلفيها الحقيقيين ولا نعلم فى أيدى من وقعت، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التى

---

(١) سقوط أورشليم صـ ٦٣٨.

(٢) مثل سفر أخبار صموئيل الرائى وأخبار ناثان النبى وأخبار جاد الرائى وغيرها من الأسفار المفقودة التى سأشير إليها. راجع مقدمة رسالة فى اللاهوت صـ ٢٩.

(٣) راجع كاثرين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ ١١٠-١١١ المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ١٧١ د/ بحر عبد المجيد: اليهودية صـ ٨٣.

(٤) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية صـ ١٩١.

(٥) كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ ١١٠.

وجد لها عدد من النسخ المتباينة، ولا نعلم أخيرًا إن كانت هناك نسخ كثيرة أخرى فى مخطوطات من مصدر آخر[1].

فالحقيقة أن أسفار العهد القديم ـ كما جاء فى دائرة المعارف الأمريكية ـ قد كتبت على طول الفترة من القرن الحادى عشر ق. م إلى القرن الأول ق. م، وأخذت صورتها النهائية فى القرن الأول الميلادى، ولم تصلنا أى نسخة بخط المؤلف الأصلى لهذه الأسفار.

فعلى مدى هذه القرون الطويلة التى كتبت فها الأسفار نجد أن نصوصها قد نسخت مراراً وأعيدت كتابتها باليد، ولقد حدثت أخطاء فى عملية النسخ سببها عدم القدرة على قراءة أحد النصوص قراءة صحيحة أو العجز عن سماع نطقه نطقًا صحيحًا حين كان يملى على الكاتب، أو من تعب الكاتب نفسه أو عجزه عن فهم ما كان يكتبه أو حتى سبب إهماله، فقد كان يحدث أحياناً أن بعض المواد التى كتبت على هامش النص تضاف إليه[2].

فالنصوص التى بين أيدينا قد نقلتها إلينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ ولدينا ـ كما تقول دائرة المعارف الأمريكية ـ شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو بدون قصد فى الوثائق والأسفار التى كان عملهم الرئيسى فيها هو كتابتها ونقلها[3] وقد حدث التغيير بدون قصد حين أخطأوا فى قراءة أو سماع بعض

---

(١) رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٥٥.

(٢) دائرة المعارف الأمريكية نقلا عن مهندس أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق ـ والأباطيل صـ ٢٩.

(٣) ليس عجيبا ما تذكره دائرة المعارف الأمريكية عما فعله الكتبة الاسرائيليون بالنصوص الأصلية لأسفار العهد القديم على مدى قرون عديدة حيث جرت أقلامهم بالتغيير والتبديل إذ نجد فى الأسفار إلى الآن ما يدين أولئك الكتبة ويتهمهم بالكذب والتحريف والافتراء على الله بغية الربح ولو على حساب العقيدة وفى هذا يقول ارميا على لسان الرب "أما شعبى فلم يعرف قضاء الرب، كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا، حقا انه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب، خزى الحكماء ارتاعوا وأخذوا، ها قد رفضوا كلمة الرب فاية حكمة لهم... لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مولع بالربح من النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب (راجع أرميا ٦: ١٣٢/ ٨: ٧-١٠). =

الكلمات أو فى هجائها، أو أخطأوا فى التفريق بين ما يجب فصله من الكلمات، وما يجب أن يكون تركيبا واحداً.

كذلك فإنهم ينسخون الكلمة أو السطر مرتين وأحيانًا ينسون كتابة كلمات بل فقرات بأكملها.

كما كانوا يحذفون بعض الكلمات أو الفقرات أو يزيدون على النص الأصلى فيضفون فقرات توضيحية... وهكذا.

ولا يوجد سبب يدعو للافتراض بأن وثائق العهد القديم (الأسفار) لم تتعرض للأنواع العادية من الفساد النسخى على الأقل فى الفترة التى سبقت اعتبارها أسفاراً مقدسة.

فقد نشأت بين اليهود طائفة خصصت نفسها لرعاية هذه الوثائق عرفت بالكتبة. وسميت أخيراً بالسوفريم أو الأسفاريين، ولم يكن عملهم مقصوراً على النسخ بل كانوا حفاظًا على الوثائق، ومترجمين لها بل ومؤلفين بكل معنى الكلمة.

وكان من نتيجة عملهم أن أخذ النص صورته القانونية ليترجم بعد ذلك إلى اللغات الأخرى[1].

= وقد بين الإمام القطربى التحريف بالأسفار بقوله "أن اليهود تعترف بأن السعين كوهانا اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشرة حرفا من التوراة، وذلك قبل المسيح فى زمان القياصرة، ومن اجترأ على تبديل حرف من كتاب الله وتحريفه فلا يوثق بالذى فى يده مما يدعى انه كتاب الله لعدم الثقة به ولقلة مبالاته بالدين وأيضاً فلعله قد حرفه كله أو أكثره.

(راجع الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام صـ ١٩٠-١٩١. راجع أيضا القرافى (شهاب الدين احمد بن إدريس) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة صـ ٢٥٦-٢٥٨.

ومن أراد التعرف بالتفصيل والتوضيح على ما قام به الكهنة من تحريف وتبديل فليرجع إلى إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى صـ ٢٠٥-٢٩٢ إذ عقد بابا كاملاً لإثبات التحريف فى أسفار العهد القديم وقسمه إلى قسمين: تحريف لفظى وتحريف معنوى وقدم شواهد على تحريفهم بالزيادة وشواهد أخلى على تحريفهم بالنقصان، راجع أيضا عصام الدين حفنى ناصف: محنة التوراة على أيدى اليهود صـ ٢٨-٥٥، د/ محمد بيومى مهران دراسات فى تاريخ الشرق جـ ٩-صـ ٢٩٧-٣٠٠

(١) دائرة المعارف الاميركية نقلاً عن المرجع السابق للمهندس أحمد عبد الوهاب صـ ٢٤.

ويذكر العلماء أن قصة تطور أسفار العهد القديم سارت فى طرق ثلاث حتى وصلت إلى الصورة القانونية المعترف بها:

١- بدأت أكثر الأسفار لا كتبا مسطورة بل أحاديث شفوية تناقلتها الأفواه وكررها العارفون الحافظون لها ثم كتبت بعد زمن من ذاكرتهم[١].

٢- صنفت الأسفار لا بيد كاتب واحد بل من سجلات مدونات احتفظ بها عدد من الناس، واعتمد مصنفوها على ما يسمى بالأسفار المفقودة[٢].

٣- تولى الكتبة أو الأسفاريون على مر الزمن نقل النسخ باليد من هذه النصوص على التوالى وتارة كانت تقع بعض الأخطاء اللفظية فى النقل، وتارة أخرى كان يضيف الناقل شرحًا أو تعليقًا فى الهامش وكان هذا التعليق يضاف إلى المتن فى النسخ التالية، وأحياناً كانت تطمس جملة أو كلمة فى نسخة قديمة من كثرة الاستعمال، وأحياناً أخرى كان يملى على أحد الحفاظ الكاتب فتقع بعض

---

(١) يعترف اليهود فعلاً أن كتابهم المقدس ظل زمناً طويلًا يروى مشافهة من مصادر مختلفة وان الرواة تناقلوا من الذاكرة روايات توارثها الخلف عن السلف، ولا شك أن الذاكرة الإنسانية لها حدود، وقدرتها على الحفظ والنقل ليست مطلقة، وبذلك فإن الروايات قد تختلف باختلاف قدرة الرواة على الحفظ والنقل فتتيه الأصول الأولى للعقائد الموروثة فى ضباب الأيام.
(راجع د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى صـ ٧٣، د/ ثروت الأسيوطى: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين بنو إسرائيل صـ ١٢٧-١٢٨/ ١٣٧-١٣٨)

(٢) هناك أسفار لا يحتويها العهد القديم فى ثوبه الراهن غير أنها مذكورة فى تضاعيفه وتعرف باسم الأسفار المفقودة، تقول دائرة المعارف الأمريكية "يشير العهد القديم إلى كتب وأسفار أخرى غير موجودة الآن وتشير إليها أسفاره مثل: كتاب الحروب، سفر ياسر، سفر أمور سليمان، سفر أخبار صموئيل وناثان وجاد، وأخبار سمعيا ونبوءة أخيا الشيلونى وغيرها. وهذا يثبت أن عددا من الأسفار قد فقدت من اليهود وضاعت أما لغفلة عنها وأما بسبب الحروب والتدمير.
وفى القرآن الكريم قرائن عديدة على أنه كان فى أيدى اليهود قراطيس ومدونات فى سرد الأحداث والقصص الخاصة بآدم وإبراهيم وموسى وداود وسليمان، ومن المعتقد أنه كان وراداً فى القراطيس والمدونات المفقودة متطابقاً مع ما جاء فى القرآن الكريم ـ راجع ذلك بالتفصيل: دائرة العارف الأمريكية نقلا عن فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ ٢٨ محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من اسفارهم صـ ٢١، ٢٥، ١٧٢ عصام الدين حفنى ناصف: محنة التوراة على أيدى اليهود صـ ٤٦، ٤٧، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ١٦٨.

الأخطاء الهجائية أو الهفوات الأخرى. وبعض الاختلاف فى اللفظ أو والهجاء كان مرده أحياناً إلى اختلاف لهجة المواطن بين الحافظ الذى يملى والكاتب الذى ينقل عنه[1].

وبعد هذا كله جاء عصر الترجمات، وكانت الترجمات تنقل عن نسخ خطية مختلفة فلا عجب أن يقع اختلاف وتناقض فى النسخ المختلفة بالإضافة إلى التناقض الموجود فى النسخة الواحدة[2].

هذا وقد أدى هذا التناقض وذلك الاختلاف فى النصوص إلى مراجعة الأسفار

---

(١) وبالاضافة إلى اختلاف اللهجات كان هناك اختلافا أيضاً فى اللغات التى كتبت بها أسفار العهد القديم ولذلك فإن العهد القديم يعتبر ـ كما ورد فى دائرة المعارف الأمريكية ـ كتاباً غير متجانس إذ أنه مجموعة من الوثائق تكونت خلال فترة تزيد على الألف عام بواسطة رجال لهم تراث لغوى متعدد، ذلك أن اللغة العبرية التى كتبت بها أسفار العهد القديم هى فى الواقع لغة خليط فى أصلها، وتطورها. ولا نقرر سوى الواقع عندما نقول إن اللغة العبرية لم تكن لغة نقية فتلك هى النتيجة التى تقررها الدراسات اللغوية لكتب العهد القديم (دائرة المعارف الأمريكية نقلاً عن فلسطين صـ ٢٤).

(٢) لاشك أن الترجمات الكثيرة والمختلفة لأسفار العهد القديم كان لها تأثر مباشر على عدم سلامة النص وحالت دون الحفاظ على نقاء النسخ الأصلية التى نقلت عنها الترجمة، ولو أخذنا الترجمة السبعينية مثلاً لوجدنا أن الاتجاهات العلمية الحديثة تذهب إلى أن رواية اجتماع اثنين وسبعين عالماً وإخراجهم لها إنما هى مجرد أسطورة وليس لها أساس من الصحة، كما أن بعض المؤرخين يشكون فى أنها جاءت ترجمة صادقة للتوراة الأصلية وذلك لتأثر المترجمين الواضح بالأساليب الإغريقية التى كانت تصاغ وفقاً للقوانين الهلنية.

ويذكر الدكتور فؤاد حسنين أن الترجمة السبعينية ليست فى مجموعها دقيقة حيث نلاحظ فى بعض أسفارها اضطراباً كثيراً، كما أنها لم تتم فى عصر بعينه فالتوراة مثلاً (الأسفار الخمسة) تمت ترجمتها فى القرن الثالث ق. م. أما سائر الأسفار الأخرى فقد ترجمت فى عصور متأخرة. لذلك فالآراء متضاربة حول الترجمة السبعينية ليس فقط حول ـ ترتيبها وتنسق أسفارها بل حول اختلافها فى كثير من الأحيان عن النص العبرى، وترتيب العهد القديم العبرى، فضلاً عن أنها تضم أسفاراً ليست شرعية.

هذا وقد قام علاء الدين الباجى (٧١٤هـ) بنقد التوراة السبعينية فى كتابه (على التوراة) تحقيقى د/ احمد حجازى السقا نشر دار الأنصار الطبعة الأولى ١٤٠هـ/ ١٩٨٠م وبين كثير من العلماء القدامى منهم والمحدثين تناقض النسخ المترجمة المختلفة.

راجع فى ذلك ابن حزم فى كتابه الفصل، والشيخ رحمت الله فى إظهار الحق، والموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د/ احمد شلبى: اليهودية، سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والوحيد.

كلها وتقسيم الأسفار إلى فصول وآيات والاستقرار على وضع نسخة واحدة لأسفار الكتاب تعتبر "قانونًا" ومرجعًا نهائيًا.

وقد استغرق هذا العمل مئات من السنين، وقام به فريق من علماء اليهود وأطلق عليهم لقب "ماسورتين" وسميت كتاباتهم "النصوص الماسورتية"[١].

وبالرغم من ذلك فإن هذه النصوص الماسورتية مليئة بالاختلافات والتناقضات فالعهد القديم كما جاءنا لم يتم جمعه بين عشية وضحاها، كما أن الفضل فى هذا الجمع لم يكن لعزرا أو بعض معاصريه من رجال المعبد فقط بدليل لا يقبل الشك، وهو أن العهد القديم يضم بين دفتيه أسفاراً متأخره عن عصر (عزرا) الذى عاش فى القرن الخامس ق. م. مثل سفر دانيال الذى كتب حوالى عام ١٦٥ ق. م.[٢].

فلم يكن عزرا آخر من صاغ روايات الأسفار ولا هو آخر من جمعها، فقد جمع روايات موجودة عند كتاب متعددين، وفى بعض الأحيان كان يقتصر على نسخها ونقلها على هذا النحو إلى الخلف دون فحصها أو ترتيبها، ولا يستطيع سبينوزا أن يخمن الأسباب التى منعته من إتمام عمله هذا بحيث يوليه كل عنايته إلا إذا كان موتاً مبكرًا[٣].

والواقع كما أن وضع العهد القديم تطلب زمنًا امتد نحو ألف عام كذلك فإن جمعه قد استدعى قروناً عديدة، والكتاب الذى يتطلب ألف عام لتأليفه وجمعه يمر

---

(١) والكلمة العبرية "ماسورا" تعنى "تقليد" وذلك لأن العلماء الماسورتين قد استرشدوا فى ضبط الألفاظ والحروف بما أجمعت عليه التقاليد من حيث هجاءه الألفاظ وقواعد النحو وصياغة العبارات وآخر نص قانونى انتهى إلينا هو الذى صاغه هارون بن موسى بن أشير ويديعى عادة "ابن أشير الماشورتي" وقد عاش فى طبرية فى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى، ولقد أثبتت دراسات العلماء والباحثين فى العصور اللاحقة لدى مقارنة النصوص الماسورتية بالنصوص السابقة أن الماسورتيين لم يتوخوا الصواب دائماً وإنما تعرضوا ووقعوا فى أخطاء كثيرة (راجع ظاظا: الفكر الدينى صـ ٧٢، ٧٣ كاترين هنرى: التاريخ فى الكتاب صـ ١٢٦ راجع بالتفصيل: تكوين قانون الكتب المقدسة فى الدين اليهودى صـ ٤٧-٤٩ من كتب الشريعة الخمسة طبعة الآباء اليسوعيين.

(٢) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية صـ ١٥.

(٣) راجع رسالة فى اللاهوت صـ ٢٨٣ وما بعدها.

بأدوار كثيرة والنتيجة المحتومة لامتداد زمن التأليف وطول عصر الجمع خضوع الأسفار لمؤثرات كثيرة عملت فيها زيادة وحذفا[1].

وخلاصة القول أن النسخة العبرية التى يسميها اليهود النسخة القانونية التى انتهوا إليها فى القرن العاشر الميلادى، لا يعتمد عليها، فقد تعرض نصها كثيراً لأعمال الحرق والإبادة بسبب الحروب الداخلية أولاً والغزو الأجنبى ثانيًا[2] وتداولته أياد كثيرة غيرت فيه وبدلت وزادت وأنقصت وتناوله كتاب عديدون ذوو أمزجة مختلفة فى عصور مختلفة[3].

وبذلك فإن أسفار العهد القديم قد انتفت عنها القدسية وزالت عنها الصبغة السماوية، فلا تعد من كتب الوحى أو السماء حيث أنها لم تصل إليها متصلة السند أو ـ منقولة بالتواتر الذى يحفظها من التبديل ويقيها من التحريف ويعصمها من التغيير.

وإنما وصلت إلينا مقطوعة السند بأصحابها المزعومين وقد اعتراها الكثير من التبديل والتحريف والتغيير.

وكما يقول الشيخ رحمت الله الهندى "إنه لابد لكون السفر سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا السفر كتب بواسطة النبى الفلانى ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، والاستناد إلى شخص ذى إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفى فى إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص وكذلك مجرد إدعاء فرقة أو فرق لا يكفى فيه[4].

فالكتاب السماوى الذى يجب الخضوع له، والائتمار بأوامره، والانتهاء بنواهيه،

---

(١) التوراة الهيروغليفية صـ ١٥.

(٢) راجع اضطهاد انطيوخوس الرابع لليهود وقيام جنوده بإحراق نسخ العقد القديم، وكذلك اضطهاد الرومانيين واستيلاء تيطس فى عام٧٠م على سفر الشريعة الخ فى الفصل الأول من الباب الثانى.

(٣) انظر التوراة الهيروغليفية صـ١٨-١٩ ومقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة صـ٢٨.

(٤) إظهار الحق صـ ٨٣.

لابد أن يثبت أنه كتاب الله الذى أنزله على النبى الفلانى، بسند متصل فى جميع طبقاته، متواتر فى عامة مراتبه بحيث يكون قد رواه الجم الغفير، الذى يؤمن تواطؤهم على الكذب، بلا تغيير ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان، بأن تكون كل طبقة بكثرة عظيمة، مختلفة الأمكنة، خالية عن الغرض والعلة والجهل[1].

(١) راجع عبد الرحمن بن سليم البغدادى الشهير بباجة جى زاده: الفارق بين المخلوق والخالق صـ ٩ نشر دار الكتاب الإسلامى.

الفصل الثالث

الاتجاه الوثنى

لدى بنى إسرائيل

لقد تبين لنا فى الفصلين السابقين أن هناك عاملين قد ساعدا على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية.

العامل الأول: ما تعرض له اليهود فى فترات السبى والاضطهاد والاختلاط على امتداد تاريخهم القديم.

العامل الثانى: فقدانهم التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وتحريفهم لها وانتقاء قدسية أسفار العهد القديم.

ولعل السؤال الذى يتبادر الآن إلى الذهن هو: هل هذان العاملان كانا كفيلين وحدهما بتأثر اليهودية بالأديان الوثنية، أو أن هناك عاملًا ثالثًا ساعد على ذلك؟

والحقيقة أنه لو لم يكن لدى اليهود استعداد كامل لتقبل الوثنية، وتهيؤ تام للاستغراق فى عباداتها والانسياق وراء أفكارها، لكان من الممكن أن يتغلبوا على ما قاسوه من اضطهاد وسبى، وأن يقاوموا ما فرضه عليهم أسيادهم وغالبوهم، وان يرفضوا كل ما أكرهوا عليه وما يتعارض مع تعاليم دينهم السماوى.

لكننا وجدنا سرعة استجابتهم للعقائد الوثنية واندفاعهم الشديد نحو عبادتها ـ واستغراقهم الكامل فى طقوسها، وأحياناً كنا نجدهم هم الذين يقبلون عليها ويلحون فى طلبها دونما ضغط أو إكراه، ومعنى ذلك ببساطة أن الإنسياق خلف الوثنية صادف هوى فى نفوس اليهود، ولبى رغبة حقيقة فى قلوبهم، واشبع لديهم إحساسهم الداخلى وشعورهم الباطنى.

وكما يذكر جون هامرتون "أن اليهود كانوا يشتملون دائمًا على عنصر منحرف تستميله التعاليم الوثنية والتهاون الخلقى عند الوثنيين[1].

---

(١) جون هامرتون: العهد الجديد للفتوح الرومانية بحث فى المجلد الثالث من تاريخ العالم صـ ٣٤٥، ٣٤٦.

فاليهود بطبيعتهم المادية الكثيفة يميلون إلى الوثنية وينجذبون إليها بل ويتهافتون عليها ويلهثون خلفها.

وسيتبين لنا البرهنة على كل ذلك فى هذا الفصل الذى أخصصه لإظهار وإبراز الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل على أنه العامل الثالث من العوامل التى ساعدت على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية[1].

مفهوم الوثنية.

ولكى يتسنى لنا التعرف على الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل ينبغى أولا أن نحدد مفهوم الوثنية وما هو المقصود بها؟

ورد فى لسان العرب أن "الوثْن والواثن بمعنى المقيم الراكد الثابت الدائم ويطلق على الصنم ما كان وقيل يطلق على الصنم الصغير، وقال ابن الأثير: الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الأدمى تعمل وتنصب، والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين.

وأساس ذلك أن يقال: وثن الشئ أقام وثبت ولما كان الوثن من شأنه أن يكون ثابتًا فى مكانه الذى ينصب فيه سمى وثنًا، وجمع الوثن أوثن ووُثْن وأُثن.

وأصل الأوثان عند العرب كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحوها ـ وكانت العرب تنصبها وتعبدها[2].

هذا وقد ورد لفظ الأوثان فى القرآن الكريم ثلاث مرات مرة مقترنة بالألف واللام ومرتين مجردتين منهما[3].

---

(١) يمكن أن نعتبر العاملين الأولين من العوامل الخارجية وهذا العامل الثالث يعد أحد العوامل الداخلية.

(٢) ابن منظور: لسان العرب: المجلد السادس صـ ٤٧٦٥ مادة وثن طبعة دار المعارف الحديثة، راجع أيضًا معجم ألفاظ القرآن الكريم المجلد الثانى صـ ٦٢٤ طبعة مجمع اللغة العربية طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣.

(٣) راجع الآيات: رقم ٣٠ من سورة الحج والآيتين رقم ١٧ ، ٢٥ من سورة العنكبوت.

وقد تباينت وجهات نظر علماء الاجتماع الدينى فى تفسير عبادة العرب للأصنام ـ فبعضهم يعتبر هذه العبادات مستوردة على أساس أن لفظ صنم ليس عربيًا، وإنما هو كلمة آرامية وأن الوثن هو اللفظ العربى الأصيل وميزوا بين الصنم باعتباره حجراً أو مجرد رمز للاله، وبين الوثن الذى يمثل صنمًا على شكل إنسان واستنتج من هذا أن عبادة الأصنام مظهر من مظاهر الديانة الفتشية التى تعتقد بحلول أرواح فى الأجسام الجامدة يمكن التوجه إليها بالتقرب والعبادة[1].

وإن كان أكثر العلماء يرون أن كلمة فتش مستمدة من أصل لغوى برتغالى وتعنى المادة السحرية وقد أطلقها البرتغاليون على الديانات الوثنية فى غينيا، وانتشر استخدامها منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[2].

وقد استخدم هؤلاء العلماء هذا المصطلح (فتش) فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية للدلالة على الشئ المادى الذى تقدسه الجماعات البدائية سواء أكان هذا الشئ طبيعيًا أم صناعيًا، طالما يتخذونه محور ممارسات دينية، والاعتقاد السائد عند هذه الجماعات هو أن الفتش يكون مزودًا بقدرة خاصة أو قوة غامضة من شأنها أن تؤثر فى مقدرات الناس بالنفع أو الضرر[3].

ويعتبر دوبروس أودى بروس (الأديب الفرنسى (١٧٠٩ ـ ١٧٧٧م) أول من استخدم كلمة الفتيشية فى القرن الثامن عشر فى مجال دراسة الأديان الأفريقية البدائية ثم صاغ منها مفهوم الفتشية كمصطلح عام يعنى به عبادة أو تبجيل كل الأجسام والأشياء التى يعتبرها الإنسان تعاويذ أو بدود تمنع عنه الشر أو تجلب له الخير.

---

(١) معجم العلوم الاجتماعية صـ ٣٥٠، ٣٥١ إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين تصدير ومراجعة د/ إبراهيم مدكور الهيئة المصرية العامة للكتاب صـ١٩٧٥.

(٢) د/ فاروق إسماعيل: الوثنية: المفاهيم والممارسات صـ ٢٨ دار المعرفة الجامعية الإسكندرية بدون تاريخ.

(٣) معجم العلوم الاجتماعية صـ ٤٤٦ راجع تفاصيل ذلك د/ أحمد أبو زيد: تايلور صـ ١٥٢ دار المعارف بمصر ١٩٥٧ رقم ٩ من سلسلة نوابغ الفكر الغربى.

ثم لم يلبث هذا الاصطلاح الجديد أن وجد طريقه إلى الكتابات الاجتماعية ثم الانثروبولوجية بعد أن استخدمه أوجست كونت للإشارة إلى كل الديانات البدائية التى تعتبر الأجسام والموضوعات الخارجية موضوعات حية لها حياة تشبه الإنسان[1].

أما تايلور فيرى أن ثمة صلة وثيقة بين الفتشية ونظرية الأرواح التى تتجسد فى بعض الأجسام أو الكائنات المادية أو يتعلق بها أو تؤثر عن طريقها ويدخل منها على وجه الخصوص عبادة الأحجار وهذا معناه أن تايلور يعتبر الفتشية أو عبادة البدود خطوة أولى تؤدى بالضرورة إلى الأديان الوثنية أو على الاصح عبادة الأوثان.

وهذا معناه أيضًا أن ميدان الفتشية ميدان واسع رحب إذ تحت هذه الكلمة الواسعة الفضفاضة يمكن إدراج أى شئ يتخذه الإنسان بمثابة تعويذة أو بد أو رمز يتخيل أن له خصائص معينة يمكن أن تنتقل إلى الأشياء والموضوعات الأخرى وتؤثر فيها تأثيرًا مشابهًا[2].

وعلى أى حال فإن المفهوم مطلق بصفة عامة فى اتجاهات متباينة وبمعان مختلفة للإشارة إلى المظاهر الطبيعية التى لا حياة فيها، وقد يطلق على معتقدات الزنوج وكذلك عبادة الأشياء التى يتصور معتنقوها أنها مقر للأرواح، كما تطلق على الأشياء التى تعتبر بمثابة تعويذة تستمد قوتها السحرية الكامنة من إله أو روح، وأيا كان الأمر فإن اصطلاح الوثنية أو الفتيشية قد استخدم للإشارة إلى عبادة الأحجار أو الجبال أو مجارى المياه أو الأشجار فضلًا عن التماثيل أو الدمى وما يرتبط بها من قداسة واحترام بالغ[3].

---

(١) د/ أحمد ابو زيد: تايلور صـ ١٥٢ دار المعارف بمصر.

(٢) المصدر السابق صـ ١٥٣ د/ فاروق إسماعيل: الوثنية مفاهيم وممارسات صـ ٢٨-٢٩.

(٣) راجع د/ أحمد ابو زيد: المصدر السابق صـ ١٥٣-١٦٢، د/ فاروق إسماعيل: المصدر السابق صـ ٢٩.

وجاء فى قاموس الكتاب المقدس أن الأوثان تطلق فى الأسفار على الأصنام والتماثيل وعلى كل شئ يرمز إلى آلهة أخرى وأى قوة أو قدرة أو كيان طبيعى غيبى أو ملموس يكون غير الله.

وأن كلا من اليهودية والمسيحية كانتا فى أوائل عهدهما قد نظرنا إلى عبادة الأوثان ـ كانحلال خلقي[1].

وأن الأوثان التى كانت عند الأمم والشعوب كثيرة ومتنوعة منها الكواكب والحيوانات والمزروعات والناس والنيران ومنها رموزها كالصور والتماثيل[2].

ووقفا لشهادة المقرا (أى العهد القديم) فإن إسرائيل قد وصفت بأنها كانت "وثنية".

ولكن ما هو مفهوم الوثنية الذى قصدته المقرا؟

أن مفهوم الوثنية كان واسعًا إلى حد بعيد فى استخدامه المقرائى.

فالوثنى ـ حسب مفهوم المقرا ـ هو بحق كل ما فيه متعلق بـ"عبادة الأوثان عند الأغيار "أو أى عمل من أعمال "الأموري"[3].

ولذلك فإن هذه الوثنية قد اشتملت على عبادة جند السماء وعبادة أصنام آلهة الأغيار وذكر اسم آلهة الأغيار، وعبادة العجول (التى صنعت ليهوه) والنصب

---

(١) فإلى جانب فساد المعتقدات الوثنية بإنكارها ألوهية الله الواحد وتقسيم صفاته بين عدد من الصور والأصنام البشرية الصنع العديمة القدرة ونسبتها إلى أحجار وأشجار وتراب هى من مخلوقات الله يبرون لأنفسهم من الملذات والمحرمات ما حرمه الله، وكانوا يقيمون من الطقوس والتقاليد ما لا ينسجم مع الخلق الحميد، وكانت تلك المعتقدات مصدراً للفساد والسكر والدعارة والسرقة والغش (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٩٥).

(٢) وقد ذكر الكتاب المقدس الكثير من هذه الأوثان (راجع على سبيل المثال: حزقيال ٨ :١٠ أرميا ٤٤ : ٣-١٨ اشعيا ٤٤: ١٢-١٧).

ويذكر القاموس أن أول ذكر للأوثان فى الكتاب المقدس ورد فى سفر التكوين ٣١: ١٩ عن سرقة راحيل أصنام أبيها لابان (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٩٣-٥٩٤)

(٣) قد يطلق على كل أجناس فلسطين الذين أقاموا مع اليهود.

والسوارى وتقديم القرابين البشرية وإقامة الهياكل المقدسة بل مجرد العبادة فى المرتفعات كما اشتملت أيضًا على التخمين والسحر والعرافة والتنجيم، ومجمل القول أن وثنية بنى إسرائيل كانت تعنى التوجه بالعبادة إلى الأغيار وممارسة طقوس أجنبية تبعدهم عن عبادة يهوه والإخلاص التام لإلههم.

ويميز كاتبو الحوادث الواردة فى المقرابين أربعة عصور مختلفة فى تاريخ بنى إسرائيل القديم.

الأول: عصر موسى ويشوع والشيوخ الذين طالت أيامهم بعده، ويكاد يخلوا هذا العصر من الوثنية القومية، وإن كنا نجد بضع انحرافات محدودة المدى والمدة ـ تمثلت فى عملية صنع العجل الذهبى المسبوك وخطية بعل فغور[1].

الثانى: يمثل العصر الأول للوثنية القومية، وهى الوثنية التى استمرت طوال عصر القضاة وصموئيل وتمثلت فى ترك عبادة يهوه (إله اليهود) والتوجه إلى عبادة الآلهة الأجنبية "آلهة الأغيار) أو كما يسميهم اليهود: جوييم أو غوييم.

الثالث: يمثل العصر الثانى للإيمان بيهوه واشتمل على أيام شاول وداود وبداية أيام سليمان.

ولا توجد فى هذا العصر وثنية عند بنى إسرائيل.

الرابع: يعتبر العصر الثانى للوثنية ويشتمل على الفترة الأخيرة من عهد سلمان ـ وامتد حتى تخريب الهيكل الأول فى عام ٥٨٦ ق. م.

والحقيقة ـ كما يذكر محمد على حسن هوارى أى هذا التقسيم غير واقعى، وتبدوا عدم واقعيته من استمرار الأحداث عبر هذه العصور جميعها ومن ثم لا يمكننا الجزم بأن أيا منها قد خلا من الوثنية تماماً.

كما أنه لا نستطيع القول بأن بنى إسرائيل ـ دون استثناء ـ قد عاشوا طوال عصر

---

(١) تفاصيل الحديث عن هذه الخطبة فى الباب الثالث عند الكلام عن عبادة اليهود للبعل.

كامل من هذه العصور يعبدون إلهاً واحداً هو "يهوه" دون سواه من الآلهة التى زاحمته، والتى عرفوها عند الشعوب الأجنبية (أصحاب الأديان الوثنية التى أشرت إليها فى الفصول السابقة) والتى اختلطوا بهم سلما أو حرباً فى الأراضى الجديدة التى نزحوا إليها[1].

وعلى أى حال فإننى فى هذا الفصل سأحاول التدليل على وجود الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل وشيوع الوثنية فى مختلف عصورهم التاريخية القديمة معتمداً بالدرجة الأولى على ما ورد فى أسفارهم المقدسة لديهم وأبدأ بعصر للآباء:

تشير أسفار اليهود إلى أن الخليل إبراهيم (الأب الأول لليهود] نشأ فى مدينة أور" إحدى مدن الكلدانيين التى كانت تقع فى أرض ما بين النهرين جنوبى بابل وقد – أنشئت هذه المدينة نحو ثلاثة آلاف عام ق. م. وسكنها السومريون ثم العيلاميون ثم البابليون ثم الكلدانيون، وكان أهلها فى عهد إبراهيم وثنيين يعبدون الكواكب والنجوم ولاسيما القمر الذى كانوا يعبدونه آلهاً ويسمونه "ننار" ويعتقدون أوله زوجه يسمونها "ننجال"[2].

ورد فى سفر يشوع "وقال يشوع لجميع الشعب، هكذا قال الرب آله إسرائيل آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى..... فالآن – اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانه وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب"[3].

وقد ذكر القرآن الكريم أن قوم إبراهيم كانوا وثنيين وكانوا يعبدون الأصنام

---

(١) الآلوهية عند بنى إسرائيل منذ ظهور موسى حتى العودة من السبى البابلى: رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم اللغات الشرقية بآداب عين شمس ١٩٨٣ راجع صـ ٢٩١، ٣٣٥ وقد اعتمد على كثير من المصادر العبرية والأوربية.

(٢) راجع تفاصيل ذلك: قاموس الكتاب المقدس صـ ١١، زكى شنودة: اليهود صـ ٢١٧، ٤٧٧، حبيب سعيد: خليل الله فى اليهودية والمسيحية والإسلام صـ ٩، ٢٢، ٢٣، د/ السيد يعقوب بكر: هوامش الحضارات السامية القديمة صـ ٢٥٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٦ صـ ١٢٤، ١٢٦.

(٣) يشوع ٢٤ : ٢، ١٤.

ويعكفون عليها وأن سيدنا إبراهيم تبرأ منهم واعتزلهم يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

ويذكر المؤرخون أن اليهود أو العبرانيين كانوا فى مطلع ظهورهم على مسرح – التاريخ بدوا رحلا تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشيطان والاعتقاد فى الأرواح كانوا يعبدون الحجارة والأغنام والاشجار[3].

وفى عهد يعقوب أو إسرائيل الذى ينتسب إليه الإسرائيليون يذكر سفر التكوين أن زوجتيه ليئة وراحيل ابنتى خاله لابان الارآمى كانتا تعبدان الأصنام كأبيهما فلما أخذهما يعقوب وهرب بهما أخذت راحيل أصنام أبيها معها[4].

ظهور الاتجاه الوثنى أو الطبيعة الوثنية للإسرائيليين فى عصر موسى:

يعرض لنا القرآن الكريم ثلاثة مواقف لليهود[5] فى عصر نبيهم موسى عليه السلام ومنها يتضح لنا تماماً مدى تعلق أفئدتهم بالوثنية ومدى تعمقها فى قلوبهم.

---

(١) الأنعام: ٧٤.

(٢) الأنبياء: ٥١ – ٤٥.

(٣) راجع د/ أحمد شلبى: اليهودية صـ ١٨٠، ١٨١ ناقلا عن مصادر أجنبية، وراجع تفاصيل عبادة العبريين القدماء: د/ حسن محمود: حضارة مصر والشرق القديم صـ ٣٥٥، ٣٥٦.

(٤) جاء فى سفر التكوين أن يعقوب قد حمل أولاده ونساءه على الجمال وساق كل مواشيه ليجئ إلى إسحاق "فسرقت راحيل أصنام أبيها وخدع يعقوب قلب لابان الارآمى إذ لم يخبره بأنه هارب "وحينما أدركه لابان بعد أن لحق به قال له "ولكن لماذا سرقت آلهتى فأجاب يعقوب: إنى خفت لأنى قلت لعلك تغتصب ابنتيك منى، الذى تجد آلهتك معه لا يعيش، قدام إخواننا أنظر ماذا معى وخذه لنفسك ولم يكن يعقوب يعلم أن راحيل سرقتها وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها فى حداجة الجمل وجلست عليها فجس لابان كل اخباء ولم يجد وقالت لأبيها لا يغتظ سيدى إنى لا أستطيع أن أقول أمامك لأن على عادة النساء ففتش ولم يجد الأصنام "راجع تكوين ٣١ : ١٧ – ٣٥.

(٥) راجع تفاصيل ذلك فى رسالة الماجستير: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام عند الحديث عن التأثير اليهودى صـ ٢٢٥، ٢٢٧ وقد طبعت فى كتاب بنفس العنوان.

وسنلاحظ من خلال هذه المواقف أن النقطة الفاصلة التى تميز السلوك الوثنى الناشئ عن شدة الاختلاط وقوة تأثير الغير عن الاتجاه الوثنى الناشئ عن طبيعة داخلية، حيث أننا نجد الحالة الثانية تبرز حتى عندما تخفى شبهة الارغام الخارجى تماماً، عندما يتحرر القوم من سطوة الشعوب الوثنية وتتوفر لهم عوامل النبوة النقية... عند ذاك يجدون صرخة الوثنيين فى أعماقهم ولا يجدونها صوتاً لحوحاً من خارج هذه الأعماق .. ويصبح الصوت الخارجى عندئذ مجرد تنبيه.

الموقف الأول: قولهم لموسى اجعل لنا إلهاً كما لغيرهم آلهة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

هذه الآيات تضعنا وجهاً لوجه أمام طبيعة الاسرائليين المنحرفة المستعصية على التقويم، بما ترسب فيها من ذلك التاريخ القديم.

أن العهد لم يطل بهم منذ أن كانوا يسامون الخسف فى ظل الوثنية الجاهلية عند فرعون وملئه، ومنذ أن أنقذهم نبيهم وزعيمهم موسى – عليه السلام – باسم الله الواحد رب العالمين الذى أهلك عدوهم وشق لهم البحر، وأنجاهم من العذاب الوحشى الفظيع الذى كانوا يسامون...

أنهم خارجون للتو واللحظة من مصر ووثنيتها، ولكن ها هم أولاء ما أن يجاوزوا البحر حتى تقع أبصارهم على قوم وثنيين، عاكفين على أصنام لهم، مستغرقين فى طقوسهم الوثنية وإذا هم يطلبون إلى موسى – رسول رب العالمين الذى أخرجهم من مصر باسم الإسلام – والتوحيد أن يتخذ لهم وثناً يعبدونه من جديد !![2].

---

(١) الأعراف ١٣٨: ١٤٠.

(٢) راجع سيد قطب: فى ظلال القرآن: المجلد الثالث صـ١٣٦٥.

إنها العدوى تصيب الأرواح كما تصيب الأجسام، ولكن الذى لابد أن يذكر أن العدوى – لا تصيب الأرواح حتى يكون لديها الاستعداد والتهيؤ والقابلية.

وطبيعة بنى إسرائيل – كما عرضها القرآن الكريم عرضا صادقاً دقيقاً أميناً فى شتى المناسبات – وكما يقول صاحب الظلال – طبيعة مخلخلة العزيمة ضعيفة الروح ما تكاد تهتدى حتى تضل، وما تكاد ترتفع حتى تنحط، وما تكاد تمضى فى الطريق المستقيم حتى ترتكس وتنتكس ويرجع ذلك إلى غلظ فى الكبد، وتصلب عن الحق وقساوة فى الحس والشعور !!

وها هم أولاء على طبيعتهم تلك، ها هم أولاء ما يكادون يمرون بقوم يعكفون على أصنام لهم حتى ينسوا تعليم أكثر من عشرين عاماً[1] منذ أن جاءهم موسى عليه السلام بالتوحيد[2].

بل إنهم نسوا تلك المعجزة الباهرة معجزة انفلاق البحر وصار لهم بعد أن ضربه موسى بعصاه طريقاً يبسا، وبعد أن فزعوا وقالوا إنا لمدركون بعد أن أدركهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا، ونسوا الرب العظيم الذى أجرى على يدى نبيه موسى تلك المعجزة الخارقة وتطلعوا إلى إله محسوس يعبدونه ويعكفون عليه بمجرد أن وجدوا قوماً يعكفون على أصنام لهم.

يذكر الشيخ عبد الوهاب النجار أن العجائب التى ضرب بها فرعون وقومه لم تكن لتزجر بنى إسرائيل عن تلك الوثنية التى طال إلفهم لها، إذ أنهم كانوا قد ألفوا وثنية المصريين وقلدوهم فى وثنيتهم شأن المغلوب فى تقليد الغالب.

فبالرغم من أنهم رأوا بأعينهم انفلاق البحر وانجاء الله لهم واغراق فرعون وجنوده – إلا أن الوثنية اللاصقة بقلوبهم قد غلبت عليهم، وغلبت عليهم أيضاً

---

(١) فقد ذكرت بعض الروايات أن موسى أمضى ثلاثة وعشرين عاماً منذ أن واجه فرعون وملأه – برسالته إلى يوم الخروج من مصر.

(٢) سيد قطب: فى ظلال القرآن المجلد الثالث صـ١٣٦٦ راجع تفسير المنار للشيخ رشيد رضا المجلد الخامس الجزء التاسع صـ٩١ – ١٠٣.

بـلادة الطبع وما ركز فى طبيعتهم من السخف وما استولى على أنفسهم من الغثاثة[1].

والحقيقة أننا نلمس قمة التبجح وغاية الوقاحة من الإسرائليين حينما يطلبون من نبيهم موسى أن يجعل لهم إلهاً بنفسه ففى ذلك منتهى التجاهل لنبوته واللامبالاة الشديدة – لرسالته ويعكس مدى تشبعهم بالوثنية، وسريانها فى دمائهم حتى أعمتهم عن ربهم وعن رسول ربهم.

الموقف الثانى: اتخاذهم العجل وعكوفهم عليه

ثم أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن بنى إسرائيل قد اتخذوا العجل من بعد موسى وعكفوا على عبادته.

ويبين سبحانه كيف أن عبادته قد نفذت إلى قلوبهم، وتغلغلت فى أعماق نفوسهم فقال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[3].

وقد بلغ من إصرارهم على عبادة العجل أن سيدنا هارون عليه السلام قال لهم كما ذكر القرآن الكريم ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[4].

هذا وقد أخذ القرآن الكريم يعنفهم ويؤنبهم على تلك العبادة الزرية ﴿ وَٱتَّخَذَ

---

(١) قصص الأنبياء صـ٢٥٠ – ٢٥١.
(٢) البقرة: ٩٢ – ٩٣.
(٣) البقرة: ٥١.
(٤) طه: ٩٠ – ٩١.

قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[1].

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾[2].

ولكنها طبيعة بنى إسرائيل التى ما تكاد تستقيم خطوة حتى تلتوى عن الطريق، والتى ما تكاد ترتفع عن مدى الرؤية الحسية والتصور والاعتقاد، والتى يسهل انتكاسها كلما فتر عنها التوجيه والتسديد.

لقد راودوا نبيهم من قبل أن يجعل لهم إلها يعكفون عليه بمجرد رؤيتهم لقوم وثنيين يعكفون على أصنام لهم فصدهم نبيهم عن ذلك الخاطر وردهم رداً شديداً، فلما خلوا إلى أنفسهم ورأوا عجلاً جسداً من الذهب – لا حياة فيه كما تفيد كلمة جسد – صنعه لهم السامرى واستطاع أن يجعله بهيئة بحيث يخرج صوتاً كصوت الثيران – لما رأوا ذلك العجل الجسد طاروا إليه وتهافتوا عليه حين قال لهم السامرى "هذا إلهكم وإله موسي" الذى خرج موسى لميقاته معه فنسى موسى موعده معه – ولم يتذكروا وصية نبيهم لهم من قبل بعبادة ربهم الذى لا تدركه الأبصار – رب العالمين – ولم يتدبروا حقيقة هذا العجل الذى صنعه لهم واحد منهم، وإنها لصورة زرية للبشرية تلك التى كان يمثلها القوم صورة يعجب منها القرآن وهو يعرضها على المشركين فى مكة وهم يعبدون الأصنام[3].

ويبرز سفر الخروج – فى حادث اتخاذهم العجل – مدى تعلقهم بالوثنية، وشدة توقهم إليها، وعدم صبرهم عليها، وسرعة الانخراط فيها حينما يقول "ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون[4] وقالوا قم

---

(١) الأعراف: ١٤٨.

(٢) طه: ٨٩.

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن: المجلد الثالث صـ١٣٧٣.

(٤) مما ينبغى ذكره أن اليهود بلغ من انغماسهم فى الوثنية واعتيادهم عليها أن اتهموا نبيهم هارون بأنه هو الذى صاغ لهم من أقراطهم ذلك العجل الذى اتخذوه إلها لهم، وهذا يعكس مدى جراءتهم وتطاولهم على أنبيائهم وتلطيخهم لهم بالوثنية مثلما فعلوا أيضاً مع سليمان حين زعموا أنه سجد للأوثان متأثراً بزوجاته الأجنبيات – نعوذ بالله من زعمهم – ولعل الهدف من رمى أنبيائهم بهذه

اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه[1].

ويذكر السفر أن الرب قال لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعاً عن الطريق الذى أوصيتهم به صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر[2].

ويذهب الأستاذ زكى شنودة إلى أن قصة اتخاذ بنى إسرائيل للعجل كما ترويها التوراة تدل على أن اليهود لم يؤمنوا بالله فى يوم من الأيام إيماناً راسخاً وإنما كانوا سرعان ما ينقلبون إلى عبادة الأوثان وأنهم فعلوا ذلك فى كل مراحل تاريخهم[3].

ويرى أنه على الرغم من أن الله قد أعلن نفسه لهم دون غيرهم باعتبار أنه إلههم وباعتبار أنهم شعبه إلا أنهم كانوا شعباً غليظ الرقبة كما كان يقول عنهم فكانوا لا يؤمنون كان لا يفتأ يصنع أمامهم المعجزات التى تقنعهم بقوته وقدرته وتدفعهم إلى التمسك بالولاء له[4].

الموقف الثالث قولهم لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة

يذكر القرآن الكريم أن موسى بين لبنى إسرائيل أنهم قد ظلموا أنفسهم باتخاذهم العجل وطلب منهم أن يتوبوا إلى ربهم.

السخافات – فيما أرى وأرجح – هو محاولة تبرير لوثنيتهم وكأنهم يحاولون إقناع أنفسهم وإقناع من يأتى يعدهم بأنهم كانوا يقتدون بالأنبياء وقد انحرف الأنبياء فلا بأس من انحرافنا ما دمنا سنرجع إلى الله وتنوب إليه، ويعكس ذلك أيضاً شدة إستغراقهم فى الوثنية وولعهم بها، هذا وقد برأ القرآن الكريم سيدنا هارون من التهمة الشنيعة التى وجهت إليه فيما يتعلق باتخاذ العجل وذكر أن السامرى هو الذى صنعه لهم وأن هارون حاول أن يصدهم إلا أنه عارضوه فتركهم خشية أن لا تكون فتنة، وتفصيل ذلك فى الباب الثالث إن شاء الله.

(١) خروج: ٣٢: ٢.

(٢) خروج ٣٢: ٧ – ٨.

(٣) اليهود صـ٢٣٣.

(٤) المصدر السابق صـ٤١٥.

فقال سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١).

ولكن إسرائيل هى هى إسرائيل هى كثافة حس ومادية فكر، واحتجاباً عن مسارب الغيب فإذا هم يطلبون أن يروا الله جهرة، والذى طلب هذا هم السبعون المختارون منهم الذى اختارهم موسى لميقات ربه(٢) ويرفضون الإيمان لموسى إلا أن يروا الله عياناً.

فهم قد علقوا إيمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى حيث إن عقولهم لم تقو على فهم الذات العلية الفهم الصحيح وظنوا أنه من الممكن رؤيتها.

فالحس المادى الغليظ هو وحده طريقهم إلى المعرفة، والايات الكثيرة والنعم الإلهية والعفو والمغفرة كلها لا تغير من تلك الطبيعة الجاسية التى لا تؤمن إلا بالمحسوس والتى تظل مع ذلك تجادل وتماحل ولا تستجيب إلا تحت وقع العذاب والتنكيل مما يوحى بأن فترة الإذلال الذى ينشئه الطغيان الطويل يحطم فضائل النفس البشرية ويحلل مقوماتها(٣).

وفى هذا يقول الله سبحانه ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤).

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ (٥).

---

(١) البقرة: ٥٤.

(٢) راجع تفاصيل ذلك فى تفسير القرطبى جـ١ صـ٤٠٣ جـ٧ صـ٢٩٣ – ٢٩٦.

(٣) راجع على عبد الواحد وافى: اليهودية واليهود صـ٣٣ – ٣٤، سيد قطب: فى ظلال القرآن جـ١ صـ٧٢.

(٤) البقرة: ٥٥.

(٥) النساء: ١٥٣.

الوثنية فى عصر القضاء:

يمثل عصر القضاء العصر الأول للوثنية القومية وهى الوثنية التى استمرت – طوال هذا العصر وتمثلت فى ترك يهوه، والتوجه إلى عبادة الآلهة الأجنبية[1].

ويذكر سفر القضاء أن عبادة الرب ظلت معروفة لدى اليهود وبعض الوقت فى عصر القضاة كما ورثوها من تعاليم موسى ويشوع، ولكنهم سرعان ما انقسموا إلى عشائر متفرقة متباعدة متعادية وسرعان ما ضعف إيمانهم بالله حتى نسوه تماماً، فلم يكونوا يذكرونه إلا حين يغير عليهم شعب آخر ويحتل أرضهم ويستعبدهم ثم إذا انتصروا يعودون بعد ذلك إلى نسيان إلههم أو عبادة آلهة وثنية معه[2].

ويصور السفر ما انتاب بنى إسرائيل من تغيرات خلقية وعقائدية نتيجة تغيير حياتهم فبعد أن اتصلوا بالشعوب التى تسكن فى المناطق المجاورة أو التى تقيم معها نسوا ربهم ورجعوا إلى طبيعتهم الغالبة وانساقوا وراء عبادة الأوثان[3].

ولذلك فقد رأى العلماء أن الإطار الأدبى العام والواقعى لهذا السفر يصور عصر القضاة على أنه عصر زنى وثنى مستمر، بدأ بالتحديد بعد موت يشوع والشيوخ الذين طالت أيامهم بعده[4].

فكاتب السفر يشير إلى أن أية نكبة تصيب الشعب إنما هى نتيجة لمعصية ارتكبها،

---

(١) محمد على حسن هوارى: فكرة الألوهية عند بنى إسرائيل صـ٥١٢.

(٢) راجع زكى شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية: الجزء الثامن صـ٢٤٨، لودز: إسرائيل صـ٤٠٤ نقلا عن محمد على حسن هوارى: فكرة الألوهية صـ٢٩٤.

المستفاد من إصحاحات سفر القضاة منذ أوائلها أن انحرافات بنى إسرائيل كانت عقب موت يوضع ودخولهم فى حقبة عصر القضاة دون تلبث قليل ناسين العهد الذى أخذه عليهم يوشع وسجله فى التوراة على ما حكاه آخر إصحاحات يوشع مما كان دأبهم منذ خروجهم من مصر، وهذا يدل على ضعف صلابتهم وقلة مقاومتهم وسرعة تأثرهم بعقائد وتقاليد الوثنيين حولهم ثم على عدم مبالاتهم بزواجر ربهم ونذره وتقريعات الأنبياء ووصاياهم المشددة المتكررة.

(راجع الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ١٨٩ محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ١٢٣).

(٣) د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية صـ٧١.

(٤) محمد على حسن هوارى: المصدر السابق صـ٢٩٤.

وإن الارتداد عن دين يهوه وعبادة آلهة أجنبية كان سببا فى عقاب سماوى اتخذ صورة الاضطهاد الأجنبى الذى وقع على بنى إسرائيل من قبل الشعوب والأمم المجاورة، ويتبع هذا العقاب توبة بنى إسرائيل وندمهم ثم توسلهم إلى الرب لكى ينقذهم ويخلصهم.

ولم يكن هذا الإطار إلا وجهة نظر تاريخية فلسفية وهو جزء من وجهة النظر السائدة فى المقرا التى يفسر بها محررو العهد القديم كل ما أصاب بنى إسرائيل من شر وما حل بهم من مصائب طوال تاريخهم الطويل نتيجة لارتكابهم خطيئة الوثنية[1].

وعلى أية حال فقد كانت السمة الدينية العامة التى تميز بها عصر القضاة هى الردة عن عبادة "يهوه" والتوجه إلى عبادة الآلهة الأجنبية حتى سمى عصر القضاة بعصر الارتداد – إذ أن السفر قد عرض لنا صوراً بشعة جداً لما كان من ارتكاس بنى إسرائيل، وانحرافهم الدينى والخلقى بسرعة عجيبة مما تكررت حكايته عنهم منذ زمن موسى عليه السلام وما كان وظل طابعهم المميز[2].

وهناك قصة وقعت أحداثها فى عصر القضاة تدل على شدة شيوع الوثنية فى هذا العصر، وتعبر عن قوة استشراء الشرك والارتداد فى بنى إسرائيل واندماج الجميع فيه.

إذ ورد فى سفر القضاة أن رجلاً من جبل افرايم كان يدعى ميخا قد صنع له الصائغ من الفضة التى أخذها من أمة تمثالاً منحوتاً وتمثالاً مسبوكاً ووضعهما فى بيته وكان له أيضاً بيت للآلهة فعمل أفودا[3] وترافيم[1] وملأ يد واحد من بنيه فصار

---

(١) قضاة ٢: ١١ – ٩١. راجع تفاصيل ذلك: هوارى: فكرة الألوهية صـ٢٩٤ – ٢٩٦.

(٢) راجع الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ١٨٩ وصموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ١٤٠ وما بعدها، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ١٢٥، محمد على هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل منذ عصر موسى حتى السبى البابلى صـ٢٩٤

(٣) أفود: كلمة عبرانية لا يعرف معناها على وجه التحقيق وهى تنطبق على ثوب يشبه الصدرة كان يلبسه رئيس الكهنة العبرانى أثناء خدمة الكهنوت، وكان يصنع من لون الذهب واللون الأزرق

له كاهناً، وفى تلك الأيام لم يكن ملك فى بنى إسرائيل كان كل واحد يعمل ما يحسن فى عينيه.

وحدث أن غلاماً لاويا من بيت لحم ومن عشيرة يهوذا التقى بميخا فطلب منه ميخا أن يقيم عنده وأن يكون له أباً وكاهناً وعرض عليه ما يغريه من المال والثياب فرضى اللاوى بالإقامة معه فقال ميخا الآن علمت أن الرب يحسن إلى لأنه صار لى اللاوى كاهنا.

ثم حدث أن ارتحل ستمائة من عشيرة الدانيين إلى جبل افرايم وجاءوا إلى بيت ميخا وهجم خمسة منهم على البيت وأخذوا ما فيه من التماثيل والأفود والترافيم فقال لهم الكاهن ماذا تفعلون فقالوا له اخرس، ضع يدك على فمك واذهب معنا وكن لنا أباً وكاهناً، أهو خير لك أن تكون كاهناً لبيت رجل واحد أم أن تكون كاهناً لسبط ولعشيرة فى إسرائيل فطاب قلب الكاهن وأخذ الأفود والترافيم والتمثال المنحوت ودخل فى وسط الشعب ثم انصرفوا، وأخذ ميخا

والارجوانى والقرمزى، وكان يثبت على الجسم بواسطة شريطين للكتفين من فوق وحزام من أسفل.....، ومن الواضح أن الأفود كان جميلاً جداً وعظيم القيمة، وقد أدى استخدام الأفود فى العبادة وفى تبين إرادة الله إلى تقديسها كصنم (قضاة ٨: ٢٧/ ١٧: ٥/ ١٨: ١٤، هوشع ٤:٣).

(١) والترافيم: كلمة عبرية معناها "مسعدات" وقد وردت بدون ترجمة وقد تترجم أصناماً (تكوين ٣١: ١٩/ ٣٤/ ٣٥ وهى أصنام أو آلهة رب البيت وتكون صغيرة جداً لسهولة حملها فى الهروب بسرعة ويمكن اخفاؤها تحت حداجة الجمل (تكوين ٣١: ١٩/ ٣٠/ ٣٤)، وأكبر ما فى الترافيم يكون على هيئة الآدميين (صموئيل أول ١٩: ١٣) وكان الناس يعتقدون أنها مجلبة للفأل الحسن وكانت تستشار فى كل المقترحات (حزقيال ٢١: ٢١، زكريا ١٠: ٢٠) وبحسب القانون البابلى كان لمن عنده آلهة الأسرة الحق فى أن يرث نصيب البكر وقد استعملها لابان فى حاران وسرقت ابنته راحيل الترافيم وحملتها إلى كنعان ولم يكن يعقوب على علم بها.

وقد أشار صموئيل إلى أن التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم (صموئيل أول ١٥: ٢٣)، ومع ذلك فكان يوجد – حسب ما جاء فى سفر صموئيل الأول – فى بيت داود – ترافيم لزوجته (١٩: ١٣)، ويستفاد من إشارة النبى هوشع إلى حالة اليهود بقوله سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس ولا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وبلا ترافيم أن اليهود سيقعون فى حالة الكفر التام بحيث لا يفقدون عبادة الله فقط بل كل دين وكل عبادة، وقد أباد الملك يوشيا كما سنرى الترافيم مع غيرها من الأصنام عند قيامه بحركة التطهير، ومع ذلك فإنه وجد بين الشعب بعد رجوعه من السبى من يسأل الترافيم (هوشع ٣: ٤) ملوك ثان ٢٣: ٢٤، زكريا ١٠: ٢، راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٢١٤ – ٢١٥ عصام الدين حفنى ناصف: اليهودية فى العقيدة والتاريخ صـ١٢٣.

يصرخ ويقول: آلهتى التى عملت، ولكنه حين رأى أنهم أشد منه انصرف وعاد إلى بيته.

وأما هم فإنهم أخذوا ما صنع ميخا والكاهن الذى كان له وجاءؤا إلى لارس وضربوا شعبها بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار ثم بنوها وسكنوا بها ودعوا اسمها دان باسم دان أبيهم وأقاموا لأنفسهم التمثال المنحوت وظلوا يعبدونه حتى عصر السبي[1].

هذا وييستشهد كثير من العلماء بقصة ميخا وبيت الآلهة الذى أقامة على مدى الإرتداد العقائدى الذى كان سائداً فى عصر القضاة[2].

الوثنية فى عصر الانقسام:

ويمثل هذا العصر العصر الثانى للوثنية القومية العامة التى غلبت على سكان المملكتين، وشاعت بين صفوف اليهود بدءاً من البيت المالك وانتهاء بعامة الشعب.

ونبدأ أولاً بمملكة إسرائيل:

يذكر الدكتور حسن ظاظا أن مملكة إسرائيل الشمالية عاشت حوالى قرنين من الزمان تسيطر عليها أساليب الترف الوثنى والانحلال الأخلاقي[3].

فقد صاحب التدهور السياسى لمملكة سليمان وانقسامها تدهور دينى أيضاً، إذ رأى يربعام (أول ملك إسرائيل) أن انقطاعا سياسياً فقط بين شطرى المملكة لم يكن كافياً للإبقاء على استقلال الشمال فاقتنع بضرورة وجود ركيزة دينية لنظامه الجديد.

ولكى يواجه نفوذ أورشليم الدينى وحتى يتفادى الإغراء المحتمل حدوثه من معبد سليمان على الإسرائليين أقام مقدسين جديدين ليهوه فى بيت ايل ودان.

---

(١) راجع سفر القضاة: الاصحاحين السابع عشر والثامن عشر.

(٢) راجع صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ١٥٠، قاموس الكتاب المقدس صـ٣٣٧، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ١٣٠.

(٣) إسرائيل ركيزة الاستعمار: بحث فى كتاب الصهيونية العالمية وإسرائيل صـ٤٣ الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية القاهرة ١٩٧١.

ووضع فيهما صنمين على صورة عجلين من الذهب وطلب إلى الأسباط العشرة عبادتهما وأقام لهما كهنة يؤدون طقوس عبادتهما وجعل نفسه رئيساً لأولئك الكهنة[1].

ويذكر سفر الملوك الأول أن الرب أرسل إليه من يقول له "وقد ساء عملك أكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبو كات لتغيظنى وقد اطرحتنى وراء ظهرك[2].

وتوعده قائلاً "لذلك هاأنذا جالب شراً على بيت يربعام كل بائل بحائط محجوزاً أو مطلقاً فى إسرائيل وأنزع آخر بيت يربعام كما ينزع البعر حتى ينفى، من مات ليربعام فى المدينة تأكله الكلاب ومن مات فى الحقل تأكله طيور السماء لأن الرب تكلم[3].

هذا وقد أطلق على ما فعله يربعام "خطية يربعام" وأخذت الأسفار تعيب على من خلفه من ملوك إسرائيل بإتباع خطية يربعام والسير على طريقها، وأن هذه الخطية كانت سبب البلاء الذى حاق بمملكة إسرائيل.

يقول سفر الملوك عن ابنه ناداب "وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيه وفى خطيته التى جعل بها إسرائيل يخطئ[4].

ويقول عن الملك بعشا "وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق يربعام وفى خطيته التى جعل بها إسرائيل يخطئ[5].

---

(١) ملوك أول ١٢: ٢٦ – ٢٩ راجع تعليقات موسكاتى: الحضارات السامية القديمة صـ١٤٤، زكى شنودة: المجتمع اليهودى صـ٤٢٩، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ٢٣١، ٢٣٢، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ٦٠٣، هوارى: فكرة الألوهية صـ٣٢٩ – ٣٣٣ ناقلاً عن مصادر إنجليزية وعبرية، ويذكر سفر أخبار الأيام الثانى أن أبياً بن ربعام قال للأسباط العشرة: والآن أنتم تقولون أنكم تثبتون أمام مملكة الرب بيد بنى داود وأنتم جمهور كثير ومعكم عجول ذهب قد عملها يربعام لكم آلهة أما طردتم كهنة الرب بنى هارون واللاويين وعملتم لأنفسكم كهنة كشعوب الأراضى كل من أتى ليملأ يده بثور ابن بقر وسبعة كباش صار كاهنا للذين ليسوا آلهة (١٣: ٨ – ٩).

(٢) ملوك أول ١٤: ٩.

(٣) ملوك أول ١٤: ١٠ – ١١.

(٤) ملوك أول ١٥: ٢٦.

(٥) ملوك أول ١٥ : ٣٤

وحين ذكر استيلاء عمرى على حكم زمرى وانتحار زمرى علل ذلك بقوله "من أجل خطاياه التى أخطأ بها بعمله الشر فى عينى الرب وسيره فى طريق بربعام ومن أجل خطيته التى عمل بجعله إسرائيل يخطئ"[1].

وقال السفر أيضاً عن عمرى "وعمل عمرى الشر فى عينى الرب وأساء أكثر من جميع الذين قبله وسار فى جميع طريق يربعام بن نباط وفى خطيته التى جعل بها إسرائيل يخطئ لإغاظة الرب اله إسرائيل بأباطيلهم"[2].

وأما اخآب بن عمرى فقد ذكر عنه السفر "أنه عمل الشر فى عينى الرب أكثر من جميع الذين قبله وكأنه كان أمراً زهيداً سلوكه فى خطيئة يربعام حتى اتخذ ايزابل ابنه اثبعل ملك الصيدونيين امرأة وسار وعبد البعل وسجد له وأقام مذبحاً لبعل فى بيت البعل الذى بناه فى السامرة وعمل آخاب سوارى وزاد أخاب فى العمل لإغاظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله"[3].

وقال عن ابنه اخزيا "وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيه وطريق أمه وطريق يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ وعبد البعل وسجد له وأغاظ الرب إله إسرائيل حسب كل ما فعله أبوه"[4].

أما أخوه يهورام فبالرغم من أن السفر قد ذكر أنه عمل الشر فى عينى الرب ولكن ليس كأبيه وأمه حيث أنه أزال تمثال البعل الذى عمله أبوه إلا أنه يذكر أنه لصق بخطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ لم يحد عنها"[5].

أما الملك ياهو الذى أقامه الرب ليقضى على عبادة البعل فقد مدحه كتاب الأسفار من أجل ذلك إلا أنهم قالوا "ولكن خطايا يربعام الذى جعل

---

(١) ملوك أول ١٦ : ١٩.
(٢) ملوك أول ١٦ : ٢٥ – ٢٦.
(٣) ملوك أول ١٦ : ٣٠ – ٣٣.
(٤) ملوك أول ٢٢ : ٥٢ – ٥٣.
(٥) ملوك ثان ٣ : ٢ – ٣.

إسرائيل يخطئ لم يحد ياهو عنها أى عجول الذهب التى فى بيت إيل والتى فى دان – ولكن ياهو لم يتحفظ للسلوك فى شريعة الرب إله إسرائيل، لم يحد عن خطايا يربعام[١].

وذكر السفر عن ابنه يهواحاز أنه عمل الشر فى عينى الرب وسار وراء خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ لم يحد عنها[٢].

وقال أيضاً عن حفيدة يهوآش بن يهواحاز "إنه عمل الشر فى عينى الرب ولم يحد عن جميع خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ بل سار بها[٣].

وقال كذلك عن يربعام بن يهواش "وعمل الشر فى عينى الرب لم يحد عن شيء من خطايا يربعام[٤].

وعن ابنه زكريا قال إنه "عمل الشر فى عينى الرب كما عمل آباؤه لم يحد عن خطايا بعام[٥].

وكذلك قال عن منحيم بن حادي[٦] وعن ابنه فقحيا[٧] وأيضاً عن فقح بن رمليا[٨] أما عن آخر ملوك إسرائيل فقد ذكر أنه عمل الشر فى عينى الرب ولكن ليس كملوك إسرائيل الذين كانوا قبله[٩].

وهكذا وجدنا أن سائر ملوك إسرائيل قد توارثوا خطايا يربعام، واستمروا فى ممارسة الطقوس الوثنية، حتى إن سفر الملوك الثانى أرجع زوال مملكة إسرائيل

---

(١) راجع سفر الملوك الثانى ١٠ : ٢٩ – ٣١.
(٢) ملوك ثان ١٣ : ٢.
(٣) ملوك ثان ١٣ : ١١.
(٤) ملوك ثان: ١٤ : ٢٤.
(٥) ملوك ثان ١٥ : ٩.
(٦) ١٥ : ١٦.
(٧) ١٥ : ٢٤.
(٨) ١٥ : ٢٨.
(٩) ١٧ : ٢.

وتخريب السامرة وسبى الإسرائليين إلى أشور أرجع ذلك إلى استغراقهم فى الوثنية وعكوفهم على طقوسها.

يقول السفر: "وكان أن بنى إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يدى فرعون ملك مصر واتقوا آلهة أخرى، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل ولملوك إسرائيل الذى أقاموهم، وعمل بنو إسرائيل سراً ضد الرب إلههم أموراً ليست بمستقيمة وبنوا لأنفسهم مرتفعات فى جميع مدنهم من برج النواطير إلى المدينة المحصنة، وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وسوارى على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء.

وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم وعملوا أمورا قبيحة[1] لإغاظة الرب، وعبدوا الأصنام التى قال الرب عنها لا تعملوا هذا الأمر.

وأشهد الرب على إسرائيل عن يد جميع الأنبياء وكل راء قائلاً: ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياى فرائض حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آباءكم والتى أرسلتها إليكم عن يد عبيدى الأنبياء، فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم، ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهادته التى شهد بها عليهم وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن – لا يعملوا مثلهم، وتركوا جميع وصايا الرب الههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل، وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار[2] وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعو أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لإغاظته فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده[3].

---

(١) من هذه الأمور القبيحة ممارسة الزنى واللواط وإشاعة الفاحشة وما يعرف بالعهر القدس وتفاصيل ذلك فى الباب الثالث.

(٢) والمقصود بذلك ما يعرف بالتضحية البشرية أو ممارسة القرابين البشرية والتفاصيل فى كتابى القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود ١٤١٠ – ١٩٩٠ طنطا.

(٣) يشير السفر فى نفس الموضع إلى أن سكان مملكة يهوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب الههم بل سلكوا فى فرائض إسرائيل التى عملوها (ملوك ثان ١٧ : ١٩).

فرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه لأنه شق إسرائيل عن بيت داود فملكوا يربعام بن نباط فأبعد يربعام إسرائيل من وراء الرب وجعلهم يخطئون خطية عظيمة، وسلك بنو إسرائيل فى جميع خطايا يربعام التى عمل، لم يحيدوا عنها، حتى نحى الرب إسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده – الأنبياء فسبى إسرائيل من أرضه إلى أشور إلى هذا اليوم[1]3

مملكة يهوذا:

أما مملكة يهوذا فلم تكن بعيدة عن الوثنية وإنما كانت غارقة فيها حيث إنها سارت فى نفس الطريق الذى سلكت فيه إسرائيل.

يذكر موسكاتى أن ملوك يهوذا بالرغم من أنهم ظلوا مخلصين للمعبد الكبير فى أورشليم إلا أنهم غضوا النظر فى بداية الأمر عن عبادة الآلهة الأجنبية فقدر للملكتين معاً أن تشهدا دخول عبادات وطقوس وثنية[2].

وأخذت الوثنية تضرب بأطنابها فى أنحاء المملكة جميعاً وتفشى فيها الكفر والفسوق والإنحلال وكان الانحراف الدينى شاملاً شمولاً عجيباً فى معظم حقبها، حتى كان بيت الرب مملوءاً بالرجاسات والأصنام والمشاهد الوثنية ومسرحاً لإقامة الطقوس الوثنية فضلا عن الأماكن الأخرى وفى كل ناحية من أنحاء الدولة[3].

يقول سفر الملوك الأول: وعمل يهوذا الشر فى عينى الرب وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التى أخطأوا بها وبنواهم أيضاً لأنفسهم مرتفعات وأنصاباً وسوارى على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء، وكان أيضاً مأبونون

---

(١) ملوك ثان ١٧: ٧ – ١٣.

(٢) راجع الحضارات السامية القديمة صـ١٤٤ – ١٤٥، راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٤٠١.

(٣) د/ حسن ظاظا: الصهيونية العالمية وإسرائيل صـ، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ٢٣٣، حسين ذو الفقار صبرى: إنما الأمور بأصولها صـ١٧ – مجلة المجلة العدد ١٥١ عام ١٩٦٩.

فى الأرض فعلوا حسب كل أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل[١].

فعلى الرغم من حماسة رحبعام المتقدمة للدين فى مستهل حكمه، إلا أنه قد استسلم أخيراً لقيادة الأوثان[٢].

ورد فى سفر أخبار الأيام الثانى "ولما ثبتت مملكة رحبعام وتشددت ترك شريعة الرب هو وكل إسرائيل معه[٣].

وذكر السفر أنه "عمل الشر لأنه لم يهيئ قلبه لطلب الرب"[٤].

وجاء من بعده ابنه ابيام "وسار فى جميع خطايا ابيه التى عملها قبله ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الهه كقلب داود أبيه[٥].

ثم تولى من بعدهما آسا الذى عمل ما هو مستقيم فى عينى الرب كداود أبيه وأزال المأبونين من الأرض[٦] ونزع جميع الأصنام التى عملها آباؤه حتى إن معكة أمه خلعها من أن تكون ملكة لأنها عملت تمثالاً لسارية وقطع آسا تمثالها وأحرقه فى وادى قدرون[٧].

وبرغم هذه الإصلاحات التى تعبر عن شيوع الوثنية فى عهد من سبقه، إلا أن المرتفعات لم تنزع[٨] وظلت قائمة فى عهده وهذا يعنى أنه لم يستطع القضاء تماماً على المظاهر الوثنية[٩].

---

(١) ملوك أول ١٤: ٢٢ - ٢٤.

(٢) راجع تفاصيل ذلك: صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ٢٤٩.

(٣) أخبار الأيام الثانى ١٢: ١.

(٤) المصدر السابق: ١٢: ١٤.

(٥) ملوك أول ١٥: ٣..

(٦).

(٧) ملوك أول ١٥: ١١ - ١٣.

(٨) ملوك أول ١٥: ١٤.

(٩) وخاصة أن سفر الملوك يذكر آن آسا لم يقض تماماً على المأبونين وإنما بقى فى أيامه عدد منهم أبادهم من بعده ابنه يهو شافاط (ملوك أول ٢٢: ٤٦).

وكذلك كان ابنه يهو شافاط فإنه كما يقول السفر "سار فى طريق آسا أبيه لم يحد عنها إذ عمل المستقيم فى عينى الرب إلا أن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزال يذبح ويوقد على المرتفعات[١].

أما ابنه يهورام فإنه سار فى طريق ملوك إسرائيل كما فعل بيت اخآب لأن بنت اخآب كانت له امرأة وعمل الشر فى عينى الرب[٢].

وقد أرسل إليه ايليا النبى من يقول له "هكذا قال الرب من أجل أنك لم تسلك فى طرق يهوشافاط أبيك، وطرق اسا ملك يهوذا بل سلكت فى طرق ملوك إسرائيل وجعلت يهوذا وأورشليم يزنون كزنا بيت اخآب وقتلت أيضاً إخوتك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك، هوذا يضرب الرب شعبك وبنيك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة وإياك بأمراض كثيرة بداء أمعائك حتى تخرج أمعاؤك بسبب المرض يوما فيوما[٣].

وكذلك كان ابنه اخزيا إذ أنه سار فى طريق بيت اخآب وعمل الشر فى عينى الرب كبيت اخآب لأنه كان صهر بيت اخآب[٤].

أما يهواش فإنه عمل المستقيم فى عينى الرب كل أيام يهوياداع[٥] إلا أن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزالوا يذبحون ويوقدون على المرتفعات[٦].

ثم حدث بعد أن مات يهوياداع جاء رؤساء يهوذا وسجدوا ليهوآش حينئذ سمع

---

(١) ملوك أول ٢٢: ٤٣.

(٢) ملوك ثان ٨ ك ١٨.

(٣) أخبار ثان ٢١: ٢١ – ١٥.

(٤) ملوك ثان ٨: ٢٧ ويقول سفر الأخبار "وهو أيضاً سلك فى طريق بيت اخآب لأن أمه كانت تشير عليه بفعل الشر فعمل الشر فى عينى الرب مثل بيت اخآب لأنهم كانوا له مشيرين بعد وفاة أبيه لإبادته "أخبار ثان ٢٢: ٣ – ٤".

(٥) يهوياداع هو الكاهن الأكبر الذى تولى القضاء على عبادة البعل التى نشرتها عثليا أم اخزيا وتمكن من إنقاذ يهوآش ثم ولاه الملك تحت حمايته (راجع الفصل الخاص بتاريخ اليهود: عصر الانقسام).

(٦) ملوك ثان ١٢: ٢ – ٣، أخبار ثان ٢٤: ٢.

لهم وتركوا بيت الرب اله آبائهم وعبدوا السوارى والأصنام فكان غضب على يهوذا وأورشليم لأجل اثمهم هذا وأرسل إليهم أنبياء لارجاعهم إلى الرب وأشهدوا عليهم فلم يصغوا[1].

وبلغ من تمكن الوثنية منهم أن زكريا بن يهوياداع الكاهن وقف فوقهم وقال لهم هكذا يقول الله لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون لأنكم تركتم الرب قد تركككم ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك فى دار بيت الرب ولم يذكر يوآش المعروف الذى عمله يهو ياداع أبوه معه بل قتل ابنه[2].

أما أمصيا ابنه فقد عمل ما هو مستقيم فى عينى الرب ولكن ليس بقلب كامل، عمل حسب كل ما عمل يوآش أبوه إلا أن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات[3].

ويروى سفر الأخبار أنه عبد آلهة الادوميين وسجد لهم[4].

وكذلك ابنه عزربا عمل ما هو مستقيم فى عينى الرب حسب كل ما عمل أمصيا ابوه ولكن المرتفعات لم تنزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات، وضرب الرب الملك فكان أبرص إلى يوم وفاته وأقام فى بيت المرض[5].

ثم جاء من بعده يوثام وعمل المستقيم فى عينى الرب إلا أن المرتفعات. كما تذكر الأسفار أيضا لم تنزع بل كان الشعب لا يزالون يفسدون ويذبحون ويوقدون على المرتفعات[6].

أما آحازين يوثام فإنه لم يفعل المستقيم فى عينى الرب اله كداود أبيه بل سار فى

---

(١) أخبار ثان ٢٤: ١٧ - ١٩.
(٢) ملوك ثان ١٢: ٢٠، أخبار ثان ٢٤: ٢٠ - ٢٢.
(٣) ملوك ثان ١٣: ٣ - ٤، أخبار ثان ٢٥: ٢.
(٤) أخبار ثان ٢٥: ١٤.
(٥) ملوك ثان ١٥: ٣ - ٥.
(٦) ملوك ثان ١٥: ٣٤ - ٣٥، أخبار ثان ٢٧: ٢.

طريق ملوك إسرائيل حتى إنه عبر ابنه فى النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء[1].

لكن ابنه حزقيا حينما تولى أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى (بزعمهم) لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان.

ويذكر السفر أنه اتكل على الرب إله إسرائيل ولم يكن مثله فى جميع ملوك يهوذا ولا فى الذين كانوا قبله التصق بالرب ولم يحد عنه[2].

ورغم ذلك فإن سفر أخبار الأيام الثانى يذكر أن "حزقيا مرض إلى حد الموت وصلى إلى الرب فكلمه وأعطاه علامة ولكن لم يرد حسبما أنعم عليه لأن قلبه ارتفع فكان غضب عليه وعلى يهوا وأورشليم[3].

ولكن الإصلاح الذى قام به حزقيا قد ذهب سدى وضاع هباء إذ أن ابنه منسى كما تذكر الأسفار "عمل الشر فى عينى الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل، وعاد فبنى المرتفعات التى هدمها حزقيا أبوه، وأقام مذابح للبعليم وعمل سوارى وسجد لكل جند السماء وعبدها وبنى مذابح فى بيت الرب الذى قال عنه الرب فى أورشليم يكون اسمى إلى الأبد، وبنى مذابح لكل جند السماء فى دارى بيت الرب، وعبر ابنه فى النار وعاف وتفاءل وسحر واستخدم جانا وتوابع واكثر من عمل الشر فى عينى الرب لإغاظته، ووضع تمثال السارية التى عمل فى البيت الذى قال الله عنه لداود وسليمان ابنه فى هذا البيت وفى أورشليم التى اخترت من جميع أسباط إسرائيل أضع اسمى إلى الأبد[4].

---

(١) ملوك ثان ١٦: ٢ – ٤، أخبار ثان ٢٨: ١ – ٤.

(٢) ملوك ثان ١٨: ٣ – ٦، راجع تفاصيل الإصلاح الدينى الذى قام به حزقيا فى سفر الأخبار الثانى (٣١: ١ – ٢١).

(٣) أخبار ثان ٣٢: ٢٤ – ٢٥.

(٤) ملوك ثان ٢١: ٢ – ٧، أخبار ثان ٣٣: ٢ – ٧.

وهكذا وجدنا مدى استغراق منسى فى الوثنية حتى إن العلماء والمؤرخين ليذهبون إلى أن عصر الوثنية الحقيقى فى يهوذا كان متمثلاً فى زمن حكم منسى (٦٩٨ – ٦٤٣ ق. م) الذى كان يعد بحق ايزابل مملكة الجنوب بل ربما تمادى فى وثنيته عن ايزابيل.

بل إن الكثيرين يرون أنه بالرغم من أن عسر اخآب وزوجته ايزابل كان سيئاً بما فيه الكفاية إلا أن عصر منسى كان يعتبر أسوأ منه بكثير[١].

ومع أن العصرين قد شهدا أعنف الاضطهادات الدموية التى وقعت على عبدة يهوه كما أن كلا من الملكين قد أدخل فى مملكته عنصراً أو أكثر من العبادات الوثنية الأجنبية إلا أن وثنية منسى كانت فريدة فى نوعها على نحو يثير التساؤلات.

وأيضاً فإن وثنية منسى لم تكن قاصرة على حدود أورشليم وإنما نشر عبادة الأوثان فى مدن فرعية أيضاً.

وهنا نجد اختلافاً بين وثنية منسى ووثنية اخآب إذ كانت عبادة ايزابل للبعل قاصرة على العاصمة وحدها فلا نجدها خارج السامرة.

كما أن الأسفار لم تذكر عن اخآب أنه خطأ إسرائيل بعبادة البعل فى حين ذكرت عن منسى أنه خطأ يهوذا بأصنامه[٢].

والواقع أن العلماء والباحثين يعتبرون منسى لغزاً فى حد ذاته حيث إن وثنيته كانت فريدة بين الوثنيات التى شهدتها عصور غيره من الملوك.

فمن اليسير علينا إدراك الدوافع التى ساعدت على ظهور الانحراف الوثنى فى عصر اخآب حيث كانت ايزابيل الصيدونية هى السبب، ولكن فيما يتعلق بالملك منسى فإن أحدا لم يتمكن بالتحديد من معرفة الظروف الحقيقة التى دفعته إلى هذه الوثنية المتمادية والدوافع التى جعلته أشد المتعصبين لها.

---

(١) سيتبين لنا مدى سوء وثنية اخآب وايزابل الفينيقية فى الباب الثالث عند الحديث عن تأثر الإسرائيليين بعبادة البعل.

(٢) ملوك ثان ٢١: ١١، ١٦.

وخاصة أننا نرجع بذاكرتنا إلى العصر الذى ورثه منسى والذى عاش فيه طفولته مهما قيل عن قلة السنوات التى عاشها فى ذلك العصر قبل أن يكون ملكاً.

فإنه مما لا شك فيه أن منسى شب فى مدينة أورشليم فى جو حكم فيه حزقيا الذى فعل كل ما هو مستقيم فى عينى الرب "على نحو ما ذكرت آنفا".

كما أنه عاصر النبى اشعيا الذى ظل نشطاً – دون شك – إلى ما بعد موت حزقيا.

ومن ثم فإن منسى شب من أحضان عقيدة يهوه وفى جو مناهض لأية وثنية فكيف أصبح هذا الرجل وثنياً، بل كيف كان بحق – فيما يرى البعض – الوثنى الحقيقى بين ملوك إسرائيل ويهوذا؟[1].

هذه هى القضية: إن وثنية هذا الشعب لم تكن مجرد خضوع لغزو خارجى وإنما هى طبيعة اليهود المادية وميلهم الشديد إلى الوثنية، ولو استحضرنا ذلك لزال عنا التعجب من وثنية منسى، ولتأكد لدينا قوة قابليته للوثنية وسرعة استجابته لها وضعف إيمانه أمام – اغراءاتها.

ولا يقدح فى ذلك محاولة تقربه من الأشوريين وإرضائه لغرورهم حيث كانوا يبغون نشر ديانتهم وشيوع وثنيتهم[2].

ويجب أن لا يغيب أيضاً عن بالنا أن الشعب اليهودى قد تفاعل تماماً مع منسى فى نشر وثنيته فتقبلها بقبول حسن واستغرق فيها استغراقاً طويلاً.

---

(١) راجع موسكاتى: الحضارات السامية القديمة صـ ١٤٦ د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتى صـ ٢٨٢ ناقلا عن لودز وروبنسون وغيرهما، راجع أيضاً محمد على حسن هوارى: الألوهية صـ ٣٩٠ – ٣٩٤ ناقلاً عن مصادر عبرية وإنجليزية.

(٢) يذكر المؤرخون أن منسى حاول إرضاء آشور والاستسلام لإرادتها فتقرب إليهم بإدخال كثير من العبادات الوثنية الأجنبية، ولذلك فهم يرجحون أن مجمع الآلهة الذى أقامة منسى كان يضم معبودات كنعانية وأشورية وأن العناصر الأشورية كانت الغالبة فيه، وأنها قد دخلت إلى وثنية منسى فرضاً، وذلك لحرص آشور الدائم على إدخال عناصر من ديانتها فى ديانة البلاد التى تحتلها أو تدو فى فلكها (راجع موسكاتى الحضارات السامية القديمة صـ ١٤٦، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٢٨٩، محمد على حسن هوارى: الألوهية صـ ٥١٥).

فإذا علمنا أن منسى قد حكم خمساً وخمسين سنة فى أورشليم[1] وأنه لم يقتل بل مات ميتة عادية، فإن ذلك يشير إلى أنه لم يجد مقاومة فعلية من الشعب لسياسته الدينية واقتصرت هذه المعارضة على أقوال الأنبياء.

وإنما على العكس من ذلك قد وجد استحساناً لهذه السياسة وقبولا لذلك الاتجاه – الوثنى فى أعين دوائر كثيرة من اليهود حيث أنهم أورثوا العرش لابنه آمون الذى فاق أباه فى وثنيته[2].

ولذلك فإن العماء يرجحون أن وثنية منسى لم تكن وثنية خاصة بالملك ورجاله فقط بل كانت وثنية استحسنها الشعب فضربت جذورها فيهم[3].

ومن المرجح أن يكون ذلك هو السبب الذى أزعج محررى العهد القديم فكرروا ما سجلوه بأن حكم التخريب على أورشليم ووقوع السبى البابلى كان بسبب خطايا منسي[4].

ويذكر صموئيل شولتز أن الحالة الأخلاقية والدينية فى يهوذا كانت تفوق سوءاً عن جميع الدول التى طردت من أرض كنعان، ومن ثم فإن تاريخ منسى يرمز إلى أشر فترة فى تاريخ ملوك داود[5].

ويذكر الدكتور/ محمد بيومى مهران أن منسى كان له شهرة سيئة من الناحية

---

(١) ملوك ثان ٢١: ١، أخبار ثن ٣٣: ١.

(٢) ملوك ثان ٢١: ١٨، أخبار ثان ٣٣: ٢٠، ٢٣.

(٣) راجع محمد على حسن هرارى: الألوهية صـ ٤٠٨ – ٤٠٩.

(٤) تذكر الأسفار أن اليهود قد أظلهم منسى ليعلموا ما هو أقبح من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل، وتكلم الرب عن يد عبيده الأنبياء قائلاً: من أجل منسى ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذى عمله الأموريون الذين قبله وجعل أيضاً يهوذا يخطئ بأصنامه، لذلك هكذا قال الرب اله إسرائيل، هاأنذا جالب شراً على أورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تطن أذناه، وأمد على أورشليم خيط السامرة ومطمار بيت اخآب وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن يمسحه ويقلبه على وجهه وأرفض بقية ميراثى وأدفعهم إلى أيدى اعدائهم فيكونون غنيمة ونهباً لجميع أعدائهم (ملوك ثان ٢١: ٩ – ١٤) راجع الملوك الثانى ٢٣: ٢٦ – ٢٧.

(٥) العهد القديم يتلكم صـ ١٨٩.

الدينية ذلك لأنه إنما كان كافراً بدين "يهوه" متبنياً لطقوس سادته الوثنية، بما فيها من عبادة الكواكب والتضحية بالأطفال، ومن هنا فقد اعتبرت هذه المرحلة أسوأ وأقسى ردة وثنية فى تاريخ يهوذا، وأما ما هو أكثر دهشة فى هذه المرحلة فإن هذه الأهوال إنما كان يمارسها هؤلاء القوم الذين ادعوا أنهم عباد يهوه، إنما كانوا يعتقدون أنهم بممارستهم مثل هذه الأعمال، يصبحون جديرين برعاية رب إسرائيل[١].

هذا ولم تنته وثنية منسى بموته وإنما تولى من بعده ابنه آمون[٢] الذى تابعه فى نشر الوثنية.

يذكر سفر الملوك أن آمون (عمل الشر فى عينى الرب كما عمل منسى أبوه وسلك فى كل الطريق الذى سلك فيه أبوه وعبد الأصنام التى عبدها أبوه وسجد لها وترك الرب اله آبائه ولم يسلك فى طريق الرب[٣].

بل إن سفر الأخبار يذكر أن آمون ذبح لجميع التماثيل التى عمل منسى أبوه وعبدها ولم يتواضع أمام الرب بل ازداد إثماً[٤].

ومعنى ذلك أنه بالغ فى الولع بالوثنية حتى فاق أباه فى نشرها.

ويذكر شولتز أن فترة حكمه بالرغم من أنها كانت قصيرة[٥] إلا أن المثال السيئ الذى وضعه أمام شعب يهوذا خلالها هيأ الفرصة لحدوث ارتداد رهيب، وأن عهده يمثل آخر الفترات التى شهدت تصاعداً مخيفاً وبلا حدود فى الوثنية[٦].

ومما يدل على استغراق اليهود فى عصر آمون فى الوثنية أنه حين ثار عليه عبيده –

---

(١) دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ ٨ صـ ٩٧٨ نقلا عن مصدر أجنبى.

(٢) جاء فى قاموس الكتاب المقدس أنه ربما يظهر من الاسم (آمون) وثنية أبيه منسى فى اختيار اسم وثنى لابنه، وقد سار آمون على مثال أبيه فى عبادة الأوثان صـ ٧.

(٣) ملوك ثان ٢١: ٢٠ – ٢٢.

(٤) أخبار ثان ٣٣: ٢٢ – ٢٣.

(٥) كانت فترة حكمه سنتين فقط (ملوك ثان ٢١: ١٩).

(٦) العهد القديم يتكلم صـ ٢٩١.

وقتلوه فى بيته ضرب كل الشعب – أو شعب الأرض – جميع الفاتنين عليه وملكوا ابنه يوشيا عوضاً عنه[1].

وهذا يعنى شدة ارتياحهم للوثنية ومدى استمتاعهم وتلذذهم بها، حتى إنهم قد فجعوا بموته وأحسوا أن هناك قلقاً يهدد الوثنية فضربوا على أيدى الثائرين وملكوا من هو من صلب هذا الوثنى حتى تبقى لهم الوثنية.

وحينما تولى يوشيا الملك ترك كل شيء على ما هو عليه حتى تم العثور على سفر الشريعة فى الثامنة عشرة من ملكه كما سبق أن أشرت إلى ذلك فى الفصل السابق.

وبعد قراءة هذا السفر بدأ يوشيا بحركة إصلاح وتطهير، ويهمنا هنا التعرف على هذه الحركة لنتبين ضخامة الوثنية التى حاول يوشيا القضاء عليها ومدى تغلغلها فى نفوس اليهود وبين صفوفهم.

يذكر سفر الملوك الثانى أن الملك يوشيا أمر حلقيا الكاهن العظيم وكهنة الفرقة الثانية وحراس الباب أن يخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل أجناد السماء وأحرقها خارج أورشليم فى حقول قدرون وحمل رمادها إلى بيت ايل ولا شى كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقدوا على المرتفعات فى مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم والذين يوقدون للبعل للشمس والقمر والمنازل ولكل أجناد السماء.

وأخرج السارية من بيت الرب خارج أورشليم إلى وادى قدرون ودقها إلى أن صارت غباراً وذرى الغبار على قبور عامة الشعب.

وهدم بيوت المأبونين التى عند بيت الرب حيث كانت النساء ينسجن بيوتاً للسارية وجاء بجميع الكهنة من مدن يهوذا ونجس المرتفعات حيث كان الكهنة يوقدون من جبع إلى بئر سبع وهدم مرتفعات الأبواب التى عند مدخل باب يشوع رئيس المدينة التى عن اليسار فى باب المدينة، إلا أن كهنة المرتفعات لم يصعدوا إلى

---

(١) ملوك ثان ٢١: ٢٣ – ٢٤، أخبار ثان ٣٣: ٢٤ – ٢٥.

مذبح الرب فى أورشليم بل أكلوا فطيراً بين أخوتهم، ونجس توفة التى فى وادى بنى هنوم لكى لا يعبر أحد ابنه أو ابنته فى النار لمولك.

وأباد الخيل التى أعطاها ملوك يهوذا للشمس عند مدخل بيت الرب عند مخدع نثنملك الخصى الذى فى الأروقة، ومركبات الشمس أحرقها بالنار، والمذابح التى على سطح عِلِّية آحاز التى عملها ملوك يهوذا والمذابح التى عملها منسى فى وادى بيت الرب هدمها الملك وركض من هناك وذرى غبارها فى وادى قدرون.

والمرتفعات التى قبالة أورشليم التى عن يمين جبل الهلاك التى بناها سليمان ملك إسرائيل (حسب زعم السفر، لكن الحقيقة أن الملوك الذين جاءوا من بعده هم الذين بنوها) لعشتروت رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة المرآبيين وللملكوم كراهة بنى عمون نجسها الملك (أى يوشيا).

وكسر التماثيل وقطع السوارى وملأ مكانها من عظام الناس.

وكذلك المذبح الذى فى بيت ايل فى المرتفعة التى عملها يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ فذانك المذبح والمرتفعة هدمهما وأحرق المرتفعة وسحقها، حتى صارت غباراً، وأحرق السارية.

والتفت يوشيا فرأى القبور التى هناك فى الجبل فأرسل وأخذ العظام من القبور وأحرقها على المذبح ونجسه حسب كلام الرب الذى نادى به رجل الله الذى نادى بهذا الكلام، وقال ما هذه الصورة التى أرى فقال له رجال المدينة هى قبر رجل الله الذى جاء من يهوذا ونادى بهذه الأمور التى عملت على مذبح بيت ايل، فقال دعوه لا يحركن أحد عظامه فتركوا عظامه وعظام النبى الذى جاء من السامرة.

وكذا جميع بيوت المرتفعات التى فى مدن السامرة التى عملها ملوك إسرائيل للإغاظة أزالها يوشيا وعمل بها حسب جميع الأعمال التى عملها فى بيت ايل.

وذبح جميع كهنة المرتفعات التى هناك على المذابح وأحرق عظام الناس عليها ثم رجع إلى أورشليم[1].

---

(١) سفر الملوك الثانى ٢٣: ٤ - ٢٠.

ولعلنا حين اطلعنا على أخبار هذه الحركة الإصلاحية والتطهيرية لابد أن نستنتج حتماً أن يوشيا قد أزال الوثنية تماماً وتمكن من إبادتها والقضاء عليها وأن الملوك الذين جاءوا بعده سيتبعون نهجه.

إلا أننا نجد – كما تذكر الأسفار – أن وثنية منسى ظلت قائمة ولم تنته تماماً فى عصر يوشيا حيث يخبرنا ارميا أنه دعا الشعب للتوبة وأن لا يسيروا وراء الهة أخرى إلا أن الشعب لم يسمح له.

كذلك فإنه لا يمكننا إغفال تلك الإشارات الواردة فى سفر أرميا والتى نستنتج منها أن شعب إسرائيل عامة ظل على وثنيته فى عصر يوشيا، وأنه لم يحدث أى تغيير طوال عصر ارميا إذ يصف هذا السفر شعب إسرائيل بصفة عامة بأنه شعب وثني[1].

وأيضاً فإن سفر الملوك قد ذكر عقب عرضه لحركة إصلاح يوشيا أن الرب لم يرجع عن حمو غضبه العظيم لأن غضبه حمى على يهوذا من أجل جميع الإغاظات التى أغاظه أياها منسى فقال الرب إنى أنزع يهوذا أيضاً من أمامى كما نزعت إسرائيل وأرفض هذه المدينة التى اخترتها أورشليم والبيت الذى قلت يكون اسمى فيه[2].

هذا بالإضافة إلى أن الأسفار تذكر أن الملوك جاءوا بعد يوشيا (يهواحاز، يهوياقيم، يهوياكين، صدقيا) قد عملوا الشر فى عينى الرب حسب كل ما عمله آباؤهم وأن الرب قد غضب على شعب يهوذا لخيانته ولذلك فإنه مكن البابليين من تتدمير أورشليم وسبى اليهود إلى بابل[3].

---

(١) راجع تفاصيل عودة الشعب إلى الوثنية بعد يوشيا سفر ارميا ٣: ٦ – ١٠/ ٤: ٣/ ١١: ١: ٨/ ٢٥: ١ – ٧، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٢٩٨ – ٣٠٠، محمد على حسن هوارى: الألوهية صـ ٤٠٥ ناقلاً عن مصادر عبرية وإنجليزية.

(٢) ملوك ثان ٢٣: ٢٦ – ٢٧.

(٣) ملوك ثان ٢٣: ٣٢، ٣٧/ ٢٤: ٩، ١٩ – ٢٠، أخبار ثان ٣٦: ٥، ٨، ٩، ١٢، ويذكر بيت سفر الأخبار الثانى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا

وهكذا وجدنا أن كثيراً من ملوك إسرائيل وملوك يهوذا قد ارتكبوا كل ألوان العسف والعنف والظلم والاغتصاب والدعارة والفجوز ضد رعاياهم وتزوجوا من الوثنيات وعبدوا الآلهة الوثنية.

وكانت فترات البغى والقسوة والإنحراف أطول من فترات الإستقامة والصلاح.

وكان عدد الملوك المنحرفين أكثر بكثير من الملوك المستقيمين، بل إن من المستقيمين من سجلت عليهم الأسفار بعض الإنحرافات وإن لم تكن خطيرة كانحرافات الأولين[1].

حتى إن أنبياء العهد القديم قد نظروا إلى الملكية نظرة ملؤها الريبة والشبهات، وذلك لأن الملكيات فى البلدان المجاورة كانت تجنح دائماً إلى آلهة كثيرة تثبت دعائم عروشها، ولأنهم وجدوا أن الشعب اليهودى قد استورد آلهة غربية باغراء الملكات والأميرات الأجنبيات حتى لقد قيل إن الملكية كانت تحدياً ليهوه واعتداء صارخاً على العهد[2].

وإذا أخذنا بالمثل القائل إن الناس على دين ملوكهم اتضح لنا مدى انسياق اليهود فى المملكتين إلى الوثنية وشدة استغراقهم فى ممارسة طقوسها، إذ كانوا يتشبهون بهم مع ما كان لديهم من استعداد تام لتقبل هذه الوثنية.

الأنبياء ومكافحة الوثنية:

هذا ونستطيع أن نطلع على مزيد من النصوص التى توضح لنا تعمق الشعب اليهودى واستغراقه فى الوثنية وذلك من خلال قراءة أسفار الأنبياء ومن خلال دعواتهم:

بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم فأرسل الرب إليهم رسلاً فأخذوا يهزأون بهم ورذلوا كلام الرب وتهاونوا بانبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده (٣٦: ١٤ – ١٧).

(١) راجع زكى شنودة: المجتمع اليهودى صـ ٤٢٩ – ٤٣٠، محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ ٢٣٣، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ صـ ٦١١.

(٢) حبيب سعيد: أديان العالم صـ ١٨١ – ١٨٢.

كما تبين لنا من خلال الفصول السابقة أنه قدر لتاريخ اليهود السياسى حتى النفى إلى بابل، أن تلازمه دون فكاك دعوة الأنبياء إذ تابعوا تقلباته جميعاً، ونددوا دائماً بسياسة الحكام وكانوا يدعون إلى نقاء القلب وتواضعه واستقامة السلوك والإخلاص للعهد المعقود مع الله، ويفسرون مصائب الدولة اليوم أو غداً – كما يتنبأون – بأنها نتيجة لانحراف الناس عن الولاء لله بعد أن أضلهم الحكام، وكان يميز دعوتهم العداء للتطور السياسى الدينى الذى شهده عصر الملكية، وأدى إلى تلويث دين يهوه القديم وفساده فنددوا – بالبدع الوثنية وبذلك عارضوا السلطة الملكية معارضة صريحة ورأوا فى الملكية بدعة منكرة ونظاماً منقولاً عن العالم الخارجى المعادى لإسرائيل[١].

ويذكر جرهاردوس فوس أن سواد الشعب كانوا يعيشون فى مستوى منحط دينياً وأن دعوة الأنبياء كانت على الدوام فى حرب شعواء ضد اتجاهات الشعب الوثنية[٢].

وقد ظهرت طليعة الأنبياء الكبار فى مملكة إسرائيل فى القرن التاسع ق. م. حين قام فيها الياهو[٣] واليشاع[٤]، وإليهما يرجع رد الفعل ضد وثنية اخآب (حوالى ٨٦٧ – ٨٥٤ ق. م.) والقضاء فى عهد ياهو (حوالى ٨٤٢ – ٨١٥ ق. م.) على صور العبادة الوثنية إلا أنه لم تكن لهذا الإصلاح نتائج باقية، إذ أن الانحرافات القديمة لم تلبث أن عادت إلى الظهور وتدلنا الكشوف الأثرية على كثرة الأشجار المقدسة من النمط الكنعانى ومذابح البخور والتماثيل الصغيرة للآلهات والتمائم[٥].

---

(١) موسكاتى: الحضارات السامية صـ ١٤٥، شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائليين صـ ٣١ قاموس الكتاب المقدس صـ ٧١.

(٢) علم اللاهوت الكتابى صـ ٤٣٧ ترجمة د/ عزت زكى دار الثقافة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٢.

(٣) ايلياهو أو ايليا اسم عبرى ومعناه "الهى يهوه" والصيغة اليونانية لهذا الاسم هى اليأس وتستعمل أحياناً فى العربية وهو نبى عظيم عاش فى المملكة الشاملية وعاصر الملك اخآب وزوجته ايزابل وقام بمحاربتهما ومحاربة عبادة البعل (راجع تفاصيل الحديث عنه فى قاموس الكتاب المقدس صـ ١٤٤، ١٤٥).

(٤) أليشع اسم عبرانى معناه "الله خلاص" وهو خليفة ايليا فى العمل النبوى فى المملكة الشاملية (راجع تفاصيل الحديث فى المصدر السابق صـ ١١١ – ١١٢).

(٥) موسكاتى: الحضارات السامية القديمة صـ ١٤٥.

وقد تعاقب أنبياء جدد فى منتصف القرن الثامن ق.م: عاموس، وهوشع، وميكا (ميخا).

وإذا كانت دعوة الياهو واليشع بالعمل أكثر منها بالقول فلم يخلف لنا أسفاراً مكتوبة تعبر عن دعوتها، فإن هؤلاء الأنبياء كانوا ينذرون الناس وينصحونهم بمواعظ وصلت إلينا فى تلك الأسفار من العهد القديم التى تحمل أسماءهم[1].

ولقد احتوت هذه الأسفار العديدة المنسوبة إليهم وإلى أنبياء آخرين عاشوا فى أيام بعض ملوك يهوذا وإسرائيل – تنديدات وتقريعات وتنبوءات ورؤى متنوعة يبرز من خلالها صورة قوية لما كانت عليه الدولتان من انحرافات خلقية ودينية واجتماعية وما قاساه أهلها من بلاء شديد علل بأنه كان نتيجة لهذه الإنحرافات[2].

ومن هذه الأسفار يمكن أن نتخير سفرين هما سفر ارميا وسفر حزقيال:

سفر ارميا والوثنية الإسرائيلية:

فمثلاً فى سفر أرميا نجد أن أرميا يدعو الشعب إلى حفظ وصايا العهد ولكنهم يجيبونه باباحة الوثنية.

فقد اكتسحت الوثنية الأرض المقدسة فى أيام أرميا على شكل عبادة آلهة عديدة، ولم تكتف بذلك بل اكتسحت آداب الشعب المختار !! فصاروا يعيشون على غرار جيرانهم الوثنيين وصارت أماكن العبادة العالية حتى باحات الهيكل ذاته تشهد كل أنواع الفساد والرجاسة والفجور مما أتت به عبادة الأوثان.

هذا الانحطاط الذى منيت به الآداب الأخلاقية بلغ درجة أصبحت فيها السرقة والقتل والزنا والجحود أموراً عادية مما حدا بالنبى على أن يشن عليها أشد حملاته، فلقد ذعر لما رأى من ترك سكان أورشليم من كبيرهم إلى صغيرهم أبسط شرائع

---

(١) المصدر السابق.

(٢) محمدعزة دروزة تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ ٢٣٤.

العهد ووصاياه وكانت حالة الارتداد التى وصلت إليها إسرائيل فى عهد ارميا مرعبة ومخيفة[1].

ذلك لأن تأثير النهضة الروحية التى قام بها حزقيا واشعيا التى استطاعت أن تصدر تيار التسفل والانحطاط وقتياً لكنه سرعان ما زال وعبر – بل إن الإصلاحات العظيمة التى قام بها يوشيا والتى أثرت فى الشعب فى مظاهرهم أكثر مما أثرت فى قلوبهم لم تفلح فى أن تحول دون القصاص المحتوم.

إذ أن مملكة يهوذا لم تتعظ مما حل بأختها مملكة إسرائيل بل إنها سرعان ما انحدرت إلى نفس الطريق لكى يقضى عليها بنفس القصاص، فالملك والحاشية والرؤساء والشعب – والأنبياء والكهنة سرت إليهم عدوى الرذائل التى لأجلها طرد الكنعانيون من أرض الموعد من عدة أجيال.

فقد حفل كل جبل بغابة كثيفة من الأشجار الخضراء التى مارس الشعب تحت ظلالها الفرائض الوثنية البغيضة وعبادة الطبيعة القبيحة، وامتلأت كل أرجاء البلاد بالهياكل التى تشيدت لعبادة البعل وعشتاروت وكل جند السماء كما امتلأت بالأوثان الداعرة.

وكان كهنة هذه العبادات الرجسة يغدون ويروحون فى المدن بملابسهم القاتمة يعلمون الشعب أن الرذيلة جزء من العبادة وكانوا يغشون البيوت المركسة للدعارة، وتفشت كل أنواع الشرور دون مقاومة وازداد الجو فساداً والأرض رجساً بسبب انتشار السرقة والقتل والزنى والعبادة الوثنية[2].

وها هى بعض نصوص هذا السفر تصور باعتراف اليهود أنفسهم استغراقهم فى الوثنية.

---

(١) راجع الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم صـ ٢٨٣، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٤٥٠ – ٤٥١.

(٢) راجع سفرا ارميا ٢: ٢٠، ٢٧، ٣٤/ ٥: ٧ – ٨، ٢٦، راجع د/ ماير: حياة أرميا صـ ١٥ – ١٦.

ورد فى الإصحاح الثانى أن الرب أوصاه أن يقول "اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل. هكذا قال الرب ماذا وجد فى آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا، ولم يقولوا أين هو الرب الذى أصعدنا من أرض مصر الذى سار بنا فى البرية فى أرض قفر وحفر فى أرض يبوسة وظل الموت فى أرض لم يعبرها رجل ولم يسكنها إنسان وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها فأتيتم ونجستم أرضى جعلتهم ميراثى رجسا، الكهنة لم يقولوا أين هو الرب وأهل الشرعية لم يعرفوننى والرعاة عصوا على والأنبياء تنبأوا ببعل وذهبوا وراء ما لا ينفع[1].

فهو يبين انحراف اليهود وجنوحهم إلى الوثنية منذ أن خرجوا من مصر وحينما قدموا إلى أرض كنعان وظلت الوثنية ملازمة لهم ويفسر هذا بتفصيل أكثر فيقول:

"لأنه منذ القديم كسرت نيرك وقطعت قيودك وقلت لا أتعبد، لأنك على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء أنت اضطجعت زانية، وأنا قد غرستك كرمة سورق زرع حق كلها فكيف تحولت لى سروغ جفنة غريبة، فانك وإن اغتسلت بنطرون وأكثرت لنفسك الأشنان فقد نقش اثمك امامى يقول السيد الرب، كيف تقولين لم أتنجس وراء بعليم لم أذهب، أنظرى طريقك فى الوادى، اعرفى ما عملت ياناقة خفيفة ضبعة فى طريقها، ياأتان الفرإ قد تعودت البرية فى شهور نفسها تستنشق الريح، وعند ضبعها من يردها كل طالبيها لا يعيون، فى شهرها يجدونها، احفظى رجلك من الحفا وحلقلك من الظمأ فقلت باطل . لا. لأنى أحببت الغراء ووراءهم أذهب، كخزى السارق إذا وجد هكذا خزى بيت إسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم قائلين للعود أنت أبى للحجر أنت ولدتنى.

لأنهم حولوا نحوى القفا لا الوجه وفى وقت بليتهم يقولون قم وخلصنا، فأين آلهتك التى صنعت لنفسك، فليقوموا أن كانوا يخلصونك فى وقت بليتك لأنه على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا[2].

---

(١) ارميا ٢: ٤ - ٨.

(٢) سفر ارميا ٢: ٢٠ - ٣٠.

ثم يذكر ارميا فى الإصحاح الثالث أن الرب قال له "فى أيام يوشيا الملك، هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل[1] انطلقت إلى جبل عال وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك، فقلت بعدما فعلت كل هذه ارجعى إلى فلم ترجع، فرأت أختها الخائنة يهوذا فرأيت أنه لأجل كل الأسباب اذزنت العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها لم تخف الخائنة يهوذا أختها بل مضت وزنت هى أيضا، وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض وزنت مع الحجر ومع الشجر.

وفى كل هذا أيضا لم ترجع إلى اختها الخائنة يهوذا بكل قلبها بل بالكذب يقول الرب فقال الرب لى قد بررت نفسها العاصية إسرائيل أكثر من الخائنة يهوذا، أذهب وناد بهذه الكلمات نحو الشمال وقل ارجعى أيتها العاصية إسرائيل يقول الرب، اعرفى فقط اثمك أنك إلى الرب الهلك اذنبت وفرقت طرقك للغرباء تحت كل شجرة خضراء ولصوتى لم تسمعوا يقول الرب[2].

ثم يقول:

"حقاً أنه كما تخون المرأة قرينها هكذا ختنمونى يا بيت إسرائيل يقول الرب.

سمع صوت على الهضاب بكاء تضرعات بنى إسرائيل، لأنهم عوجوا طريقهم، نسوا الرب الههم ارجعوا أيها البنون العصاة فأشفى عصيانكم[3].

ثم يطلب منهم أن يجيئوا إليه ويعترفوا له "وقد أكل الخزى تعب آبائنا منذ صبانا

---

(١) لقد أطلق السفر على لسان الرب لقب العاصية على إسرائيل ولقب الخائنة على يهوذا بعد أن مثلهما وبعد أن ضرب هذا المثل فى بداية الإصحاح الثالث "إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر فهل يرجع إليها بعد، ألا تتنجس تلك الأرض نجاسة أما أنت فقد زنيت بأصحاب كثيرين، لكن أرجعى إلى يقول الرب، ارفعى عينيك إلى الهضاب وانظرى أين لم تضاجعى فى الطرقات جلست لهم كأعرابى فى البرية ونجست الأرض بزناك وبشرك، وجبهة امرأة زانية كانت لك أبيت أن تخجلي" ارميا ٣: ١ - ٣.

(٢) ارميا ٣: ٦ - ١٣.

(٣) ارميا ٣: ٢٠ - ٢٢.

غنمهم وبقرهم بنيهم وبناتهم، نضطجع فى خزينا ويغيطنا خجلنا لأننا إلى الرب الهنا أخطأنا نحن وآباؤنا صبانا إلى هذا اليوم ولم نسمع لصوت الرب الهنا"[١].

ويصور ارميا حالة اليهود بقوله "وصار لهذا لاشعب قلب عاص ومتمرد، عصوا ومضوا، ولم يقولوا بقلوبهم لنخف الرب الهنا[٢].

"اسمع أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم الذين لهم أعين ولا يبصرون، لهم آذان ولا يسمعون وإأياى لا تخشون"[٣].

"لأنه وجد فى شعبى أشرار يرصدون كَمُنْحَنٍ من القانصين ينصبون أشراكا يمسكون الناس، مثل قفص ملآن طيوراً هكذا بيوتهم ملآنة مكراً، من أجل ذلك عظموا واستغنوا سمنوا لمعوا، أيضا تجاوزوا فى أمور الشر"[٤].

"وكل بيت إسرائيل غلف القلوب"[٥].

ثم يخاطب الرب أورشليم بقوله "اغسلى من الشر قلبك يا أورشليم لكى تخلصى، إلى متى تبيت فى وسطك أفكارك الباطلة"[٦].

ويصف الوثنية المنتشرة فيها وفى مدن يهوذا بقوله:

"أما ترى ماذا يعملون فى مدن يهوذا وفى شوارع أورشليم الأبناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار والسناء يعجن العجين ليصنعن كعكاً لملكة السماوات، ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكى يغيظونى، أفاياى يغيظون يقول الرب، أليس أنفسهم لأجل خزى وجوههم"[٧].

---

(١) ارميا ٣: ٢٤ - ٢٥.
(٢) ارميا ٥: ٢٣.
(٣) ارميا ٥: ٢١ - ٢٢.
(٤) ارميا ٥: ٢٦ - ٢٨.
(٥) ارميا ٩: ٢٦.
(٦) ارميا ٤: ١٤.
(٧) ارميا ٧: ١٧ - ١٩.

ويبين أن الشعب قد ارتد ارتداداً دائماً يقول:

"هكذا قال الرب، هل يسقطون ولا يقومون أو يرتد أحد ولا يرجع، فلماذا ارتد هذا الشعب فى أورشليم ارتداداً دائما تمسكوا بالمكر، أبوا أن يرجعوا، صغيت وسمعت، بغير المستقيم يكلمون، ليس أحد يتوب عن شره قائلاً ماذا عملت[1].

وتوعد الرب أورشليم ويهددها بكشف وثنيتها بقوله:

"فأنا أيضاً ارفع ذبليك على وجهك فيرى خزيك، فسقك وصهيلك ورذالة زناك على الآكام فى الحقل قد رأيت مكرهاتك، ويل لك يا أورشليم لا تطهرين، حتى متى بعده"[2].

ويصف السفر حالة الانحراف العامة التى شملت الأنبياء الكذبة والكهنة بقوله على لسان ارميا:

"فى الأنبياء – انسحق قلبى فى وسطى ارتخت كل عظامى، صرت كإنسان سكران ومثل رجل غلبته الخمرة من أجل الرب ومن أجل كلام قدسه، لأن الأرض امتلأت من الفاسقين، لأنه من أجل اللعن ناحت الأرض جفت مراعى البرية وصار سعيهم للشر وجبروتهم للباطل، لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعاً بل فى بيتى وجدت شرهم يقول الرب.

لذلك يكون طريقهم لهم كمزالق فى ظلام دامس فيطردون ويسقطون فيها لأنبى أجلب عليهم شرا سنة عقابهم يقول الرب.

وقد رأيت فى أنبياء السامرة حماقة، تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبى إسرائيل، وفى أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه، يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون أيادى فاعلى الشر حتى – لا يرجعوا الواحد عن شره، صاروا لى كلهم كسدوم وسكانها كعمورة[3].

---

(١) ارميا: ٤ – ٦.

(٢) ارميا ١٣: ٢٦ – ٢٧.

(٣) ارميا: ٢٣: ٩ – ١٤.

ويقول "لأنه من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق فى كل الأرض"[1].

ويصف ارميا تغلغل الوثنية فى قلوب اليهود جيمعاً منذ نشأتهم بقوله: "لأن بنى إسرائيل وبنى يهوذا إنما صنعوا الشر فى عينى منذ صباهم، لأن بنى إسرائيل بعمل إيديهم يقول الرب، لأن هذه المدينة قد صارت لى لغضبى ولغيظى من اليوم الذى فيه بنوها إلى هذا اليوم لأنزعها من أمام وجهى، من أجل كل شر بنى إسرائيل وبنى يهوذا الذى عملوه ليغيظونى به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم ورجال يهوذا وسكان أورشليم، وقد حولوا لى القفا لا لاوجه وقد علمتهم مبكراً ومعلماً ولكنهم لم يسمعوا ليقبلوا أدبا بل وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دعى باسمى لينجسوه"[2].

ولعل أبلغ ما ورد فى سفر ارميا للتدليل على الاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل ما ذكره ارميا فى الإصحاح الرابع والأربعين عن اليهود الذين نزحوا إلى أرض مصر عقب سقوط – يهوذا وتدمير أورشليم عام ٥٨٦ ق. م وكيف أنهم أصروا على وثنيتهم ورفضوا نصائح أرميا وبينوا له أن حالهم مع الوثنية أفضل وأنفع لهم يقول الإصحاح:

"الكلمة التى صارت إلى ارميا من جهة كل اليهود الساكنين فى أرض مصر.. هكذا قال الرب "أنتم رأيته كل الشر الذى جلبته على أورشليم وعلى كل مدن يهوذا فها هى خربة هذا اليوم وليس فيها ساكن من أجل شرهم الذى فعلوه ليغيظونى إذ ذهبوا ليبخروا، ويعبدوا آلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا أنتم ولا آباؤكم"

فأرسلت إليكم كل عبيدى الأنبياء مبكرا ومرسلاً قائلا لا تفعلوا أمر هذا الرجس الذى – أبغضه، فلم يسعوا ولا أمالوا أذنهم ليرجعوا عن شرهم فلا يبخروا لآلهة أخرى فانسكب غيظى وغضبى واشتعلا فى مدن يهوذا وفى شوارع أورشليم فصارت خربة مقفرة كهذا اليوم[3].

---

(١) ارميا ٢٣: ١٥.

(٢) ارميا ٣٢: ٣٠ – ٣٤.

(٣) ارميا ٤٤: ١ – ٦.

ويوجه حديثه إلى يهود مصر قائلاً:

"فالآن هكذا قال الرب" لماذا أنتم فاعلون شراً عظيماً ضد أنفسكم لا نقراضكم رجالاً ونساءًا أطفالاً ورضعاً من وسط يهوذا، ولا تبقى لكم بقية، لإغاظتى بأعمال ايديكم إذ تبخرون لآلهة أخرى فى أرض مصر التى أتيتم إليها لتتغربوا فيها لكى تنقرضوا ولكى تصيروا لعنة وعاراً بين كل أمم الأرض.

هل نسيتم شرور آبائكم وشرور ملوك يهوذا وشرور نسائهم وشروركم وشرور نسائكم التى فعلت فى أرض يهوذا وفى شوارع أورشليم، لم يذلوا إلى هذا اليوم ولا خافوا ولا سلكوا فى شريعتى وفرائضى التى جعلتها أمامكم وأمام ابائكم[1].

لذلك هكذا قال الرب الجنود اله إسرائيل ها أنذا أجعل وجهى عليكم للشر ولأقرض – كل يهوذا وآخذ بقية يهوذا الذين جعلوا وجوههم للدخول إلى أرض مصر ليتغربوا هناك – فيفنون كلهم فى أرض مصر، يسقطون بالسيف وبالجوع يفنون من الصغير إلى الكبير بالسيف والجوع يموتون ويصيرون حلفاً ودهشاً ولعنة وعاراً.

وأعاقب الذين يسكنون فى أرض مصر كما عاقبت أورشليم بالسيف والجوع والوباء ولا يكون ناج ولا باق لبقية يهوذا الآتين ليتغربوا هناك فى أرض مصر[2].

وأمام هذه النصائح وهذه التهديدات نجد أن اليهود قد عكفوا على وثنيتهم وصمموا على المضى فيها والتمسك بها متحدين ارميا ورب ارميا معلنين له أن الخير كل الخير فى هذه الوثنية.

"فأجاب أرميا كل الرجال الذين عرفوا أن نساءهم يُبَخِّرْوْن لآلهة أخرى وكل النساء الواقفات محفل كبير وكل الشعب الساكن فى أرض مصر.. قائلين:

"إننا لا نسمع لك الكلمة التى كلمتنا بها باسم الرب، بل سنعمل كل أمر خرج

---

(١) ارميا ٤٤: ٧ – ١٠.

(٢) ارميا ٤٤: ١١ – ١٤.

من فمنا فنبخر لملكة السماوات ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وأباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا فى أرض يهوذا وفى شوارع أورشليم فشبعنا خبزاً وكنا بخير ولم نر شراً.

ولكن من حين كففنا عن التبخير لملكة السماوات ونسكب لها سكائب فهل بدون رجالنا كنا نصنع لها كعكا لنعبدها ونسكب لها السكائب"[1].

وهكذا وبرغم ما وقع لليهود من سبى وتشريد وما جرى عليهم من تخريب وتدمير ظلوا – موالين للوثنية مدافعين عنها معتقدين أنها الحق وأنها مجلبة للخير والسعادة وأن مجرد تركها أو البعد عنها يعنى الشر ومجلبة الشر.

سفر حزقيال والوثنية الإسرائيلية:

أما سفر حزقيال فإنه يذكر أن الرب أرسل حزقيال وقال له مبيناً طبيعة بنى إسرائيل المادية:

"أنا مرسلك إلى بنى إسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت على هم وآباؤهم عصوا على إلى ذات هذا اليوم، والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم"[2].

"فقال لى "أذهب امض إلى بيت إسرائيل وكلمهم بكلامى، لأنك غير مرسل إلى شعب غامض اللغة وثقيل اللسان بل إلى بيت إسرائيل، لا إلى شعوب كثيرة غامضة اللغة وثقيل اللسان لست تفهم كلامهم.

فلو أرسلتك إلى هؤلاء لسمعوا لك، لكن بيت إسرائيل لا يشاء أن يسمع لك لأنهم لا يشاءون أن يسمعوا لى، لأن كل بيت إسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب، ها أنذا قد جعلت وجهك صلباً مثل وجوههم وجبهتك صلبة مثل جباههم، قد جعلت جبهتك كالماس أصلب من الصُوَّان فلا تخفهم ولا ترتعب من وجوههم لأنهم بيت متمرد"[3].

---

(١) ارميا ٤٤: ١٥ – ١ راجع رد ارميا على اجابتهم فى نفس الإصحاح ٢٠ – ٣-.
(٢) حزقيال ٢: ٣ – ٤.
(٣) حزقيال ٣: ٤ – ٩.

ثم يتحدث السفر عن وثنية أورشليم وانحراف أهلها بقوله:

"هذه أورشليم فى وسط الشعوب قد أقمتها وحواليها الأراضى فخالفت أحكامى بأشر من الأمم وفرائضى بأشر من الأراضى التى حواليها، لأن أحكامى رفضوها وفرائضى لم يسلكوافيها، لأجل ذلك هكذا قال السيد الرب، من أجل أنكم ضججتم أكثر من الأمم التى حواليكم ولم تسلكوا فى فرائضى ولم تعملوا حسب أحكامي[1].

من أجل ذلك .. أجعلك خراباً وعاراً بين الأمم التى حواليك أمام عينى كل عابر فتكونين عاراً ولعنة وتأديباً ودهشاً أكثر من التى حواليك"[2].

ثم يذكر السفر أن الرب قد اطلع حزقيال على المظاهر الوثنية فى بيت أورشليم ومن هذه المظاهر كما يقول:

"فرفعت عينى نحو طريق الشمال وإذا من شمالى باب المذبح تمثال الغيرة هذا فى المدخل وقال لى يا ابن آدم هل رأيت ما هم عاملون، الرجاسات العظيمة التى بيت إسرائيل عاملها هنا لابعادى عن مقدسى، وبعد تعود تنظر رجاسات أعظم، ثم جاء بى إلى باب – الدار فنظرت وإذا ثقب فى الحائط ثم قال لى يا ابن آدم انقب فى الحائط فنقبت فى الحائط فإذا باب وقال لى أدخل وانظر الرجاسات الشريرة التى هم عاملوها هنا.

فدخلت نظرت وإذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على الحائط على دائره، وواقف قدامها سبعون رجلاً من شيوخ بيت إسرائيل ويازنيا بن شافان قائم فى وسطهم وكل واحد مجمرته فى يده وعطر عنان البخور صاعد ثم قال أرأيت يا ابن آدم – ما تفعله شيوخ بيت إسرائيل فى الظلام كل واحد فى مخادع تصاويره، لأنهم يقولون الرب لا يرانا الرب قد ترك الأرض"[3].

---

(١) حزقيال: ٥: ٥ – ٧.

(٢) حزقيال ٥: ١٤ – ١٥.

(٣) حزقيال ٨: ٥ – ١٢.

وقال لى بعد تعود تنظر رجاسات أعظم هم عاملوها، فجاء بى إلى مدخل بيت الرب – الذى من جهة الشمال وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تمور[1]، فقال لى أرأيت هذا يا ابن آدم بعد تعود تنظر رجاسات أعظم من هذه ، فجاء بى إلى دار بيت الرب الداخلية وإذا عند باب هيكل الرب بين لارواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق وقال لى أرأيت يا ابن آدم – أقليل لبيت يهوذا عمل الرجاسات التى عاملوها هنا، لأنهم قد ملأوا الأرض ظلماً – ويعودون لإغاظتى وهم يقربون الغصن إلى أنفهم فأنا أيضاً أعامل بالغضب"[2].

وقد أطلع الرب حزقيال على مظاهر أخرى من وثنية يهوذا[3] حتى خر على وجهه وصرخ وقال "هل أنت مهلك بقية إسرائيل كلها بصب رجزك على أورشليم فقال لى أن اثم بيت إسرائيل ويهوذا عظيم جداً جداً وقد امتلأت الأرض دماء وامتلأت المدينة جنفاً، لأنهم يقولون الرب قد ترك الأرض والرب لا يري[4].

وذكر السفر أن الرب قال لحزقيا أن بيت إسرائيل كلهم قد ارتدوا عنى بأصنامهم لذلك قل بيت إسرائيل توبوا وارجعوا عن أصنامكن عن كل رجاستكم[5].

قاموس الكتاب المقدس والوثنية الإسرائيلية:

وهناك إلى جانب هذه النصوص نصوص أخرى كثيرة من أسفار أخرى للأنبياء تصور بوضوح لا لبس فيه ضخامة الوثنية التى كان اليهود غارقين فيها، لكنى أكتفى بما ذكرت حتى لا يطول الفصل أكثر من ذلك. وإن كنت أفضل أن أنقل ما ورد فى قاموس الكتاب المقدس عن اليهود كملخص لهذا الفصل:

---

(١) تفصيل الحديث عن هذه العبادة ومصدرها وحقيقة الآلهة تموز فى الباب الثالث إن شاء الله.
(٢) حزقيال ٨: ١٣ – ١٧.
(٣) حزقيال ٩: ١ – ٧.
(٤) حزقيال ٩: ٨ – ٩.
(٥) حزقيال ١٤: ٥ – ٦.

يذكر القاموس أن تاريخ اليهود حافل بتأثرهم بمختلف المعتقدات الوثنية فلا بد أنهم تأثروا بها، وهم فى سورية، ولما هاجروا إلى مصر وجدوا هناك ديانات وثنية منظمة ذات طقوس وآلهة وفلسفات.

وكانت إقامتهم الطويلة فى أرض مصر تعطى مجالاً لهم لكى يكيفوا نظراتهم التوحيدية حسب ظروف ومفاهيم مصر التى كانت تعبد آلهة متعددة وقتذاك.

وحينما خرجوا منها عائدين إلى فلسطين، تسربت معهم تلك المؤثرات الوثنية، وظلت تفعل فيها، بالرغم من أن خلاصهم من العبودية فى مصر كان بفضل الله الواحد.

بل إن العبرانيين كشفوا عن تأثرهم بالمعتقدات الوثنية من قبل أن يصلوا فلسطين وهم بعد على الطريق فى سيناء فقد عبدوا العجل الذهبى الذى كان سيد آلهة ممفيس فى مصر.

واستمر اليهود فى الخلط بين التوحيد والوثنية فى التوبة إلى الله الواحد ثم النكوث بالعهد والعودة إلى الأصنام المتحجرة حتى أخلصوا لله الواحد أيام يشوع.

وما أن وصلوا فلسطين واستقروا فيها حتى أعادوا سيرتهم الأولى، وأخذوا أيام القضاة يخلطون بين الاعتقادين من جديد، بل أنهم أخذوا يبنون المذابح للبعل وزاد فى ابتعادهم عن الله أنهم جاوروا فى فلسطين شعوباً سورية كانت تعبد الآلهة المتعددة – والأصنام العريقة بتراثها الدينى والأدبى والفنى.

ثم ظهر صموئيل وداود وسليمان فتقوت بهم عبادة الله، غير أن الشعب لم يستمر فى توحيده طويلاً فقد ارتد إلى الأوثان فى أواخر سليمان.

وفى عصر الانقسام قام تاريخ مملكتى يهوذا وإسرائيل فى فلسطين على محور الصراع بين التوحيد والوثنية، ولم تكن تطول غلبة المعتقد الواحد على الآخر كثيراً، إذ كان كل حزب يشن الحرب ضد خصمه، وقد تأثر بهذا الصراع الدينى –

السياسى – التاريخ اليهودى بأكمله، وعلاقات اليهود مع الدول المجاورة لهم، ومصير استقلالهم السياسى.

وظل الأمر كذلك حتى العودة من سبى بابل، وكان الله يعاقب اليهود على ابتعادهم عنه معاقبة شديدة وينزل بهم المصائب ولذلك كان تاريخهم حافلاً بالويلات والعداءات.

وندد أنبياء الله بالمعتقدات الوثنية ودعوا الشعب اليهودى إلى الإقلاع عنها وتنبأوا للأمم المجاورة التى كانت مصدر تلك المعتقدات، بالهلاك والدمار والانحلال، وحذروا اليهود من مغبة تقليد جيرانهم والالحاق بهم المصير نفسه[1].

والخلاصة أن اليهود كانوا ينزعون إلى الوثنية بكل جوارحهم وبأفئدتهم ويعكفون عليها طيلة أيامهم ويستمسكون بها تمسكاً عجيباً ويدافعون عنها دفاعاً شديداً.

وقد كان هذا من العوامل التى ساعدت على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية القديمة.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٩٤ – ٥٩٥.